

# دولة مالي الإسلامية

دراسات في التاريخ القومي الإفريقي

تأليف

دكتور إبراهيم علي طرخان



الجمعية المصرية لدراسات إفريقيا

# دولة مالي الإسلامية

دراسات في التاريخ القومي الإفريقي

تأليف

دكتور إبراهيم علي طرفان

أستاذ كرسي العصور الوسطى ورئيس قسم  
التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة بالخرطوم



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٣

AME



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مدخل

تاريخ مالي جزء من تاريخ غربي أفريقية - الامبراطوريات  
التاريخية في غربي أفريقية - غربي أفريقية أو السودان  
الأوسط والغربي جغرافيا - قدم الحضارة - الآثار المصرية  
والشرقية - الاسلام والعصر الذهبي في الحضارة القومية  
لغربي أفريقية - مصادر التاريخ : الرواية الشفقوية  
والأساطير المتداولة وقيمتها العالمية - ما كتبه القدماء من  
الاغريق والرومان - المصادر العربية الاسلامية : ما كتبه  
العلماء المسلمون الأجانب - ما كتبه السودانيون • ما كتبه  
الأوروبيون : السجلات والوثائق البرتغالية - الكتب  
الأوروبية الحديثة - الآثار المكتشفة حديثا .

تاريخ مالي جزء من تاريخ غربي أفريقية ، وهو الموضوع الذي أخذت  
نفسى بدراسته ، منذ وطأت قدمي أرض الجمهورية السودانية في أغسطس  
من عام ١٩٥٦ م ، بل قبيل هذا التاريخ ، وقد أتيت لي الفرصة لأن  
أبحث في مكتبات الخرطوم ومؤسساتها العلمية ، فضلا على مكتبات  
ومؤسسات جمهورية مصر العربية، وأن ألتقي بكثير من مهاجري غربي  
أفريقية المستوطنين بالسودان ، فضلا على أعضاء البعثات العلمية منهم ،  
طلابا وأساتذة ، ومنهم الفولانيون والهوسا وأهل غمبيا المسلمون .

كان مشروع هذا البحث يقضى باخراج كتاب واحد فى التساريخ القومى لغربى افريقية ، غير أنه عندما اتسعت جوانب هذا البحث ، لم يعد كتاب واحد يكفى لاستيعاب تاريخ هذه البقعة من القارة ، اذ كشفت الدراسة عن وجود عدد كبير من الدول أو الامبراطوريات القومية التى قامت بدورها التاريخى ، وذلك قبل عصر الاستعمار ، لذلك قضى البحث باخراج كتاب مستقل لكل دولة . وليس من العجيب ان كان التساريخ القومى الافريقى لتلك البلاد - ابان مجدها وعزها - قبل عهد الاستعمار جزءا من التساريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، فى شتى مظاهرها .

لقد وجدت هذه الدول كلها فى عصر واحد تقريبا ، غير أن الشهرة والعظمة والسيادة العامة ، قد تبدلت بين أكبر هذه الدول ، واحدة بعد الأخرى ، وأول هذه الدول وأقدمها دولة غانة أو امبراطورية غانة ، وبظهور مالى ، اختفت غانة ، كما اختفت امبراطورية الصوصو ، وكانت دولة التكاررة فى حوض السنغال الأدنى قائمة فى القرن الحادى عشر ، وكذلك قامت دولة صنغى فى أواسط النيجر ، وعندما ضعفت مالى ، برزت قوة صنغى ، وفى الوقت نفسه كانت امبراطورية الكانم والبرنو تنمو حول بحيرة تشاد ، وأسس الفولانيون أكثر من دولة ، وكذلك أقام الهوسا أكثر من دولة ، اشتهرت فى التساريخ باسم دول الهوسا السبع ، وذلك فيما هو نيجيريا الحالية .

شهدت أغلب هذه الدول الكشوف الجغرافية وحركة الاستعمار الأوروبى ، التى طوت صفحة التساريخ القومى لتلك البلاد . من هذه الدول ما عاصر الكشوف الجغرافى وبداية الحركة الاستعمارية كما هو الشأن بالنسبة لدولة مالى ووريثتها فى القرن السابع عشر الميلادى ، وهى الوريثة التى قضى عليها الاستعمار الفرنسى فى القرن التاسع عشر ، ومنها ما شهد الكشوف والاستعمار زمن عظمتها مثل دولة صنغى ، ومنها ما اصطدم بالاستعمار اصطداما طويلا ومريرا كما وقع لامبراطوريات البرنو والفولانيين والهوسا والتكاررة .



قامت هذه الدول فيما هو معروف بالسودان الأوسط والغربى أو غربى افريقية ، وحدود هذه المنطقة ، من بحيرة تشاد شرقا الى ساحل المحيط الأطلسى غربا ، قرب الرأس الأخضر ؛ وتقع هذه المساحة بين خطى عرض ٩ درجة ، ١٧ درجة شمالا تقريبا ، على أنها لم تشغل من هذه المساحة سوى اراضى السافانا التى تلى منطقة الغابات الاستوائية الساحلية، وتمتد

منطقة السافانا الى حوالي ٦٠٠ أو ٧٠٠ ميل الى الشمال حيث يقل المطر الى نحو ١٥ بوصة أو أقل ، عندما تبدأ الصحراء .

ومساحة غربى افريقية نحو ٢٤ر٤ من مليون الميل المربع أى حوالى مساحة المملكة المتحدة ٢٥ مرة ، ونحو  $\frac{1}{4}$  مساحة الولايات المتحدة الامريكية ، وتقدر المسافة بين طرفى هذا الاقليم الشرقى والغربى بنحو المسافة ما بين موسكو ولندن .

وليس من المعروف متى بدأ سكن الانسان فى غربى افريقية ، والمشهور أن هجرة الزوج الى تلك البقعة من القارة ترد الى زمن موغل فى القدم ، وأن هؤلاء الزوج نجحوا فى تنظيف بعض المساحات من الغابات وزرعوها ؛ والمعروف كذلك أن موجات من الهجرات البشرية الاخرى المتتالعة وصلت الى غربى افريقية من البربر من بلاد المغرب ، ومن وادى النيل ومن الشرق عامة ، وساعد دخول الجمل فى افريقية منذ نحو خمسة قرون قبل الميلاد ، على كثرة الرحلة وسهولة النقلة .

ولقد أطلق العرب كلمة « السودان » ، وأرادوا بها أصحاب البشرة السوداء بصفة عامة ، ويشمل هذا المصطلح جغرافيا ما عرف باسم الحزام السودانى الممتد فى قلب القارة الافريقية من الشرق الى الغرب ، ولكن هذا المصطلح - كما عناه العرب - يكاد ينصب على سكان غربى افريقية - لأن للعرب أوصافا أخرى لأصحاب البشرة السوداء فى غير هذا الجزء من القارة .

فالإصطخري ، مثلا ، يصف بلدان السودان بأن سكانها ليسوا « بنوبه ولا بزنج ولا بحبشة ولا من البجه ، الا أنهم أشد سوادا من الجميع وأصفى » .

ويصف أبو الفداء التكرارة بقوله : « أنهم أشبه الناس بالزنج » وكذلك فعل ياقوت الحموى وغيره .

أما النوبة والحبشة ، فهما تسميتان اطلقهما العرب على سكان بلاد النوبة جنوبى مصر وشمالى جمهورية السودان الديمقراطية ، وعلى سكان الحبشة . وأما العناصر السوداء الأخرى ، المقيمة فى الجهات الافريقية الأخرى ، فقد ميزها العرب بأسماء أخرى ، مثل « الزنج » سكان جنوبى شرقى الحبشة وبعض بلاد ساحل افريقية الجنووبى الشرقى ، ونسبوا غربى المحيط الهندى اليهم ، فقالوا عنه : « بحر الزنج » .

ظل التاريخ القديم لغربي افريقية غامضا حتى عهد قريب، حين كشفت البحوث الأثرية الحديثة عن حضارات وطنية قديمة ، وجدت في بعض أجزاء هذه المنطقة ، ودلت على أن تلك البلاد لم تكن من البربرية والتوحش والهمجية على النحو المتصور ، أثبتت هذه الكشوف الأثرية أن حوض النيجر كان مركز نشاط ومدنية منذ أقدم العصور ، وهناك اعتقاد بأن أقدم الصناعات الأوربية التي ترد الى العصر الباليوليتي - العصر الحجري القديم - جاءت من افريقية عن طريق البر ، ويقول بعض كتاب الغرب ان صناعة الحديد قديمة في غربي افريقية .

والثابت كذلك ، أن الأثر الشرقي عامة ، والمصري بصفة خاصة ، بارز في حضارة غربي افريقية ، وأن هناك صناعات ونباتات وحيوانات مستأنسة قد نقلت من وادي النيل الى غربي افريقية (١) ، وقد عثر على بعض المصنوعات الفخارية والمصنوعات الحديدية في منطقة اليوروبا ، كما عثر على رعوس تماثيل وعلى سبائك نحاسية في مدينة أيف Ife ، ومنها تطورت صناعة البرنز في بنين Benin ، وليس من شك في أن مثل هذه المخلفات تدل على درجة متقدمة من الحضارة منذ القدم ، فضلا على الأثر الشرقي عامة ووادي النيل بوجه خاص .

على أن أحدث الآثار الشرقية ، وأبرزها في مدينة غربي افريقية، هي التي ترد الى عصر الاسلام ، حتى ان العالم الأوربي ، ظل لبضعة قرون يعتقد أن بلاد السودان عامة والصحراء في شمالها ليست سوى جزء من العالم الاسلامي .

لقد اعتنق معظم سكان الحزام السوداني الاسلامي بحماسة ، وعن طريق الاسلام دخل قدر كبير من المدنية والعلوم الاسلامية ، بجانب مظاهر الحياة الشرقية .

يقول الرحالة منجو بارك M. Park :

« لقد عمل الاسلام على تطوير بلاد الزنوج ولا يزال يعمل » .

ويقول القمص ستانلي Dean Stanley

« لا يمكن أن ننسى أن الاسلام هو الديانة السامية الوحيدة التي أدت الى تقدم وتطور قارة افريقية الواسعة » .

(١) Johnston, H.H., A History of the Colonization of Africa, by Allien Races, pp. 19-20.

وبرز في رُحَابِ الإسلام ، بتلك البلاد ، عدد كبير من العلماء الأفريقيين الوطنيين ، وهؤلاء كتبوا باللغة العربية في شتى فنون المعرفة ، ومن بينها التاريخ القومي لبلادهم ، ثم بالإسلام ظهرت هذه الامبراطوريات الوطنية ، التي ناضلت ضد الاستعمار الأوربي ، اذا لم يخطيء الكاتب الفرنسي جوي Gouilly حين قال :

« انه بالإسلام ، يبدأ العصر التاريخي لأفريقية السوداء » (١)  
والمقصود بالعصر التاريخي هنا ازدهار الحضارة الأفريقية القومية الإسلامية . ولحق أن العصر الذهبي في تاريخ أفريقية الغربية القومي ، أو تاريخ السودان الأوسط ، بمعنى آخر ، هو العصر الوسيط ، ففي ذلك العصر ، برزت الخصائص المميزة للحضارة الأفريقية الوطنية في تلك البلاد ، وقامت حكومات ونظم إدارية متقدمة ، ويمثل الإسلام القوة الدافعة المحركة التي خطت بالحياة الإنسانية في غربي أفريقية ، تلك الخطوات الحضارية القوية ؛ والإسلام هو الذي أمد هذه البلاد بالمعارف المختلفة من آداب وعلوم وفنون ، كما أمدها بوسائل المعرفة من علماء ومدارس وجامعات .

ففي الحقبة منذ نحو القرن الأول الهجري ( السابع الميلادي ) الى حوالي منتصف القرن العاشر الهجري ( السادس عشر الميلادي ) حفلت بلاد السودان الأوسط والغربي بالآلاف من العلماء المسلمين الوطنيين والمستوطنين ، ومن الرحالة والتجار المسلمين ، من شتى أصقاع العالم الإسلامي : من المشرق ووادي النيل بصفة خاصة ، ومن بلاد المغرب العربي ، كما سافر عدد كبير من المسلمين الوطنيين في غربي أفريقية لأداء فريضة الحج وطلب العلم في الأزهر وفي مكة والمدينة ، وفي القيروان وفاس ، وقد نهضت مراكز العلم والثقافة بتلك البلاد التي أمها المسلمون الأفريقيون ، بما ينبغي عليها من الوفاء الذي سجله التاريخ من تيسير الرحلة وحسن الاستقبال والإقامة وتيسير سبل العلم ، وهذا بجانب المصالح التجارية ، بل اختلطت دماء الأفريقيين السود بدماء غيرهم من المسلمين ، مما زاد في الرابطة ووثق في العلاقة .

أدى هذا كله الى تجاوز شهرة المدن الأفريقية الزاهرة ، حدود القارة ، وبدأ العالم الخارجي في أوربا وغيرها يسمع عن هذه المدن أمثال : كومبي صالح ومالي وجني وتنبتك وولاته وتكد وونقاوه ، ولقد فانت

Gouilly, A., L'Islam dans l'Afrique Occidentale Française, p. 50. (1)



حضارة هذه البلاد حضارة معظم بلاد أوروبا المعاصرة ، إذا كانت حضارة المدن الإفريقية على صلة وثيقة بأرقى الحضارات الإنسانية المعاصرة، وهي الحضارة الإسلامية .



من هذا يتضح أن أهم السجلات والمدونات والمصادر التي يرجع إليها في تاريخ غربي إفريقية عامة ، هي المصادر العربية ، سواء كتبها العرب من الجغرافيين والمؤرخين والرجالة والتجار، وهي كثيرة لم تحصر بعد ، أو كتبها الوطنيين الإفريقيون (١) .

ويمكن تلخيص مصادر التاريخ الإفريقي جنوبي الصحراء في الوقت الحاضر فيما يلي :

### أولاً :

#### الرواية الشفوية

وهذه يتناولها الوطنيون في غربي إفريقية ، وهي من غير شك لها قيمتها ، فإن الإفريقيين يحتفظون بذكريات وقصص وأخبار متواترة ، ومع أن الكثير منها أسطوري ، يرجع إلى تقاليد دينية أو دنيوية قديمة ، وفيه الخيال ، وفيه الخرافة ، إلا أنها لا تخلو من قدر من الحقيقة التاريخية .

وهناك رواية للأسر الكبيرة يحتفظون بتاريخها وأخبارها وما يتعلق بها من قصص وأحداث ، ويعرف هؤلاء الرواة في مالي باسم ديالي Dyali يوجد لكل أسرة كبيرة واحد من هؤلاء ، مهمته حفظ كل ما يتعلق بتاريخ الأسرة ، من سجلات وأخبار متواترة ، ويتعين على هذا الشخص أن يكون ملماً دائماً بأمجاد الأسرة التابع لها ؛ وكان هؤلاء على درجة كبيرة من سعة المعرفة وتنوعها ، فضلاً على المقدرة على أدائها .

وبمرور الزمن ، يصيب هذه الأخبار التحريف والتغيير والمبالغات جيلاً بعد جيل ، كما أن هذه الأخبار والروايات قد لا تدل على شيء لأنه يحدث أن تستعير أسرة من الأسر أو قبيلة من القبائل أخبار وأساطير

(١) انظر الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي للمؤلف ص ٣١

وما ينيها .

أسرة أو قبيلة أخرى مشهورة ، وتنتحلها لنفسها ، لما فيها من شرف أو بطولة أو رواء .

والملاحظ ، أن الشخصيات التاريخية البارزة ، هي التي تحاك حولها الأساطير ، مثل مغامرات سنديا أو ماري جاطه ، البطل القومي في مالي ، ولكن هذه الأساطير لا تحاك حول تكرات .

وبالفحص والدراسة والمقارنة والقياس ، يمكن تنقية هذه الأخبار من الجوانب الأسطورية فيها ، واستخلاص قدر كبير من المعلومات التاريخية ، مما يلقي ضوءاً على أحوال تلك الشخصيات أو الجماعات .

وقد أفرد بعض المحدثين من الكتاب فصلاً طويلاً في بحث هذه الأخبار الشفوية والأسطورية ، منهم : آدمز وأرنو ودولافوس ومونتي وتوتا ولانزاك ؛ ومما كتبه دولافوس ، مثلاً ، كتاب ترجمه عن مخطوطة عربية وأصدره تحت عنوان :

Traditions Historiques et Légendaires du Soudan Occidental,  
Paris, 1913.

## ثانياً :

### ما كتبه القدماء من الإغريق والرومان

نقل هؤلاء وسجلوا ما سمعوا أو شهدوا أو قرءوا في رحلاتهم ودراساتهم ، أمثال هيردوت ( ت ٤٥٠ ق ٠ م ) وبوليبيوس ( ت ١٤٠ ق ٠ م ) وبلييني الكبير ( ت حوالي ١١٥ م ) .

ومن الرحلات القديمة التي دون هؤلاء أخبارها ، رحلات الفينيقيين ، مثل الرحلة المشهورة التي تمت بتكليف من فرعون مصر نخاو الثاني حوالي عام ٦٠٠ ق ٠ م ، وهي الرحلة التي طافت حول افريقية ؛ ورحلة هانو Hanno القرطاجني حوالي عام ٥٢٠ ق ٠ م ، وقد وصل فيها إلى مصب نهر السنغال ، وتجاوز هذه المنطقة إلى مصب نهر غمبيا ومنطقة سيراليون ، وأنشأ مراكز فينيقية على ساحل غربي افريقية ، وقص ما شاهده بعد عودته ، ولأخبار هذه الرحلة أهمية خاصة ، فيما روته عن « التجارة الصامتة » .

ومن الرحلات البرية فى إقليم غربى افريقية ، رحلة قام بها خمسة فتية من المغامرين البربر من النسوميين Nasomenes عبروا فيها الصحراء الكبرى الى منحنى النيجر عن طريق فزان ، عند موضع مدينة تنبكت ، حيث شهدوا السكان ولمسوا حسن معاملتهم ، وعدوا .

أورد هيرودوت أخبار هذه الرحلة ، وعنهما عرف اتجاه نهر النيجر الحقيقى ، وقال : انه يسير من الغرب الى الشرق ، وقال أيضا : انه ملئ بالتماسيح .

أما بوليبيوس الاغريقى الآخر ، فقد رحل فى شمالى افريقية حوالى عام ١٤٠ ق م ، ومع انه لم يتجاوز شمالى افريقية ، الا أنه دون ما سمع من أخبار متواترة عن نهر السنغال ، وأطلق عليه اسم بامبوتس .  
Bambotus وقال : انه ملئ بالتماسيح . وأفراس النهر الضخمة .

كذلك قام الرومان بجهود فى كشف الصحراء ، منذ انتصارهم على قرطاجنة ، فتوغل قادتهم فى الصحراء جنوبا ، ويقال ان القائد الرومانى سبتموس فلاكوس Sep. Flaccus وصل حوالى عام ١٩ ق م الى حدود بلاد السودان ، وأن رحلته استغرقت ثلاثة شهور ، وانه استخدم الجمل فى هذه الرحلة .

والرومان هم الذين أطلقوا اسم النيجر عليه ، فان بلينى الكبير سماه : Ni-gin ومعناه « نيل الأجناس السوداء » ، ومن هذه التسمية اللاتينية ، اشتق كتاب العصور الوسطى فى أوربا اسم نيجرتيا Nigritia ، وعنوا به كل إقليم غربى افريقية .

ومثل هذه المعلومات التى أوردها القدماء ، وهى على سبيل التمثيل لا الحصر ، لها من غير شك قيمتها فى التعريف بتاريخ بلاد السودان الأوسط والغربى .

### ثالثا :

#### المصادر العربية الاسلامية ( أ ) ما كتبه المسلمون الأجانب

وهؤلاء كثرة ، فمن مؤرخى القرن العاشر الميلادى : المسعودى ( ت ٩٥٦ م ) وابن حوقل ( ت ٩٦٨ م ) ، وتعتبر المعلومات التى أوردها

ابن حوقل ، أقدم معلومات كتبها عالم عربي مسلم عن السودان الغربي ، فقد زار هذا الرحالة المسلم أودغست وكومبي صالح عاصمة غانة ، ورأى النيجر ، وعرف أنه يسير من الغرب الى الشرق ، واعتقد أنه امتداد لنيل مصر .

وفي القرن الحادى عشر الميلادى ، كتب البكرى ( ت ١٠٩٤ م ) أول محاولة للوصف العام لأحوال تلك البلاد .

ومن علماء القرن الثانى عشر : الادريسي ، وهو عربى اسباني ولد فى مدينة سوتا عام ١١٠٠ م ، ورحل فى أسبانيا وافريقية وآسيا الصغرى ، ثم دعاه روجر Roger الثانى النورمانى أمير صقلية .

وتحت رعايته ، أخرج الادريسي كتابه عام ١١٥٤ م وعنوانه : « كتاب نزهة المشتاق فى ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق » ، ونسب هذا الكتاب الى روجر ، ويعد من أهم الكتب الجغرافية بعد كتاب المسعودى . كذلك كتب أبو حامد الأندلسى الملقب بشيخ عبدالله ( ت ١١٧٠ م ) عن تاريخ وأحوال افريقية فى كتابه : تحفة الألباب .

وفي القرن الثالث عشر : ياقوت الحموى الرومى ( ت ١٢٢٩ م ) وابن سعيد ( ١٢٨٦ م ) ، وكتابات الأخير مفقودة ، لكن الكثير منها عن بلاد السودان ، ورد فيما كتبه أبو الفداء والقلقشندى وغيرهما .

وكتب عن بلاد السودان فى القرن الرابع عشر مؤلفون كثيرون منهم : ابن أبى زرع ( ت ١٣٢٦ م ) صاحب « الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب » ، وأبو الفداء ( ت ١٣٣٢ م ) والعمري ( ت ١٣٤٨ م ) وابن بطوطة ( ت ١٣٦٩ م ) وابن كثير ( ت ١٣٧٢ م ) وابن خلدون ( ت ١٤٠٥ م ) .

ومن أهم مؤرخى القرن الخامس عشر الميلادى : القلقشندى ( ت ١٤١٨ م ) والمقرئزى ( ت ١٤٤١ م ) وابن حجر ( ت ١٤٤٨ م ) .

على أن أهم كتاب القرن السادس عشر الميلادى : حسن بن محمد الوزان ( ولد حوالى عام ١٤٩٣ م ) وهو من أسرة مغربية شريفة ، اشتهر باسم ليون الإفريقى Leo Africanus ، كان قد وقع أسيرا فى أيدي المسيحيين قرب تونس ، فأهدوه الى البابا ليو العاشر ، فحواله الى

المسيحية ، وأطلق عليه اسمه **Giovani Leoni** ، لكنه اشتهر  
باسم ليو الافريقي .

كان مع ابن الوزان مسودة كتابه باللغة العربية عن «تاريخ ووصف  
افريقية وأشهر مافيه من عجائب» وقد أتمه باللغة الإيطالية بعد وفاة  
البابا بثلاث سنوات ، ومعلوماته أول معلومات دقيقة وافية عن قلب  
افريقية ، كان ليو قد زار امبراطورية صنغى الاسلامية ، وهي في ذروة  
مجدها وقوتها ، وذلك حوالى عام ١٥١٠ م ، ووصفها كما وصف مالى  
وغيرهما . وعلى أساس معلومات ليو، وضعت الخرائط التى ظهرت فى  
أوربا عن افريقية والعالم ، فجاءت أوضح وأدق من الخرائط التى سبقتها .

ولكتاب ليو ترجمات باللغة اللاتينية والفرنسية والانجليزية ، كما  
أن له عدة طبعات باللغة الإيطالية ، وأول ترجمة انجليزية لكتاب ليو  
- فيما أعلم - ظهرت فى لندن عام ١٦٠٠ م ، وهذه أصدرها جون بورى  
John Pory .

وفى القرن السادس عشر ، أشار السيوطى ( ت ١٥٠٥ م ) الى  
ظهور سره على ( ت ١٤٩٢ م ) ملك صنغى الاسلامية ، والتقى السيوطى  
بأعظم أساكي - أى ملوك - صنغى فى القاهرة ، وهو أمير المؤمنين  
أسكيا الحاج ( ت ٩٥٣ هـ = ١٥٢٩ م ) خلال رحلة حج ملك صنغى ،  
وفى القاهرة ناقشه السيوطى وتنبأ له بعظم ملكه ، وأصبح أسكيا من  
أعظم أصدقاء السيوطى ، حتى قيل ان أسكى كان لا يقبل على إبرام أمر  
هام فى مملكته الا بعد التشاور مع السيوطى .

والواقع أن عبد الرحمن أبا بكر السيوطى ، كان يتمتع بمكانة  
رفيعة فى غربى افريقية عامة ، وقد زار بلاد الهوسا ، ومدينة كشنه  
Katsina بصفة خاصة ودرس فيها (١) ، وكان صديقا لساركس  
Sarkis - أى ملك - كشنه وهو ابراهيم ماجى من أسرة  
كومايوه Kamayo ، ويقال انه ألف كتابا سماه «رسالة الملوك»  
وأهداه الى الساركس ابراهيم والى سلطان أغاديس محمد بن ساتافا .

كذلك أورد ابن اياس ( ت ١٥٢٤ م ) معلومات عن بلاد السودان  
فى كتابه «نشق الأزهار» .

(١) أشار السيوطى الى رحلة فى بلاد التكرور فى ترجمة لنفسه بكتابه «حسن  
المحاضرة» ج ١ ص ١٥٧ .

## ( ب ) ماكتبه السودانيون

ما وصلنا من مؤلفات هؤلاء الوطنيين ، يرد الى القرن السادس عشر الميلادى وما يليه ، وربما فقدت كتاباتهم السابقة على ذلك القرن ، أو لم تكتشف بعد ، والذي وصلنا هو ما أفلت من حركة الدمار التى لحقت ببلاد غربى افريقية منذ بداية الكشوف الجغرافى وخلال حركات الاستعمار الأوروبى والتدريج بحركة القضاء على الرق فى القرن السابع عشر بصفة خاصة ، فضلا على حركات الكفاح الوطنى ضد الاستعمار البرتغالى والفرنسى والانجليزى والألمانى . لقد أسفر هذا الاستعمار عن تدمير المدن الاسلامية الزاهرة فى غربى افريقية .

كتب هؤلاء الوطنيون باللغة العربية ، وظلوا كذلك حتى قضى الاستعمار الأوروبى على هذه اللغة وحضارتها وراثتها فى تلك الأصقاع ، ومن أشهر المراكز الاسلامية فى قلب افريقية تنبكت وجنى وجاوعلى النيجر وصكت ( بفتح الصاد وضم الكاف المشددة وضم التاء ، كما ينطقها الوطنيون ) وكانوا وكستنا ، من بلاد الهوسا شرقى النيجر ، ولهذه المراكز الثقافية الاسلامية صلات واسعة ومتنوعة بالعالم الخارجى ولا سيما العالم الاسلامى .

من المؤرخين الوطنيين الفع محمود كعت ( بفتح الكاف وسكون العين وكسر التاء ) ، وهو من مواطنى تنبكت ، عاصر أسكيا الحاج ( ت ١٥٢٩ م ) سلطان صنغى الاسلامية ، وصحبه فى الحج الى مكة ، وكتابه « تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الامور تفريق أنساب العبيد من الأحرار » . بدأ فى تأليفه عام ٩٢٥ هـ / ١٥١٩ م ، ويتضمن وصفا دقيقا لامبراطورية زمن صنغى الأساكي ، وقد أكمله حفيده الى حوادث عام ١٦٠٠ م ، وقام غيره بالتدليل عليه وتكلمته حتى عام ١٦٦٠ م . وقد نشره المستشرقان الفرنسيان هوداس ودولافوس فى باريس عام ١٩١٣ م وترجماه الى اللغة الفرنسية .

ومن الوطنيين أحمد بن فرتوا مؤرخ بلاط امبراطورية البرنو الاسلامية زمن الماى ادريس ألوما ( ت ١٥٨٣ م ) ولابن فرتوا كتاب فى تاريخ الماى ادريس ألوما ، يتناول أحداث وحروب الاثنى عشرة سنة الأولى من حكمه ؛ وقد نشر هذا الكتاب وترجم الى الانجليزية فى لندن عام ١٩٢٦ م . ولهذا المؤلف كتاب آخر يتناول الحروب بين كانم وقبائل

البولالا ، وقد نشر رثشموند بالمر Sir R. Palmer هذين الكتابين ،  
كما ترجم الكثير منهما فى كتابه The Bornu Sahara & Sudan .

ومن اعلام العلماء المؤرخين أحمد بابا المتوفى فى تنبكت عام  
١٦٠٧م ، وله كتاب «الذيل» ، ومع أن أحمد بابا من أسرة أقيت الشهيرة  
من قبيلة جداله البربرية ، الا أنه استوطن بلاد السودان وتلقى العلم على  
يدى عالم من الماندينجو ، كان هذا العالم تلميذا لجد أحمد بابا .

وقد عشر الرحالة دكتور بارث Dr. Barth خلال رحلته فى  
افريقية ( ١٨٤٩ - ١٨٥٥ م ) على بعض الوثائق العربية التى كتبها  
الافريقيون ، منها تاريخ لمملكة صنغى لمؤلفه أحمد بابا ، وبعض تاريخ  
البرنو ، وكانوا ، ونشرها ، ولم يخف بارث اعجابه بمؤلف أحمد بابا ،  
وعلق عليه بأنه أعظم ما يضاف الى معلومات العصر الحديث عن تاريخ  
البشرية ، فى جانب لم يكن معروفا من قبل .

أما عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السعدى ( توفى بعد عام  
١٦٥٥ م ) ، فهو من أسرة سودانية ارستقراطية ، ومن مواطنى تنبكت  
وكتابه « تاريخ السودان » انتهى فيه الى حوادث ١٠٦٥ هـ = ١٦٥٤ م  
ونقل فيه كثيرا عن الذيل لأحمد بابا . وكذلك كان كتاب السعدى من بين  
ما عثر عليه بارث فى مدينة جواندو عام ١٨٥٣ م ، وقد حققه ونشره  
المستشرقان الفرنسيان هوداس وبنوا فى باريس ١٨٩٨ م .

هناك مؤلفات أخرى كثيرة كتبها العلماء الافريقيون المتأخرون أمثال  
عثمان دان فودى - أى ابن فودى بلغة الهوسا - ( ت ١٨١٧ م ) مؤسس  
امبراطورية الفولانيين الاسلامية ، وابنه محمد بلو ، صاحب كتاب  
« اتفاق الميسور فى فتح بلاد التكرور » ، عرض فيه لتاريخ وأحوال السودان  
الأوسط والحروب التى خاضها الفولانيون ضد البرنو والهوسا ، والرسائل  
المتبادلة بين عثمان دان فودى والشيوخ محمد أمين الكانى راعى دولة  
البرنو الروحى ، وقد حققه ونشره الأستاذ هويتنج C.E.J. Whitting  
فى لندن عام ١٩٥١ م ، والأستاذ هويتنج كان يعمل مدرسا بمدرسة العلوم  
العربية فى كانو .

كذلك للعالم الفولانى عبد القادر دان تافا - نسبة لأمه تافابنت  
عثمان دان فودى - مؤلفات ، منها : أخبار بلاد الهوسا والسودان .

وهناك كتاب « تاريخ نوب » الواقعة شرقى النيجر عند اتصاله بفرعه  
بنوى ، لمؤلفه محمود بن محمد الوالى الفولانى ، ويحتمل ان هذا الكتاب

ألف سنة ١٨٩٠ م ، واشتهر مؤلفه بلقب أمير العلماء ، وينصب موضوع الكتاب على أحوال هذه المنطقة زمن الحكم الفولاني .

ومن الكتب التي أصدرها هؤلاء العلماء ، ما تناول التاريخ العام ، مبتدئاً بقصة خلق العالم ، شأن مؤرخي الإسلام الأولين .

وقد جمع الدكتور ولموت بليدن Dr. W. Blyden - السياسي المسيحي الليبيرى المثقف فى القرن الماضى - عددا من المخطوطات العربية عشر عليها خلال رحلته التى قام بها عام ١٨٥٦ م ، وعلق على ما جمعه من بلاد الماندنجر ، بأنها أحسن خطأ وموضوعاً من المخطوطات العربية الأخرى التى عشر عليها فى منطقة غمبيا ؛ ونشر بليدن كتاباً بخصاصة دراساته وبحوثه ورحلاته ، فى لندن عام ١٨٨١ م ، تحت عنوان : Christianity, Islam & the Negro Race

وقام بعض الكتاب باحصاء المخطوطات العربية ، على اختلافها ، والموجودة حالياً فى بعض بلاد غربى افريقية ، وتنهض الجامعات الافريقية الحديثة فى نيجريا وغانة وغينية والسنغال بمثل هذا العمل .

ومن القوائم التى صدرت حديثاً ، ما أصدره جاكسون فى لندن عام ١٩٢٠ تحت عنوان :

G. Jackson, An Account of Timbuctoo & Hausa.

وما كتبه كسنديل W.E.N. Kensdale تحت عنوان :

A Catalogue of the Arabic Manuscripts preserved in the University Library, Ibadan, Nigeria, 1955-58.

وغير هذين الكاتبين ، كثيرون ممن عنوا باحصاء التراث العربى عامة، فى غربى افريقية ، ولا يزال الكثير من هذا التراث فى حاجة الى نشر علمى سليم ، على ايدى المؤرخين والعلماء العرب والأفارقة، لأنه ليس من المقبول أن ينفرد باحياء التراث العربى من هم من غير العرب أو من غير الأفارقة ، فلا ينبغى أن نبقى عالمة على غيرنا ، حتى هذا العصر ، وان كنا لا ننكر أو نغمط من حق من تجشموا المصاعب وصبروا ففى هذا العمل العلمى الرفيع ، فلهم منا التقدير (١) .

(١) لمزيد من التفاصيل عن جهود بعض المستشرقين فى نشر التراث العربى الافريقى وترجمته ، انظر : الإسلام واللغة العربية للمؤلف ص ٤٤ وما يليها .



- رابعاً -

### ما كتبه الأوروبيون

وأولهم البرتغاليون ، فإن السجلات والمدونات التي كتبها بحارتهم ومكتشفوهم ؛ عن بعض جهات افريقية وأحوالها العامة ، تعد من المراجع الهامة ، وكان البرتغاليون قد استفادوا كثيراً من تراث المسلمين ومعارفهم عن تلك البلاد ، حتى من قبل حركة الكشف الجغرافي ، وهذا لا يعنى أن بعض ما كتبه البرتغاليون لم يكن فيه خطأ أو تحريف .

وفى أعقاب البرتغاليين جاءت بقية الدول المكتشفة والمستعمرة الى افريقية ، ومن المراجع الهامة المتخصصة التي كتبها الأوروبيون ما أصدره :

Cooley (1841) — Barth, (1849-55) — Dr. Guintin (1881) — Basset (1888) — Tautain (1895) — Le Chatelier (1899) — Delafosse (1913) — Marty (1921) — Monteil (1930) — Urvoy (1942) — Rouch (1954-1956) — Davidson (1959).

وحدثاً أصدر رولاند أوليفر R. Oliver كتاباً تحت عنوان :  
The Middle Ages of African History, London, 1967.

ورولاند أوليفر ناشر لهذا الكتاب ، واشترك في كتابة فصوله عدد من المتخصصين في التاريخ الافريقي من الافريقيين وغيرهم ، أمثال :  
Allan Ryder — Ado Boahén — Walter Rodney — Gray — David Birmingham — Andrew Roberts.

وقد عالج هذا الكتاب التاريخ القومي الافريقي من شتى جوانبه ، وذلك قبل عصر الاستعمار ، وأذيعت موضوعاته وفصوله من اذاعة لندن في الفترة ما بين أبريل ويونيو ١٩٦٧ م ، وهذا على نحو ما اتبع في الكتاب الذي أصدره قبل ذلك تحت عنوان :  
The Dawn of African History

وعن الاسلام في غربي افريقية ، نجد عشرات الكتب التي أصدرها الأوروبيون ، منها تسعة بحوث أصدرها بول مارتى P. Marty الفرنسي وحده ، بين كتب ومقالات ، من بينها كتاب يقع في أربعة أجزاء ، وقد أصدر هذه البحوث خلال الفترة من ١٩١٩ الى ١٩٣٢ م ، وممن كتب عن الاسلام من الأوروبيين غير مارتى :

Binger (1891) — Marchand (1897) — Le Chatelier (1899) —  
Aè Quellien (1910) — Brevié (1923) — Montzer (1939) —  
Veniat (1947) — Azan (1948).

وصدر في عام ١٩٤٩ م بحوث أخرى عن الاسلام في افريقية  
السوداء عامة ، منها ما كتبه :  
Chailly — Griaule — Capt. Cardaire — Marcel de Coffet —  
Trimingham.

وقد جمع بعض الباحث كل ما استطاع خصره من الكتب والبحوث  
التي تتناول أحوال غربي افريقية ألفرنسي (سابقا) فقط ، ما بين عربية  
وانجليزية وفرنسية وألمانية وأسبانية وبرتغالية وغيرها ، حتى عام  
١٩٣٧ م ، وهذا ما نهض به جوكلا E. Joucla في كتاب أصدره  
تحت عنوان :

Bibliographie de l'Afrique Occidentale Française.

أحصى جوكلا في هذا العمل العلمي النافع نحو ٩٥٤٣ مرجعا ، رتبها  
على حروف المعجم ، وفيها مئات من الكتب التاريخية .

## - خامسا -

### الآثار المكتشفة حديثا

وهذه لاتزال في فجر نشاطها ، وهي هامة جدا لما تلقيه من ضوء  
على تاريخ هذا الجزء أو غيره من القارة الافريقية ، ولما تحققه أو تدعمه  
أو تصححه من كثير مما هو معروف حتى الآن .

بدأت الحفائر في منطقة غربي افريقية عام ١٩٠٧م واستمرت حتى  
عام ١٩٥٤ م . ومن المراجع الهامة التي جمعت أعمال الحفائر والكشوف  
الأثرية ، ما أصدره موني R. Mauny الفرنسي في داكار عام  
١٩٥٤ م تحت عنوان :

Gravures, Peintures et Inscriptions Rupestres de l'Ouest  
Africain.

وكان موني ممن عمل في الحفر مع زميله توماس في الفترة ما بين  
١٩٤٩ ، ١٩٥٠ م ، واليهما يرجع الفضل في تحقيق موضع مدينة كومبي  
صالح عاصمة غانة والحي الاسلامي فيها بصفة خاصة .

واعتمد باسل دفيدسن B. Davidson على أعمال البحوث الأثرية:  
في اصدار كتابه : Old Africa Rediscovered.

وقد صدر هذا الكتاب في لندن عام ١٩٥٩ م ، كذلك اعتمدت،  
الكاتبة مارجريت شيني M. Shinnie على أعمال الحفائر ،  
في اصدار كتابها الحديث في لندن عام ١٩٦٥ م ، وعنوانه :  
Ancient African Kingdoms.

أما بعد - فاني أرجو أن أسد بهذا الكتاب ثغرة في المكتبة العربية  
في التاريخ القومي الافريقي . وآله ولي التوفيق &

ابراهيم على طرخان

القاهرة

٢٧ جمادى الآخرة ١٣٩٢ هـ

٧ أغسطس - آب ١٩٧٢ م

# الفهرس

## الفصل الأول

### قيام دولة مالى

أهمية تاريخ مالى - الماندينجو مؤسسو دولة مالى - تفسير كلمة الماندينجو - فروع قبائل الماندينجو - تفسير كلمة مالى - شهرة الدولة باسم بلاد التكرور - تاريخ ظهور الماندينجو السياسى على مسرح التاريخ الافريقى - الأسر الحاكمة : الأسر الأولى - أسرة الترويين - أسرة الكونانيين - أسرة كيتا المشهورة وأصولها - تفسير الاسم - أشهر ملوكها الأوائل : - ألاكوى - نارى فامغان وأبناؤه - سندياتا أو مارى جاطه ( ١٢٣٠ - ١٢٥٠ م ) المؤسس الحقيقى لدولة مالى - اسمه ولقبه وما حيك حول مغامراته من أساطير - قضاؤه على امبراطورية الصوصو - انشاء مدينة نيانى واتخاذها عاصمة - شهرة نيانى باسم مالى - دولة مارى جاطة .

( ص ٢٥ - ٤٣ )

## الفصل الثانى

### انتشار الاسلام فى مالى

تمهيد فى قدم الاسلام فى غربى افريقية - الفتح العربى الاسلامى لبلاد المغرب وأثره - المرابطون ودورهم فى نشر الاسلام جنوبى الصحراء فى القرن الحادى عشر الميلادى - قصة اسلام أول ملوك مالى - تحديد عصره وشخصيته - أثر الاسلام فى مالى - دور مالى فى الدعوة الاسلامية - بلاد حوسى تعتنق الاسلام على أيدي الدعاة المالين - طبيعة انتشار الاسلام فى مالى وغيرها من بلاد غربى افريقية - المقارنة بين انتشار الاسلام وانتشار المسيحية فى بلاد السودان . ( ص ٤٧ - ٦٠ )

### الفصل الثالث

خلفاء ماري جاطه

١٢٥٥ - ١٣١٢ م

منسا على ( ١٢٥٥ - ١٢٧٠ م ) - اتساع مساحة دولة مالي -  
السيادة على صنغى - استغلال مناجم الذهب فى ونقاره وأهميتها لدولة  
مالي - فترة اضطرابات ( ١٢٧٠ - ١٢٨٥ م ) - عهود : ولى وخليفة  
وأبى بكر - المغتصب سيكره ( ١٢٨٥ - ١٣٠٠ م ) - اعادة هيبه مالي  
واتساعها - حجة وزيارة مصر زمن الناصر محمد بن قلاوون - مقتل  
سيكره سنة ١٣٠٠ م - فترة اضطرابات أخرى ( ١٣٠٠ - ١٣١٢ م ) -  
عهود : قو ومحمد وأبى بكر .

( ص ٦٣ - ٧٠ )

### الفصل الرابع

دولة مالي الاسلامية فى ذروة مجدها

السلطان كنگن موسى

( ٧١٢ - ٧٣٨ هـ = ١٣١٢ - ١٣٣٧ م )

شخصية السلطان موسى وألقابه - ولايته - اتساع الدولة فى زمنه  
اخضاع ما بقى من أملاك غانة - اخضاع بلاد التكرور - فتح جاو عاصمة  
صنغى ١٣٢٥ م - اخضاع تنبكت ١٣٢٩ / ١٣٣٠ م - أقاليم مالي الأربعة  
عشر - مساحة مالي زمن موسى تعدل مساحة كل دول غربى أوروبا -  
حجه وموكبه ٧٢٤ هـ / ١٣٢٤ م - استقباله فى القاهرة - سفره الى الحجاز  
وعودته - اقتراضه ووفائه بديونه - ذبوع شهرة مالي - ظهور مانسا  
موسى فى خرائط العالم التى صدرت فى أوروبا فى العصور الوسطى .  
( ص ٧١ - ٩٢ )

### الفصل الخامس

دولة مالي بعد كنگن موسى

مغان الأول بن مانسا موسى ( ١٣٣٧ - ١٣٤١ م ) - غزو قبائل  
موش ونهب تنبكت - السفارة المغربية - فرار رهائن صنغى - مانسا  
سليمان أخو مانسا موسى ( ١٣٤١ - ١٣٦٠ م ) - الاصلاح الداخلى

وعنايته بالعلماء والمساجد - حجة ١٣٥١ م - ابن بطوطة يزور مالي زمن مانسا سليمان - وصفه الدقيق لأحوال مالي .  
( ص ٩٣ - ١٠٢ )

## الفصل السادس

### نهاية دولة مالي

عوامل الضعف الداخلية - الأخطار الخارجية - خلفاء مانسا سليمان : قنتبا بن سليمان وماري جاطه الثاني ( ١٣٦٠ - ١٣٧٤ م ) - فسوق ماري جاطه وسوء تدبيره - استبداد وزيره - الفتن الداخلية - ووثوب صندكي رئيس العبيد والوزير الى العرش ( ١٣٨٨ - ١٣٩٠ م ) - مفان الثالث ( ٧٩٣ هـ = ١٣٩٠ م ) - غموض تاريخ مالي منذ مطلع القرن الخامس عشر الميلادي - أخطار الطوارق وموش والفولانيين والتكارره - صنغى وخطرها زمن أسرة « س » - تخريب مالي العاصمة - تبعية مالي لصنغى - استغاثة مالي بالعثمانيين والبرتغاليين - سفارة البرتغاليين الى مالي - أسرة الأساكي في صنغى تنتزع معظم أملاك مالي - تجدد خطر التكارره والفولانيين واستغاثة مالي مرة أخرى بالبرتغاليين - مالي زمن الغزو المراكشي لصنغى - اختفاء مالي .  
( ص ١٠٥ - ١٢٣ )

## الفصل السابع

### الأحوال العامة في دولة مالي

#### ( أ ) نظم الحكم وتقاليده :

نظام وراثه العرش - قاسا وأهميتها في الحكومة - طابع الحكم - نظام التخصص الادارى - استخدام الخط العربى فى المكاتبات - دوجو (القرية) هى وحدة التنظيم الادارى - مستشارو السلطان وكبار موظفيه - القنجا والصندكى والغنف - اعتماد السلاطين على طبقة البولا - حكام الولايات : الكي والغربا والمكريف - النظام المالى والقضائى - الجيش وأسلحته ومراسم تنصيب الفارس - الفرارية .  
( ١٢٥ - ١٣٤ )

## ( ب ) الحياة الاقتصادية :

العمران فى دولة مالى - ثرواتها الطبيعية - الزراعية - الحيوانات - الطيور - التجارة والتحكم فى طرق القوافل - سلع التبادل الافريقية والأجنبية - مناجم النحاس فى تكده وضخامة القوافل المارة بها - الذهب فى ونقاره - مناجم الملح فى تغازه ووصف ابن بطوطة لها - التعامل بالملح - شهرة مدينة جنى التجارية - الودع - شركة المقرى التجارية .  
( ص ١٣٥ - ١٤٥ )

## ( ج ) الحياة الروحية والعلمية والفنية :

سيادة المذهب السننى المالكى - مذهب الخوارج الاباضية ( صغنفور ) - المساجد وانتشارها - المسجد الجامع فى تنيكت - مسجد سنكرى - بعض الأئمة من السود والبيض - المحافظة على صلاة الجماعة - صلاة العيد - حرمة المساجد ودار الخطيب - العلماء والفقهاء - جامعة سنكرى - المدارس - جنى وكثرة العلماء بها - الحرص على حفظ القرآن - اللغة العربية ومكانتها - الأطباء المصريون فى مالى - تطور فن العمارة فى مالى  
( ص ١٤٧ - ١٥٥ )

## ( د ) الحياة الاجتماعية :

طابع الحكم وأثره - مكانة السلطان فى نظر الرعية - كيفية دخول القصر السلطانى - نظام التحية - كيفية مخاطبة السلطان - ظاهرة التتريب فى مجلس السلطان - الأثر الشرقى والاسلامى : الشعار والرنك وهىة ركوب السلطان - هئية جلوس السلطان فى المشور - جلوسه فى القبة - مواكب الأعياد وألعاب التسلية - تقاليد الأكل - سطحية الفهم للدين الاسلامى - جوارى السلطان - الاختلاط بين الجنسين - بعض العادات السيئة - خروج الخدم والجوارى عاريات - الأزياء وتنوعها  
( ص ١٥٦ - ١٦٤ )

## ( هـ ) العلاقات الخارجية :

شهرة مالى فى الخارج - اهتمام أوروبا وظهور مالى زمن كتنك موسى فى خرائط العالم - الصلات مع الجيران الافريقيين : الصوصو - جنى - صنغى - الطوارق - موش - الفولانيون - العلاقات مع دول المغرب - العلاقات مع مصر - : الصلات القديمة - أهمية موقع مصر ومركزها

الدينى والسياسى والثقافى - شواهد حية على قدم العلاقة - العلاقات  
التجارية والثقافية - الصيغ الخاصة فى الدواوين الملوكية لمخاطبة  
ملوك مالى - العلاقة مع أوروبا .

( ص ١٦٥ - ١٧٠ )

### خاتمة

( أ ) ظهور البامباره على أنقاض مالى وصنقى :

اسطورة الأخوين كولوبالى - دولة سيجو - اصطدامها ببقايا مالى  
زمن ماما مغان كيتا - نهاية دولة سيجو على أيدي التكراره عام ١٨٦١ م  
- دولة كا أرتا المنافسة - شهرتها وتوسعها زمن الماسا أبى بكر - نهايتها  
على أيدي التكراره - ظهور سامورى التورى من البامباره وتوحيد صفوف  
الماندنجو - كفاحه ضد الاستعمار الفرنسى - وفاته عام ١٩٠٠ م  
( ص ١٧١ - ١٧٥ )

( ب ) جمهورية مالى الحديثة :

( ص ١٧٧ - ١٧٨ )

### الملاحق

معجم بالألفاظ والمصطلحات

( أ ) ألفاظ ومصطلحات

( ب ) الأثر اللغوى العربى والإسلامى عند الماندينجو

وجيرانهم فى غربى افريقية

- ١ - بعض الألفاظ العربية الدينية .
- ٢ - فى مجال التعليم .
- ٣ - أدوات كتابية .
- ٤ - مواقيت .
- ٥ - أدوات حربية .
- ٦ - حيوانات
- ٧ - نباتات .
- ٨ - موازين ومكاييل .
- ٩ - ملابس .



- ١٠ - أسماء الأعلام : كبرياء المصطفى عليه السلام  
 (١) - أسماء المدن .  
 ( ص ١٨١ - ١٩٨ )

### الخرائط

- ١ - انتشار قبائل الماندينجو ص ٢٨  
 ٢ - عواصم مالي ص ٤٤ ( أ )  
 ٣ - دولة الماندينجو زمن ماري جاظه ص ٤٦ ( ب )  
 ٤ - الدور الثالث من أدوار نشر الدعوة الإسلامية في غرب أفريقية على أيدي قبائل الموندينجو ص ٥٧  
 ٥ - انتشار الإسلام في غربى أفريقية والحركات المضادة ص ٦١  
 ٦ - دولة مالي في أقصى اتساعها زمن كينكي موسى ص ٧٨  
 ٧ - «موسى مالى سيد زنج غينيه» - الأطلسى ص ٩٠  
 ٨ - رحلة ابن بطوطة ص ١٠٣  
 ٩ - البرتغاليون في غربى أفريقية ص ١١٦  
 ١٠ - طرق القوافل ص ١٤٦  
 ١١ - بقايا مالي الممثلة في مملكة سامورى التورى ص ١٧٦  
 ١٢ - الحركات الوطنية والاستقلالية في غربى أفريقية وجمهورية مالي الحديثة ص ١٧٩

### القوائم

- ١ - قائمة بأسماء الأسر والملوك في دولة مالي ص ١٢١  
 ٢ - قائمة بأسماء الملوك المعروفين من أسرة كيتا ص ١٢٤

### المراجع

- القسم الأول : المراجع العربية ص ١٩٩  
 القسم الثانى : المراجع الأجنبية ص ٢٠٧ - ٢١٣

## الفصل الأول

# قيام دولة مالي

أهمية تاريخ مالي - الماندينجو مؤسسو دولة مالي - تفسير كلمة الماندينجو - فروع قبائل الماندينجو - تفسير كلمة مالي - شهرة الدولة باسم بلاد التكرور - تاريخ ظهور الماندينجو السياسي على مسرح التاريخ الأفريقي - الأسر الحاكمة : أسر مجهولة - أسرة التزورين - أسرة الكونانيين - أسرة كيتا المشهورة وأصولها - تفسير الاسم - أشهر ملوكها الأوائل : الأكوبي - تاري فامغان زانماؤ - سنداياتا أو ماري جاطة (١٢٣٠ - ١٢٥٠ م) المؤسس الحقيقي لدولة مالي - اسمه ولقبه وماحيك حول مغامراته من أساطير - قضاؤه على امبراطورية الصوصو - إنشاء مدينة نياني واتخاذها عاصمة - شهرة نياني باسم مالي - دولة ماري جاطة .

تعد دولة مالي أقنوى وأعز الدول الإفريقية التي ظهرت في السودان الغربي ويميزها عن غيرها ذلك الدور الكبير الذي لعبت به من أجل توحيد القبائل، للزنجية داخل ولايات أو وحدات أو ممالك (١) وكذلك الدور البارز في نشر الإسلام والدعوة له في جميع بلاد غرب إفريقيا (٢)

(١) Hogben, S.J., The Muhammadan Emirates of Nigeria, p. 30; Fage.

J.D., Introd., p. 24.

(٢) الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط للمؤلف ص ١٧ - ١٨ ،  
Le Chatelier, A., L'Islam dans l'Afrique Occidentale, p. 74.

يقول العمري :

« مالى أعظم ممالك السودان ، وملكها أعظم ملوك السودان المسلمين ،  
وأحسنهم حالا ، وأقهرهم للأعداء » ( ١ ) .

ويقول القاضى الفع محمود كعت :

« وأما مل ، فاقليم واسع وأرض كثيرة عظيمة مشتملة على المدن  
والقرى ، ويد سلطان مل ميسوطة على الكل بالقهر والغلبة ، وكانوا  
يقولون : سلاطين الدنيا أربعة :

السلطان الأعظم سلطان بغداد ( وهو صاحب اسطنبول ) ( ٢ ) ،  
وسلطان مصر ، وسلطان برن ، وسلطان مل » ( ٣ ) .

والمقصود بهذه العبارة قوة سلاطين آل عثمان ولا سيما أوائلهم  
عند استيلاء سليم الاول على بغداد عقب تحطيمه لدولة الصفويين عام  
١٥١٤ م ثم سلاطين مصر من المماليك ، قبل عهد بروز القوة العثمانية فى  
الشرق الأوسط ، اذ كانت مصر ذات علاقة وثيقة بالدول الافريقية  
الاسلامية ، كما كانت قبلة هذه الدول فى العقيدة والثقافة ، ثم مايات  
الأسرة السيفية ( ٤ ) فى برنو ، وأخيرا سلاطين مالى .

ويعد دونا لفيدنر D. Wiedner ظهور دولة مالى وازدهارها  
أعظم مميزة لأعظم فترات التاريخ الافريقى تطورا وتقدما ( ٥ ) .



ومؤسسو دولة مالى هم قبائل الماندنغو Mandingo ،  
وقد سادت هذه القبائل لبضعة قرون فى المنطقة الفسيحة الممتدة بين نهر  
النيجر والمحيط الأطلسى أى فى الوديان العليا لنهرى السنغال ، وامتدت

(١) مسائلك الابصار ج ٢ ق ٣ (مخطوط) ورقة ٤٩٤ .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى هامش احدى مخطوطات كتاب الفناش لصاحبه سععود  
كعت ، ولكنها لم ترد فى متن مخطوطة الكتاب المذكور ولا فى متون أو هوامش نسخ  
المخطوطات الأخرى ، وهذه العبارة مكتوبة بخط يختلف عن خط المتن .

(٣) كتاب الفناش ص ٣٨ .

(٤) امبراطورية البرنو الاسلامية للمؤلف .

D. Wiedner, A History of Africa South of the Sahara, p. 34 (٥)

تحو الجنوب إلى حوالي خط عرض ٥٩ شمالاً ، ولا توجد منها جماعات مبعثرة في مناطق أخرى بحوض النيجر وما حوله (١) .

والتسمية المتداولة بين قبائل الماندينجو هي : المانكا Manenka أو الماندنكا Mandinka أو الماندن Mandin أو ماننج Maning أو ما ننجا Manenga أو ما ندنج Mandeng ، وهي كلها متقاربة (٢) .

من هذه التسميات ، أخذ الجيران والأجانب الذين احتكوا بهذه القبائل الصيغ التي أشاروا بها إليها ، فأطلقت قبائل وادي نهر غمبيا الأذني على هذه القبائل اسم الماندينجو ، واستخدم البرتغاليون والانجليز هذه التسمية نقلاً عن القبائل ، وأطلق الفولانيون والتكاررة عليها اسم المانكا ، وتبعهم الفرنسيون (٣) ، أما قبائل حوسي (٤) Hausa ، فأطلقت كلمة ونقاره Wangara ، وأرادت بها الماندينج ، إلا أنها تعني بهذه التسمية فرعين فقط من فروع قبائل الماندينجو ، وهما السوننك Soninke ، والجولا Jula ؛ ثم إن قبائل البامبارة Bambara ، إحدى فروع الماندينجو تستخدم كلمة ماني Mani للدلالة على مجموعة قبائل الماندينجو (٦) .

تتكون كلمة ماندي Mandi ، في لهجة قبائل السوننك ، إحدى فروع الماندينج من مقطعين هما : ما Ma + دي di ؛ وحرف الربط بينهما هو ( ن N ) ، ويعني المقطع ( دي ) في اللهجة السوننكية ( في ) أو ( عند ) ، ويعني المقطع ( ما ) السيد ؛ ومن ثم فإن

(١) Spitz, G., L'Ouest Africain Français, p. 62 ; 2Guilly, L'Islam dans l'Afrique Occidentale Française, p. 54 ; Delafosse, Traditions Historiques et Légendaires du Soudan Occidental, p. 19 ; Monteil, Les Empires du Mali, p. 11 ; Urvoy, Petit Atlas Ethnographique du Soudan, p. 28 ; انظر خريطة توزيع قبائل الماندينجو رقم (١) .

(٢) Labouret, Mali (Ency. of Islam) Vol. III, p. 239 ; Le Chatelier, Op. cit., 91-95 ; Monteil, Op. cit., p. 7 ; Delafosse, Op. cit., p. 19 ; Trimmingham, Islam in West Africa, p. 14.

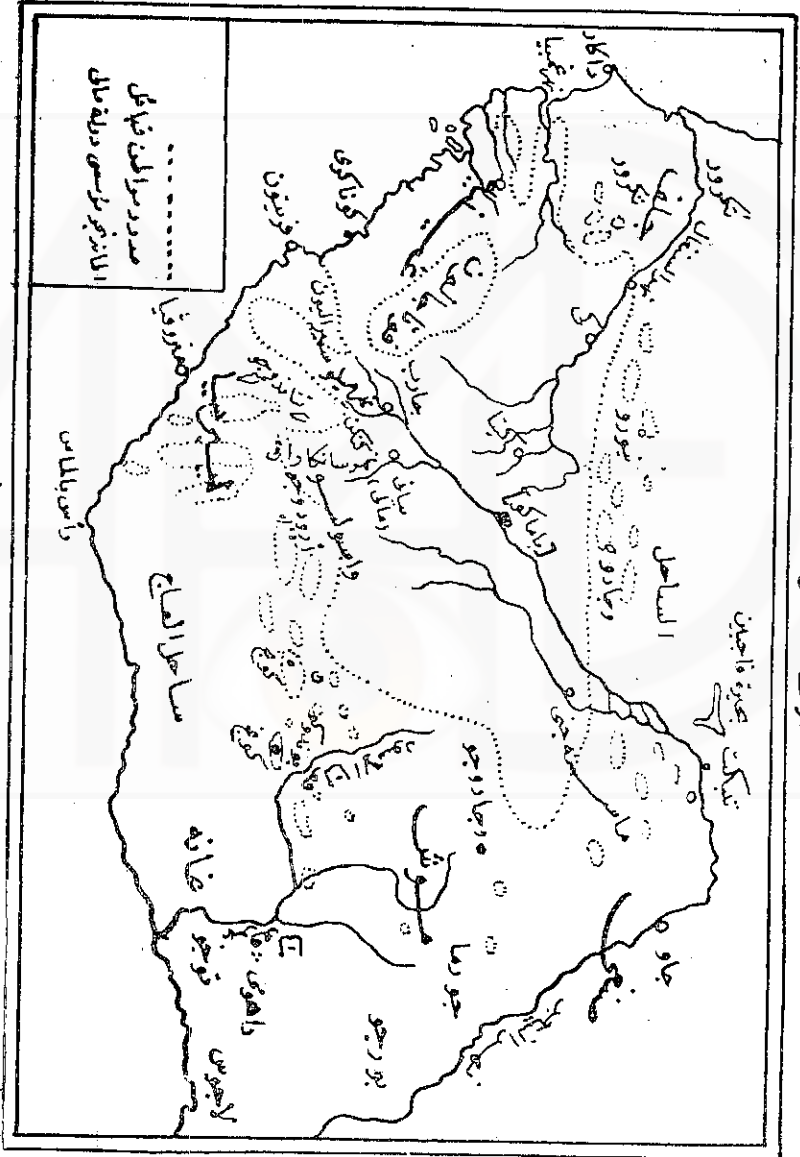
(٣) Church, p. 238 ; Le Chatelier, p. 75

(٤) الصيغة العربية عن المعلم جنيد وزير حكمت وعن ألفا هاشم الفتوي

(٥) Palmer, Sudanese Memoirs III, p. 86 ; Labouret, p. 239 ; Trimmingham, p. 13.

(٦) Bovill, The Golden Trade of the Moors, pp. 194-195. Monteil, p. 7.

دولة مسقط



« انتشار وفنائه الماندنجو »

كلمة ماندى تعنى عند السوننك : عند السيد أو فى مركز إقامة السيد أو  
البحاكم ، وبمعنى آخر العايضة . (١)

هناك تفسير آخر لكلمة ماندينج ، يقرب من هذا التفسير ، ومؤداه  
أن كلمة ( ما ) تدل على معنى الأم وكلمة ( دنج ) تدل على معنى الطفل أو  
الابن ، فيكون المعنى ( ابن الأم ) ، وفى هذا ما يدل على أهمية النسب الى  
الأم أو النساء عامة ، وهو أمر مألوف عند الماندينجو وكذلك عند غيرهم من  
قبائل غربى افريقية (٢)

كذلك بذلت محاولة لتفسير كلمة مالنك أو مالنكا ، باعتبارها مشتقة  
من كلمة مالى أو مرى Meri ، أى فرس النهر أو أصحاب فرس  
النهر أو الناس الذين يكثر فى مياه أنهارهم فرس النهر . والذى ثبت من  
البحوث اللغوية أن هذا التخريج غير صحيح ، المقطع ( كا Ka ) يدل  
على معنى التبعية المحلية أو الوطنية ، ويضاف عادة الى الموطن الأصلي الذى  
نشأ فيه هذا الجنس أو هذا العنصر أو هذه القبيلة ، ولا يمكن أن يلحق  
أو يربط باسم حيوان (٣)

وعموما ، كلمة ( ماندى ) مصطلح لغوى أكثر من جنسى ، فهو يطلق  
ويراد به مجموعة القبائل المتكلمة بلغة الماندا (٤) . ومن القبائل المتكلمة  
بهذه اللغة المانديكا أو المالنكا ، وهى الفرع الرئيسى الذى غلب اسمه على  
دولة مالى ، وكذلك قبائل البامباره ، ويحرف أيضا الى البانمانا Banmana  
وهى التى نهضت فى القرن السابع عشر الميلادى ، بعد زوال مالى ،  
واعتبرت امتدادا لها كما اعتبرت آخر ممثل سياسى لدولة مالى التاريخية ،  
وذلك خلال حركة الاستعمار الاوروبى لافريقية (٥) .

ومن فروع الماندينجو : الديولا Dyula أو الجيولا Giula ،  
والسومونو Somono والبوزو Boso والسوننك . على أن

(١) Monteil, p. 7.

(٢) Labouret, p. 239.

(٣) Ibid.

(٤) تنتشر لغة الماندينجو فى العصر الحاضر فى المناطق الجبلية بأعلى نهر السنغال،  
وتتركز القبائل المتكلمة بها فى أقاليم : سانجاران Sangaran وسانجاناران Gangaran  
وبامبوك Bambuk ووادى غمبيا الأدنى ، كذلك تنتشر هذه القبائل شمالا حتى  
الصحراء (Labouret, p. 239)

(٥) Trimingham, p. 14; Fage, pp. 144-8; Le Chatelier, pp. 88-93;

Labouret, pp. 241-2; Rouch, Les Songhay, p. 10; Gouilly,

pp. 64-74.

انظر الخاتمة

أهم هذه الفروع أربعة هي : المالنك والبامباره والديولا والسوننك (١) .

ويلاحظ على هذه الفروع ، أن البامباره والديولا والماندنكا، تتشابه في اللهجة والنظم الاجتماعية وإلى حد ما المستوى الثقافي ، غير أنها تفترق عن بعضها البعض نتيجة لاختلاف محال اقامتها ومدى انتشارها واتجاه تاريخ كل منها ، وبسبب عدم انتشار الإسلام بينها كلها في وقت واحد . أما السوننك ، فتغلب عليها الدماء البربرية والفلوانية ، لاختلاطها ، بها ، ومن ثم هناك بعض التغير في ألوانها ، حتى أن قبائل الجلف Wolofs تطلق على السوننك اسم السراكول Sarakole ومعنى هذه الكلمة بلغة الجلف : الناس الحمر أى البيض (٢) .

وتدعى جميع فروع قبائل الماندنجو أنها جاءت أصلا من الشرق مع أن السعدى يقول عن أهل مالى « وهم سودان فى الأصل » (٣) .

أما كلمة مالى أو مل ، وهى ما اشتهرت به هذه الدول فى الكتب العربية والأجنبية على السواء ، فهى التسمية التى استخدمتها قبائل الفولانيين على بلاد الماندنجو أو المالنك ، وهى تحريف لكلمة ماندى Mandi التى تعنى العاصمة عند السوننك ، كما أن كلمة مالنك تعنى عند الفولانيين ، رعايا مالى أو سكان مالى (٤) . وقيل أن كلمة مل أو ميليت ، التى ظهرت فى بعض خرائط العصور الوسطى ، تسمية بربرية (٥) .

ولقد أشار الكتاب العرب من المؤرخين والجغرافيين الى دولة مالى باسم مل أو مالى أو ملي ونحوها ، ومن هؤلاء الكتاب : البكرى وأبو حامد الغرناطى والادريسي وابن سعيد وأبو الفداء والعمري وابن بطوطة وابن خلدون والقلقشندي وليو الافريقى وابن اياس والسعدى وصاحب الفتاش (٦) .

(١) Urvoy, pp. 27, 29 ; Trimmingham, pp. 13-15.

(٢) Le Chatelier, pp. 67-69, 88-95 ; Labouret, p. 240 ; Marty, Etudes sur l'Islam et Les Tribus de Soudan, p. 220.

(٣) تاريخ السودان ص ٩ - ١٠ .

(٤) Monteil, p. 7 ; Delafosse, p. 19 ; Fage, p. 24 ; Fyfe, A History of Siera Leone, p. I.

(٥) Labouret, p. 239 ; Monteil, p. 7.

(٦) المسالك والممالك ص ٧٨ ، تحفة الالباب ص ٤٢ ، نزهة المشتاق (غير مرقم) ، مسالك الابصار ج ٢ ق ٢ ورقة ٤٤٩ (مخطوط) ، رحلة ابن بطوطة ج ٤ ص ٣٩٧ ، العبر ج ٥ ص ٤٣٣ ، صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٨٢ ، الكتاب السابع لليو الافريقى ص ٢٨٧ ، نشق الأزهار ص ١٧٨ ، تاريخ السودان ص ٧ ، تاريخ الفتاش ص ٣٨ - ٣٩ .

فاذا أطلقت كلمة مالى ، فانها تعنى العاصمة ، كما تعنى الغولة ،  
يقول ابن بطوطة :

« فوصلت الى مدينة مالى ، حضرة ملك السودان » (١) .

ويقول السعدى :

« اقليم مل كبير واسع جدا فى المغرب الأقصى الى جهة البحر  
المحيط » (٢) .

\*\*\*

اشتهرت دولة مالى كذلك باسم « بلاد تکرور » - بضم التاء - ،  
واشتهر ملكها باسم «ملك التکرور» أو «سلطان التکرور» ، والصواب  
هو أن تکرور احدى المدن أو الممالك أو الأقاليم التى خضعت لسيادة مالى .  
يقول العمري :

« ويغلب على سلطان مالى ، عند أهل مصر ، سلطان التکرور ، ولو  
سمع هذا أنف منه ، لأن التکرور اقليم من أقاليم مملكته ، والأحتماليه أن  
يقال صاحب مالى ، لأنه - أى اقليم مالى - الاقليم الأكبر ، والتکرور مدينة  
من مدنها (٣) » . وفى التعريف : « ومالى اسم اقليم والتکرور مدينة  
من مدنها (٤) » .

ويقول القلقشنندى :

« مالى المعروفة عند العامة ببلاد التکرور » (٥) .

وكلمة تکرور وتكراره ، والعامة تقول تكارنة ، تستعمل فى  
السودان الشرقى للدلالة على جميع سكان السودان الأوسط والغربى (٦)  
كما تستعمل كلمة الفلاتا فى السودان وادى النيل ، للدلالة على جميع

(١) الرحلة ج ٤ ص ٣٩٧ .

(٢) تاريخ السودان ص ٩ .

(٣) مسالك الأبيصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٤ .

(٤) التعريف ص ٣٧ .

(٥) صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٨٢ .

(٦) عبد الله حسين : تاريخ السودان ص ٧٩ .



الواردين من نيجريا ، والتكاره ليسو سوى قبائل التكوولور Toucouleurs أو تاكورور Takoror ، وقبائل الجلف هي التي أطلقت هذه التسمية عليها (١) (٢)

والخلاصة أن دولة مالي اشتهرت بأكثر من اسم ، فهي تارة دولة الماندينجو وأخرى دولة مالي ، ثم هي مملكة التكورور .

أما ظهور قبائل الماندينجو السياسي على مسرح التاريخ الإفريقي لأول مرة ، فهذا يرجع الى زمن بعيد ، ومعلوماتنا قليلة عن التاريخ القديم لدولة الماندينجو وذلك بسبب ندرة المصادر واختلاط الروايات الشفهية بالأساطير . ثم ان السجلات والوثائق الخاصة بدولة الماندينجو ، لم تدون الا بعد مرور نحو سبعة قرون أو ثمانية من ظهورها ، علما بأن هذه الوثائق والسجلات لم تعن الا بأخبار الأسر الحاكمة دون الرعايا ، مع نقص أيضا في هذه الأخبار (٢) .

هناك رواية تقول ان ظهور هذه الدولة يرد الى الفترة التي تكونت خلالها دولة غانة ، وذلك قبل البعثة النبوية بزمن طويل ، وأنه خلال تلك الفترة التي يقدر مدتها الزمني بعهود حوالي اثنين وعشرين ملكا في غانة (٣) ، كانت دولة الماندينجو تنمو وتتسع تدريجيا في إقليم كاجابا بأعلى نهر النيجر . وقد بدأ المعروف عن تاريخ هذه الدولة ، يتضح منذ القرن السابع الميلادي ، على أنها بلغت ذروة مجدها خلال القرن الرابع عشر الميلادي (٤) .

ولي هذه الدولة منذ فجر ظهورها ، ما لا يقل عن ثمانين أسرة حاكمة ، لا يعرف منها الا القليل (٥) .

الأسر الأولى

فالأسر الأولى ، غير المعروفة ، الا أن بعض الكتاب أوردت أسماء لها ، دون أن يكون هناك ، فيما أعلم ، معلومات عنها ، ومن هذه

الأسر :

Urvoy, p. 31; Fage, p. 146; Delafosse, Takur (Ency. of Islam), Vol. IV, p. 633.

Fage, p. 24; Le Chatelier, pp. 74-79; Hogben, p. 30. (٢)

(٣) السعدى ص ٩ - ١٠ ، غانة في العصور الوسطى للمؤلف ص ٤٠ .

Church, R.J.H., West Africa, p. 238; Stamp, D., Africa, A Study in Tropical Development, p. 273, Okafor, West Africa Background, p. 28.

أسرة كوروما Kuruma

أسرة ديارا Diara

أسرة مركو Mareko

أسرة كامارا Kamara

أسرة باكاويكو Bakayoko الخ (١) ...

### أسرة الترويين

أما أسرة الترويين Taraore التي تلت هذه الأسر الأولى فقد ظهرت في منطقة كيري Kiri بأعلى نهر السنغال ، واتخذت مدينة نياجاسولا Niagassola عاصمة لها ، وتقع هذه العاصمة عند أعلى نهر باخوي أحد فروع السنغال ؛ تقول الروايات الشفوية المتداولة : ان مؤسس هذه الأسرة قد اعتنق الاسلام (٢) ، وانه يسمى منسانوفن تارورا Mansa Nofin Taraoura ، ومنسما بمعنى ملك (٣) ولا تزال بقايا هذه الى اليوم ، ويلقب أفرادها بالترويين أو النوفيين نسبة الى هذا الجد العبد (٤) .

### أسرة الكونانيين

وفي اقليم دودوجو Doudougou ، شمالي منطقة كيري ظهرت أسرة الكونانيين Conaté ، ويعرف موطن هذه الأسرة كذلك باسم « دو » Do ، وربما كانت مملكة الكونانيين هذه ، هي التي أشار اليها البكري باسم « مملكة دو » (٥) .  
اتخذت هذه الأسرة مدينة تابو Tabou عاصمة لها (٦) .  
والسلف البعيد لأسرة الكونانيين وجمباكوناتي Guimba Conaté وليس من المعروف ، كيف انتقلت السلطة في دولة الماندينجو ، من أسرة الترويين الى أسرة الكونانيين .

(١) Labouret, p. 240

(٢) انظر الفصل التالي .

(٣) انظر قاموس الألفاظ الاصطلاحية بالملاحق .

(٤) Monteil, pp. 53-55

(٥) المغرب ص ١٧٨ .

(٦) Monteil, p. 8.

ومن المحتمل أن أحد ملوك أسرة الكوناتيين، أسلم في القرن الحادي عشر الميلادي ، وهو المعروف باسم جورماندا كوناتي Gourmandana Conaté والمحرّف الى اسم برمتدانه في الكتب العربية (١) . تقول الرواية الشفوية التي يتناقلها الوطنيون في مالي : ان منساجور ماندانا هذا قد اعتمد على طبقة البولا Bouia ، وهي طبقة من العبيد المحررين بلغة الماندنغو ، منها اتخذ ملوك مالي قادة جيوشهم وحكامهم الولايات وجباة الضرائب وأغلب معاونيهم ومستشاريهم .

ونظرا لأهمية هذه الطبقة في دولة الماندنغو النامية ، كان رئيسها شخصية قوية يتمتع بنفوذ كبير . وجرت العادة أن ينتخب هذا الرئيس بواسطة البولا أنفسهم ، وبمرور الزمن ، تكونت من هذه الطبقة أسر قوية ذوات نفوذ واسع و ثراء كبير ، مثل أسرة السوخين Soussokho وأسرة الكامارين Kamara (٢) . وغيرها . واستمر هذا التقليد في عهد خلفاء هذه الأسرة في دولة مالي ، كما عرف هذا النظام في امبراطورية غانة الدائلة ، حيث كانت تعرف هذه الطبقة باسم طبقة الكوسا Kouesa (٣) .

ويشبه هذا ما حدث في فجر التاريخ الروماني من اعتماد بعض الأباطرة على العبيد المحررين ، وما حدث في الدولة الاسلامية في مختلف عصورها في الشرق الأوسط وفي الأندلس الاسلامية ، بل ان دولة كبرى سادت في الشرق الأوسط لمدة تربو على قرنين ونصف ، يرجع حكامها وسلاطينها وجيشها الى العبيد المحررين ، تلك هي دولة المماليك .

والمعلومات قليلة أو نادرة عن خلفاء جورماندا ناكوناتي ، فلا تعرف عنهم سوى اسم ملك واحد هو منسا الو Alo ، ويقال ان منسا ألو هذا هو السلف المباشر للأسرة التالية في حكم دولة مالي ، وهي أسرة كيتا (٤) .

حكمت الأسرتان السابقتان ، من الترويين والكوناتيين ما اصطلاح على تسميته بدولة مالي الشمالية أو امبراطورية مالي الشمالية ، وهي الدولة

(١) انظر الفصل التالي .

(٢) يبدو من اسم هذه الاسرة أنها ذات صلة باحدى الاسر الحاكمة السابقة في مالي، ويحتمل أن سلالتها قد انحدرت الى طبقة البولا بعد زوال سلطاتها السابق .

(٣) Monteil, pp. 56-57

(٤) Monteil, p. 57

الأولى المكونة من إقليمى كيرى ودودجو ، ويطلق أحيانا على هذين الاقليمين اسم واحد جامع هو « دونى كيرى » Do-ni-Kiri (١) .

### أسرة كيتا Keita

لعل أسرة كيتا أهم الأسر فى تاريخ دولة مالى ، فهى صاحبة الفضل فى تكوين دولة واسعة مترامية الأطراف ؛ والوطنيون فى مالى لا يعرفون شيئا محققا عن أصول هذه الأسرة ، ولا عن أوائل ملوكها ، سوى سندياتا الملقب مارى جاطه ، وهو الذى اشتهر أمره وذاع صيته فى القرن الثالث عشر الميلادى (٢) .

يقول دولافوس Delafosse ، ان سلف أسرة كيتا شخص يسمى موسى ديجيو M. Dygiu وموسى هذا هو المعروف عند الوطنيين من الماندنغو باسم الأكوى Allakoi ، ويضيف دولافوس ، أن موسى ديجيو حكم عرش مالى حوالى سنة ١٢٠٠ م وأنه استمر يحكم الى حوالى عام ١٢١٨ م ، وأنه من سلالة بلال الحبشى مؤذن الرسول (ص) ، وأنه جاء من الحجاز أو ولد فى بلاد الماندنغو (٣) .

ويقول الرحالة فيدال Vidal ( ١٩٢٢ ) ، ان سلف أسرة كيتا جاء من اليمن (٤) ، والدعوى بالأصول الشرقية ، أمر مألوف عند جميع قبائل الماندنغو ، بل عند أغلب القبائل الافريقية المشهورة (٥) ، بل ان من الروايات المتواترة حول أصول أسرة كيتا الحاكمة فى مالى ، انها من الأسرة العلوية ، أى من سلالة على بن أبى طالب .

يقول العمري :

« وملك التكرور هذا - الاشارة الى منسا موسى المعاصر العمري وليست الى موسى سابق الذكر - يدعى النسب الى عبد الله بن صالح ابن الحسن بن على بن أبى طالب (٦) » .  
وفى موضع آخر يقول :

(١) Monteil, p. 8.

(٢) Monteil, p. 58 ; Spitz, p. 62.

(٣) Delafosse, pp. 19-20

(٤) امبراطورية البرنو الاسلامية للمؤلف - دول الهوسا الاسلامية للمؤلف -  
Le Chatelier, pp. 75-79 امبراطورية الفولانيين الاسلامية للمؤلف - انظر

(٥ ، ٦) التعريف ص ٢٧ ، انظر زامبور ج ١ ص ١٢٨ .

« ولا يقر له بشيء من الألقاب الدالة على النسب العلوى » (١) .

ويقول ابن خلدون :

« ان بنى صالح من بنى عبد الله بن الحسن ، كانت لهم بها دولة وملك عظيم - الاشارة الى بلاد التكرور أى مالى - ولم يقع لنا فى تحقيق هذا الجزء أكثر من هذا ، وصالح من بنى حسن مجهول » (٢) .

وقيل بصدد تفسير لقب هذه الأسرة ، ان كلمة الأكوى ، معناها الله خالق كل شيء من غير شك ، ثم تحرفت هذه الكلمة فى عهد خلفاء موسى الأكوى الى الأكويتا A. Koïta ، وأخذت معنى جديدا هو المنحدر عن الأكوى ، ثم اختصرت الى كويتا Koïta وخففت الى كيتا Keïta وصارت علما على هذه الأسرة (٣) ، على أن الشك يحول حول هذا التخريج ، والراجح أن لقب أو اسم كيتا ، كان معروفا قبل حكم موسى ، أى قبل القرن الثالث عشر الميلادى ، وأن موسى هذا لم يكن السلف الأول لأسرة كيتا ، بل وجد شخص من ملوك دولة مالى الشمالية يعرف باسم ما مبي كيتا Mambi Keïta (٤) .

كذلك يرجح أن لقب كيتا ، اسم قبيلة أو فروع من قبائل الماندينجو ، واليها تنسب الأسرة الحاكمة الأخيرة فى هذه الدولة (٥) ، وقد اشتهرت مدينة قديمة تعرف باسم « كيتا » فى اقليم كانجبا ، خلال تلك الفترة ، ربما كانت مركز اقامة هذه الأسرة أو الوطن الأصيل لها ، أى أن هناك صلة بين هذه المدينة وبين هذا الفرع أو هذه الأسرة من الماندينجو ، لكن ليس من المؤكد ، أيهما الأصل فى التسمية : المدينة أو الفرع من القبيلة ، ويزيد فى هذا الترجيح كذلك ، أن قبائل الصوصو Sosso الوثنية ، حرصت أشد الحرص خلال صراعها مع دولة مالى النامية على احتلال مدينة كيتا (٦) .

اتخذ موسى الأكوى مدينة جارب Jeriba فى كانجبا ، عاصمة له ، وقضى حياته فى التقوى والعمل الصالح ، وحج أربع مرات ،

(١) التعريف ص ٢٨ .

(٢) العبر ج ٥ ص ٤٢٢ .

(٣) Monteil, pp. 58-59

(٤) Church, p. 238 ; Stamp, p. 273 ; Gouilly, pp. 54-5.

(٥) Le Chatelier, p. 88

(٦) انظر مايلي . Monteil, p. 70

كانت احداها حوالي عام ٦١٠ هـ / ١٢١٤ م (١) ، ويحتمل أن هذا الملك هو الذي اشتهر في الكتب العربية باسم برمندانه ، وهو الشني (٢) الذي أشار اليه المقرئزي باسم سر بندانه أو برمندانه (٣) .

أنجب ألكوى عددا من الأبناء ، من بينهم ولد اسمه ناري فامغان Naré-Famaghan أو ناري فاماغان N. Famagon نسبة الى أمه ناري ، ولا يعرف عنه سوى انه حكم خلال الفترة من حوالي ١٢١٨ م الى حوالي ١٢٣٠ م ، وأنه من مواليد ماندي ، واستطاع أن يوسع من حدود دولته الناشئة ، وأنه بذل جهودا كبيرة في نشر الاسلام بين قومه ، ولا سيما بين قبائل البامباره والبوزو Boso من فروع المانديجو (٤) .

يعرف عن ناري فامغان كذلك ، أنه اشتبك في صراع عائلي مع اخوته الأربعة ، الذين اجتمعوا ضده ، وأنه فشل في هذا الصراع وتشرد فترة من الزمن ، استطاع بعدها أن يعود الى عرشه .

اتخذ ناري فامغان عاصمة جديدة لمملكته هي نارينا Naréna شرقي كيري ، على أثر استعادته لسلطانه ، الا أن الصراع السابق أدى الى تفكك دولة المانديجو وانفصال بعض أقاليمها (٥) .

تقول الرواية : ان فامغان هذا أنجب اثني عشر ولدا ذكرا من امرأتين ، احدهما من طبقة البولا ، وهذه أنجبت أحد عشر ولدا ، والأخرى من الأحرار سليلة الأسرة المالكة السابقة ، وهي أسرة الكوناتيين ، واسمها سوجولوكوناتى Sougoulou Konaté ، وهذه أنجبت ابنا واحدا هو سونديانا Sundiata الملقب ماري جاطه Mari Diata (٦) ويعرف كذلك باسم سوندياكيئا Sundia Keïta ، وهو أصغر الاخوة (٧) .

(١) كان سلطان مصر المعاصر لحج هذا الملك ، الملك العادل سيف الدين ابو بكر الأيوبي (٥٩٦ - ٦١٥ هـ = ١١٩٩ - ١٢١٨ م) .

(٢) انظر الفصل التالي .

(٣) الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك - نشر الدكتور جمال الدين الشيبان - ص ١١٠ ، الفتاش ص ٣٨. Delafosse, pp. 19-20; Davidson, p. 88.

(٤) Urvoy, pp. 23-24; Trimmingham, pp. 14-15; Monteil, pp. 59-60; (٥)

Labouret, p. 241.

(٥) Monteil, pp. 8-9, 62-66.

(٦) Monteil, pp. 65-69; Delafosse, p. 20.

(٧) Labouret, p. 203; Spitz, p. 61.

والأبناء الأولون ، هم ، بحسب أعمارهم وتوليهم العرش :

- ١ - كونيو غوسمبا كيتا Kononiogho Simba Keïta
- ٢ - كابالي سمبا كيتا Kabali Simba Keïta
- ٣ - ماري تانيا كل كيتا Mâré Taniakèle Keïta
- ٤ - نوتوي ماري يرسجوي كيتا Noutoyé Mâré Yeressegué Keïta
- ٥ - سوسوتورو لاكانديا كيتا Sossotourou Lakandia Keïta
- ٦ - موسوكونو ماغمبا كيتا Mossokono Maghamba Keïta
- ٧ - موسو كانداكي كيتا Mosso Kandaké Keïta
- ٨ - مانساما غمبا كيتا Mansa Maghamba Keïta
- ٩ - فينادوجو كوماغن كيتا Firadogou Kamaghen Keïta
- ١٠ - جاغا بوجاري كيتا Gâgha Bughari Keïta
- ١١ - كالا بمباديوكو كيتا Kalabamba Diokountou Keïta

أما الابن الثاني عشر فهو :

سندياتا الملقب ماري جاطه (١) Sundiata (Mari Diata)



ولي كوننيوغو سمبا كيتا ، أكبر أبناء ناي فامغان (عرش مالي بعد وفاة أبيه حوالي عام ١٢٣٠ م ، لكنه تعرض لخطر سوسومانجورو Soumangouru امبراطور الصوصو الوثنيين (٢) فقد شن هذا الامبراطور الحرب على دولة الماندينجو وأباد الكثير من سكانها ، وقتل ملك الماندينجو خلال هذه الحرب ؛ وفي أقل من سنة

Monteil, p. 69

Delafosse, p. 20 (١)

(٢) الصوصو Soso أو Su-Su فرع من الفولانيين ، هاجر من تکرور واتجه شرقا الى اقليم كانياجا Kaniaga في حوض النيجر حيث أسس طبقة حاكمة ، ودولة الشعت فيما حولها في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي ، وحطم الصوصو امبراطورية غانة الاسلامية عام ١٢٠٣ واصطدموا بدولة مالي النامية في كانجايا . (انظر : غانة العصور الوسطى للمؤلف ص ٧٦ - ٧٧ .

Monteil, pp. 69-71 ; Hogben, p. 30 ; Delafosse, Sosso (Ency. of Islam) Vol. IV, pp. 89-90 ; Bovill, pp. 86-87.

واحدة قضى امبراطور الصوصو على جميع أبناء ناري فامغان ، الأحد عشر ، الذين تولوا الحكم تباعاً . ويحتمل أنه أستثنى الولد الثانى عشر لصغره أو لضعفه ومرضه ، اذ كان لا يتوقع أن يعيش هذا الصبى ، أو أن هذا الصبى تمكن من الهرب (١) .

### سندياتا أو مارى جاطه المؤسس الحقيقى لدولة مالى ١٢٣٠ - ١٢٥٥ م

ليس من شك فى أن لهذه الرواية عن مقتل الأبناء الأحد عشر ، فى أقل من سنة ، ونجاة هذا الصبى ، وجها اسطوريا ، لكنه المتداول ، وأيا ما كان فى هذه الرواية من القدر الاسطورى ، فانه قدر لهذا الصبى أن يكون المؤسس الحقيقى لدولة مالى .

أدرك سندياتا دولة آبائه وكادت ريحها تذهب أمام بطش الصوصو، بل أن رعايا مالى بدعوا يحولون ولاهم نحو القائد المنتصر (٢) ويعتد سندياتا البطل الوطنى العظيم بين قومه (٣) ، والواقع ان تاريخ مالى المحقق يبدأ من عهد سندياتا (٤) وكغيره من عظماء التاريخ ، منشئى الدول ، حيكمت حول علاقته بالصوصو وحول أعماله الأولى كثير من القصص الأسطورى المختلط بالحقائق التاريخية ، ونسبت اليه أعمال ومغامرات ، هى أقرب الى الأخبار الأسطورية منها الى التاريخ المحقق .

من ذلك ، مثلا ، ما تداول بين المانديجو ، من أنه عندما دخل امبراطور الصوصو كانجابا على رأس جيشه ، هرب سندياتا الى الجنوب حيث ظل يجوب البلاد، وجمع جيشا كبيرا عاد به والتقى فى طريق عودته بعجوز منحتة طلسم أو تعويذه ، تقيه أسلحة أعدائه ، ثم قصة هروب أخت سندياتا ، واسمها دييجو مانيان با Dyigiu Manian-Ba وزواجها من سومانجورو امبراطور الصوصو بالرغم من اعتراض أمها، لكنها

Bovill, p. 86; Delafosse, p. 20; Labouret, p. 241; Monteil, pp. (١)  
69-70.

Fage, p. 84. (٢)

Bovill, p. 86 (٣)

Monteil, p. 30; Bovill, p. 86. (٤)



كانت تدبر أمرا من وراء زوجها بعدوها ، وهو المامها بأسرار قوته وتفوقه ومواطن ضعفه ، وبعد أن جمعت هذه المعلومات هجرت زوجها وعادت الى أخيها وزودته بما جمعت ، مما كان من أسباب انتصاره فيما بعد ، وهكذا (١) .

اشتهر سندياتا بلقب ماري جاطه ، وتقديره كما يقول ابن خلدون :

« ومعنى ماري عندهم الأمير الذي يكون من نسل السلطان ، وجاطه الأسد » (٢) ، وأورد الفلقشندي هذا التفسير كذلك (٣) .

وتقول السيدة لوجارد L. Lugard :

« ان كلمة ماري هي اللقب الوراثي عند الأسلاف ، ومدلوله دون مدلول لقب ملك » (٤) ، والمقصود بذلك الأمير ، والمعنى واحد في التفسيرين .

وقيل في تفسير ماري كذلك ، انها تحريف لكلمة « محمديو » أي محمد ، وتنطق بصور مختلفة ، تبعا لللهجات القبائل ، منها ماماري Mamari واختصارها ماري Mari (٥) . ويقول ابن خلدون : ان من معاني ماري : الوزير (٦) وهكذا .

أما اسم سندياتا ، فهو مشتق من اسم أمه سوجولو Sougoulou واختصارها سون Soun والنسبة اليها سوجولو جاطه Sougoulou Diata أو سندياتا Soundiata (٦) والمتداول المشهور في مالي وغيرها الحاق اسم الأب أو الأم باسم الشخص ، ويذكر الاسم الملحق قبل اسم الشخص ، مثل نامغان جاطة Maghan Diata أو فامغان جاطة ، ومعناه : جاطة بن نامغان ، أبوه مغان منسوب لأمه ناري واختصارها « نا » (٨) . والحقاق اسم الأم مشهور في مالي وفي برنو بصفة خاصة (٨) .

(١) Delafosse, pp. 21-30 ; Monteil, p. 66

(٢) العبر ج ٥ ص ٤٣٣ .

(٣) صحح الاعنى ج ٥ ص ٢٩٣ .

(٤) L. Lugard, p. 119

(٥) Monteil, p. 67

(٦) Monteil, pp. 67-68.

(٧) Ibid.

(٨) امبراطورية البرنو الاسلامية للمؤلف .

والمحقق في تاريخ سنديانا ، أنه لا شك هرب أمام بطش الصوصو ، متجها نحو الجنوب ، وجمع حوله كثيراً من القبائل الصديقة والباقية على ولائها نحو أسرة كيتا ، وأخضع بفضلها القبائل المنشقة ، وبسط نفوذ الماندنغو في منطقتي سانكاران وباولي ، ثم أخذ يستعد للزحف شمالاً نحو الصوصو المقتصبين (١) .

دعم ماري جاطة سلطته ونفوذه بين قومه واستعان بطائفة من الغدائيين الوطنيين في حفظ الأمن والنظام في الداخل ، وفي تحطيم الرعوس المعاندة بين الرعايا (٢) ، وقبل أن يتجه لحرب الصوصو مد نفوذ دولته على القبائل المجاورة وانتصر في جميع الحروب التي شنها مما ساعده على تثبيت قواعد ملكه ، ثم ساق قواته بعد ذلك نحو العدو الأكبر ، ويقال : انه أعد اثنتي عشرة فرقة مدربة أحسن تدريب .

كان امبراطور الصوصو في ذلك الوقت قد قرر القضاء على ماري جاطة قبل أن يستفحل أمره ، وتذرع بأن ملك الماندنغو قد اقتحم بلاد الصوصو خلال غزواته ، وهذا في الوقت الذي كان فيه سنديانا قد أكمل استعداداته الحربية ، والتقى الخصمان في وقعة فاصلة عند كيرينا Kirina (٣) عام ١٢٣٥ م ، حيث انتصر ماري جاطة وقتل امبراطور الصوصو (٤) .

وبعد هذا الانتصار ، تمزقت امبراطورية الصوصو ، واستولى سنديانا على بلاد الصوصو مثل اقليم كانيجا قلب امبراطورية الصوصو وأقاليم سانساندنج Sansanding وسيجو Segou وبللدوجو Belledougou وغيرها ؛ واستطاع فريق من الصوصو أن يغير عائداً الى بلاد تكرور ، في حوض السنغال الأدنى ، حيث تمكن من تأسيس طبقة حاكمة من الصوصو ظلت سائدة حتى حوالي منتصف القرن الرابع عشر الميلادي ، حين قضى عليهم عنصر الجلف Woloffs (٥) .

اتسعت دولة ماري جاطة الى مسافات بعيدة في الصحراء ، وتابع ماري جاطة انتصاراته ، لكنه أحجم عن التقدم نحو مدينة ولاته Walata

(١) Monteil, p. 70

(٢) Fage, p. 24 ; Bovill, p. 86.

(٣) انظر الخريطة رقم ٢ .

(٤) العبر ج ٦ ص ٦٠٠ .

Labouret, P. 203 ; Okafor, p. 28 ; Delafosse, pp. 27-30 ; L. Lugard, p. 119.

Oliver & Fage, A Short History of Africa, pp. 85-86 ; Fage, p. 24. (٥)

المعروفة في رحلة ابن بطوطة باسم ابوالاتن ، رعاية لحق من لجأ اليها من المسلمين الذين جفلوا من قبل أمام خطر الصوصو ، وكان بين هؤلاء المسلمين عدد كبير من العلماء والتجار (١) . ويقال أن ماري جاطة فتح مدينة جني Jenne ، على النيجر ، وهما عاصمة دولة جني الاسلامية ، المشهورة بكثرة علمائها من المسلمين ، وتخضع في ذلك الوقت لدولة صنغي التي لم تكن قد قويت بعد (٢) . وكان استيلاؤه عليها في العام نفسه الذي حطم فيه امبراطورية الصوصو . وفي عام ١٢٤٠ م نجح ماري جاطة في تدمير ما بقي من مدينة كومبر صالح ، عاصمة امبراطورية غانه ، وهي التي أقل نجمها منذ هجرها العلماء والتجار المسلمون الى ولاته ، عندما حاجمها امبراطور الصوصو عام ١٢٠٣ م (٣) .

وفي عام ١٢٤٠ م نفسه ، نقل ماري جاطة عاصمة ملكه من جارب في كانجابا الى مدينة جديدة أنشأها على النيجر ، هي مدينة نياني Niani وتقع قرب اتصال النيجر بفرعه سانكاراتي ، ونياني هذه هي التي اشتهرت باسم مالي أو مل أو ملي ، وصار اسمها علما على دولة الماندنغو (٤) ، وقد ذكرها صاحب الفتاش باسم « ينغ » (٥) .

وسرعان ما احتلت دولة مالي ، مكانة امبراطورية غانة ، كأعظم دولة حكمت في السودان الغربي ، وبدأ التجار من شمالي افريقية يتجهون اليها بكثرة ، ويستقرون في عاصمتها (٦) .

وخلال الخمس عشرة سنة الأخيرة من حكم ماري جاطة ، لم تقف الفتوح الخارجية ، ولكنه لم يعد يقود الجيوش بنفسه ، وإنما اكتفى بإقاداته المدربين أحسن تدريب ؛ ومن أشهر قادته : أماري سونكو Amari Sonko صاحب الفضل في الانتصارات السابقة على الصوصو ؛ تمكن هذا القائد من اضافة أقاليم جديدة، أشهرها : جانجانان Gangaran

(١) Delafosse, p. 30; Bovill, p. 87; Cooley, p. 69; Hogben, p. 30; L. Lugard, p. 119

صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٣

ليو الأفريقي : الكتاب السابع ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(٢) امبراطورية صنغي الاسلامية للمؤلف Okafor, p. 28

(٣) غانة في العصور الوسطى للمؤلف ص ٧٦ ، صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٩٣ ب ز

Spitz, p. 61; Delafosse, p. 30.

(٤) Cooley, pp. 61-62; Monteil, pp. 71, 89; Bovill, p. 87; Spitz, p. 62; Delafosse, p. 30.

(٥) ينغ ينغ الياء وكسر النون وسكون العين (الفتاش ص ٥٦) .

Page, p. 24 (٦)

وبامبوك Bambuk وبوندو Bondu ، ووصل في توغله نحو  
القرب الى وادى نهر غمبيا ومستنقعات بلاد التكرور وبلاد الجلف(١) .

وعند وفاة ماري جاطة عام ١٢٥٥ م ، نتيجة تناوله طعاما فاسدا  
في أحد الأعياد بعاصمته الجديدة مالى . وكانت دولة ماري جاطة قد  
امتدت من بلاد الجلف غربا عند المحيط الأطلسي الى أواسط النيجر شرقا ،  
ومن فوتاجالون جنوبا بغرب الى كومبي صالح عاصمة غانة السابقة شمالا،  
وتقدر مساحة دولة ماري جاطة بما يزيد عن نصف مساحة أوربا كلها  
تقريبا (٢) .

والمعروف أن الدولة التي أرسى ماري جاطة قواعدها في أول عهده  
هي التي اشتهرت في التاريخ باسم دولة مالى الجنوبية ، أو امبراطورية  
مالى الجنوبية ، وذلك بعد تدهور دولة مالى الشمالية أو الأولى ، على أيدي  
الصوصو ، وفرار ماري جاطة نحو الجنوب (٣) .

ومعنى هذا أن الأسر السابقة على أسرة كيتا في حكم دولة الماندينجو  
ولا سيما أسرتي التورين والكوناتين ، وكذلك بعض أوائل أسرة كيتا  
قد حكمت دولة مالى الشمالية التي تتكون من اقليمى كبرى ودودوجو  
أو ( دو ) .

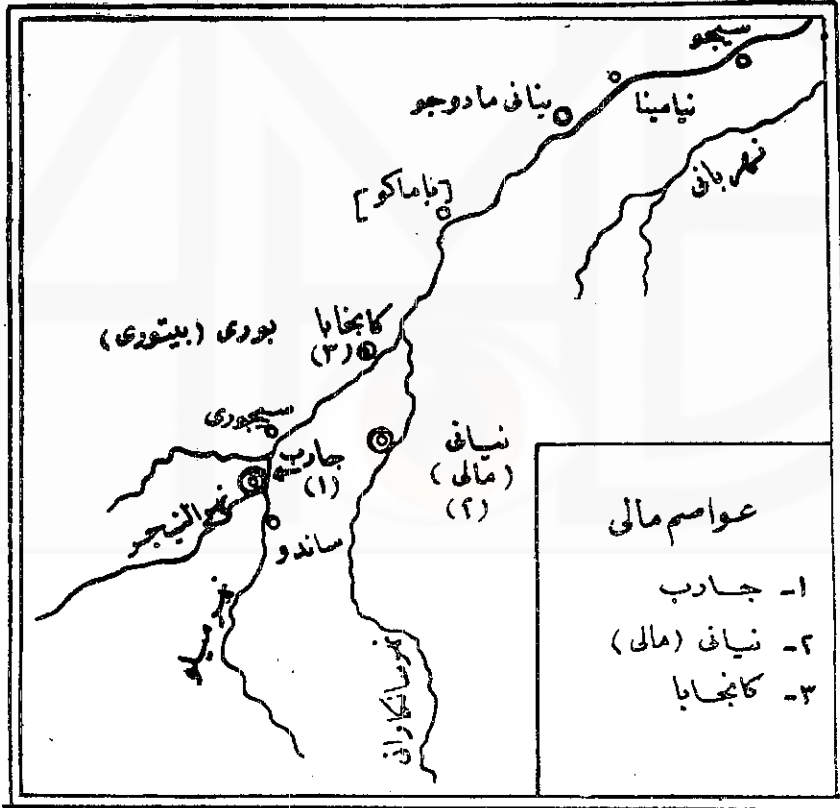
أما هذه الدولة التي تركها ماري جاطة عند وفاته حوالى عام  
١٢٥٥ م ، فهي دولة مالى الكبرى الشاملة ، اذ استرد ماري جاطه جميع  
الأقاليم الشمالية التي انتزعها الصوصو ، وزاد عليها ، فالى، سندياتا  
أو ماري جاطة يرجع الفضل في تحويل دولة الماندينجو الصغيرة في  
كانجبا الى امبراطورية مالى العظيمة أو دولة مالى الكبرى .

(١) Monteil, p. 71 ; Bovill, p. 87

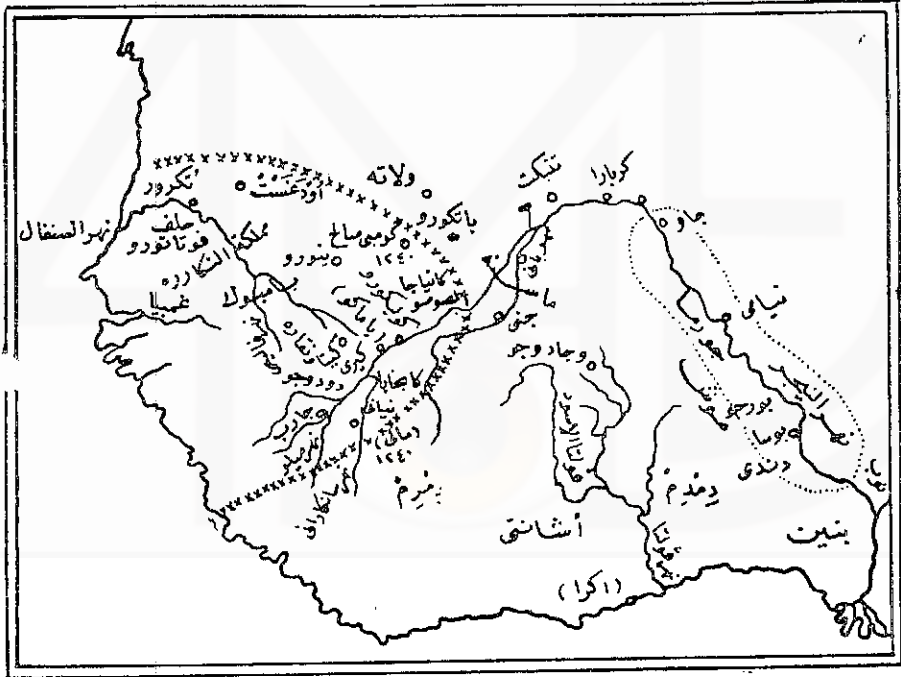
(٢) العبر ج ٥ ص ٤٢٣ ، ب . Monteil, p. 62 ; Gouilly, p. 55 ;

p. 71. Fage, An Atlas of African History, pp. 18-19 ; Monteil, pp. 8-9, 30.

## دولة مالي



## دولة مالي



دولة الماندينجو زمن ماري جاطه

١٤٣ - ١٤٥٥ م



## الفصل الثاني

### انتشار الإسلام في مالي

تمهيد في قدم الإسلام في غربي افريقية - الفتح العربي  
الإسلام لبلاد المغرب وأثره - المرابطون ودورهم في نشر  
الإسلام جنوبي الصحراء في القرن الحادي عشر الميلادي -  
قصة اسلام أول ملوك مالي - تحديد عصره وشخصيته -  
أثر الإسلام في مالي - دور مالي في الدعوة الإسلامية -  
بلاد حوسي تعتنق الإسلام على أيدي الدعاة الماليين - طبيعة  
انتشار الإسلام في مالي وغيرها من بلاد غربي افريقية .  
المقارنة بين انتشار الإسلام وانتشار المسيحية في بلاد  
السودان .

لم يكن المرابطون أول من أدخل الإسلام الى بلاد السودان  
الأوسط والغربي في القرن الحادي عشر الميلادي - كما هو متواتر - بل  
ان الإسلام وصل الى تلك البقاع في القرن نفسه الذي ظهر فيه ، وهو  
القرن السابع الميلادي ، فقد أشار أحمد بابا مؤرخ صنغهي الى وجود اثني  
عشر مسجدا في مدينة غانة (كومبي صالح) حوالي عام ٦٠هـ = ٦٧٩م (١) ،  
كما أن امبراطورية أودغست الإسلامية ، وهي التي كونها السونك ،  
احدى فروع الماندنجو ، قامت بدور كبير في نشر الإسلام منذ القرن

(١) غانة في العصور الوسطى للمؤلف ص ٥٣ ، الإسلام واللغة العربية في السودان  
الأوسط والغربي للمؤلف ص ١٠ .



التاسع الميلادي ، ومع أن حكام أودغست من البربر البيض من قبيلة  
صنهاجة ، إلا أن سكانها ومؤسسيها من السونك السودان ، وتقع هذه  
المدينة شمالي غربي كومبي صالح عاصمة غانة ، ويقول أبو الفداء :

« وهين في برارى سود ان المغرب » (١) .

ولقد أسهم في نشر الاسلام في بلاد السودان التجار المسلمون  
والدعاة الذين جاءوا من وادي النيل ومصر بصفة خاصة ، ومن بلاد  
المغرب ، ونشطت العلاقات المتنوعة طوال عصور التاريخ المختلفة ،  
بحيث لم يحدث أن انعزل قلب افريقية تجاريا أو ثقافيا عن بقية أجزاء  
القارة ، وعن آسيا وأوروبا في أي فترة من فترات التاريخ (٢) ، وزاد  
الاتصال وسهلت الرحلة والنقلة منذ استخدم الجمل في افريقية (٣) .

كان للفتح الاسلامي لبلاد المغرب اثره الكبير في دفع المسلمين  
شمالا حتى الاندلس وفرنسا ، وجنوبا حتى بلاد السودان ، ويقال أن  
حملة اسلامية وصلت في عام ١٠٢ هـ ( ٧٢٠ م ) الى السنغال وعادت  
بكميات كبيرة من الذهب ، وكانت أصلا موجهة لطاردة البربر (٤) .

ليس من شك في أن لهذه الصلات المختلفة أثرها في التعريف  
بالاسلام في بلاد السودان ، ثم جاء دور المرابطين في القرن الحادي عشر  
الميلادي .

والمعروف أن المرابطين لم يقتصر دورهم على نشر الاسلام بين

(١) تقويم البلدان ص ٧٢ .

(٢) Thompson & Adloff; Blyden, pp. 6, 23; Hogben, p. 25, p. 571; (٣)  
Fage, An Atlas of African History, pp. 17-18.

ابن حوقل : صورة الارض ص ١٠١ .

(٣) يقال ان الجمل دخل مصر لأول مرة على أيدي الفرس في القرن السادس قبل  
الميلاد ، وأن الاسكندر المقدوني استخدم الجمل في حملته على سيوه في القرن الرابع قبل  
الميلاد ، وأن يوليوس قيصر استولى على ٤٦ جملا من منطقة غربي سيوه ، ومن بعد قيصر  
أكثر الرومان من استعمال الجمل ، حتى أن الحملة الحربية التي قادها القائد الروماني  
سبتموس فلاكوس Sep. Flaccus ، في عام ١٩ ق م وعبر بها الصحراء ووصل  
الى حدود السودان ، استخدم فيها الجمال .

(Fage, An Atlas..., pp. 17-18; Wiedner, pp. 27-8; Okafor, p. 26;  
Bovill, pp. 41-51; Johnston, pp. 46-48)

(٤) المغرب ص ١٧٩ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٦٠ - ٢٧٤ ،  
Hogben, p. 15; Le Chatelier, p. 127; L. Lugard, pp. 83-84;  
Gouilly, p. 46.

الوثنيين ، بل شمل أيضا ، اصلاح عقيدة المسلمين الذين اعتنقوا الاسلام ، ولكن لم يلتزموا باحكامه ، فلم يكونوا مسلمين فى نظر المرابطين (١) .

والمرابطون من صنهاجة ، وزعيمهم السياسى يحيى بن ابراهيم الجدالى ( ت ١٠٥٦ م ) ، والقطب الروحى لحركتهم عبد الله بن ياسين الجزولى ( ت ١٠٥٩ م ) ، وقد اجتمع حول ابن ياسين نحو ألف رجل ، وسماهم المرابطين لانهم لازموه فى رباطه فى جزيرة فى البحر عند مصب السنغال ، أو للزومهم رباطته ، وفى هذا المصطلح أيضا معنى ترابط المجاهدين ووحدتهم (٢) .

حرض ابن ياسين رجاله على الجهاد فى سبيل الله ، فنشطوا فى نشر العقيدة الاسلامية والتعاليم الاسلامية الصحيحة ، واسلم على ايديهم من لم يعتنق الاسلام من بربر الصحراء أمثال جداله وملتونة ومسوفة وغيرهم (٣) .

اتجهت حركة المرابطين بعد ذلك للجهاد فى بلاد السودان ، فى حياة ابن ياسين ، وفى زمن امارة أبى بكر بن عمر اللمتونى ( ت ١٠٨٧ م ) ، وكانت تعاليم المرابطين قد اجتذبت الكثير من زعماء التكرور والماندنجو (٤) واحتلوا بعد ذلك مدينة كومبى صالح عاصمة غانة عام ١٠٧٦ م وعينوا عليها حاكما مسلما (٥) .

يقول القلقشندى :

« فلما أسلم المثلثون من البربر ، تسلطوا عليهم – أى على ملوك السودان – بالفزو حتى دان الكثير منهم بالاسلام » (٦) .

لم يكتف المرابطون بالتحول الاسمى للاسلام ، بل أرسلوا العلماء بين القبائل السودانية لبث العقيدة الصحيحة ، وبفضل هذه الحركة

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ١٣١ ، روض القرطاس ص ٨٧ - ٨٩ .

(٢) الاستقصاء ج ٢ ص ٨ ، المغرب ص ١٦٦ ، روض القرطاس ص ٨٣ - ٨٥ ، ارتوند : الدعوة الاسلامية (الترجمة العربية) ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ، قيسام دولة المرابطين ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٣) المغرب ص ١٦٤ - ١٦٨ ، الاستقصاء ج ٢ ص ٩ - ١٠ ، روض القرطاس ص ٩٤ - ٩٦ Guilly, p. 49

(٤) المغرب ص ١٥٣ - ١٥٤ ، تقويم البلدان ص ٦٠ - ٦٢ .  
Bovill, p. 73 ; Thompson & Adloff, p. 571.

(٥) L. Lugard, p. 93 ; Hogben, p. 27.

(٦) صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٩٣ .

نشطت الاتصالات التجارية والثقافية بين بلاد السودان وبين العالم الاسلامي ، ولا سيما شمال افريقية واسبانيا الاسلامية ، وهذا ما أتاح الفرصة لنشر الأفكار المتطورة والمدنية الاسلامية بين السود (١) هذا والمرابطون هم الذين أنشئوا مدينة تنبكت ، على منحى النيجر . وسرعان ما أصبحت مركزا اسلاميا وثقافيا وتجاريا في بلاد السودان (٢) ويشبه المرابطون في حركتهم ونشاطهم من بعض الوجوه تلك الفرق الحربية الدينية التي اشتهر أمرها خلال الحروب الصليبية ، ولا سيما فرقة الداوية : Knights Teplars التي قامت في القدس في القرن الثاني عشر الميلادي (٣) .

هكذا كان دور المرابطين ، وقد عرفت مالى الاسلام كغيرها من بلاد غربي افريقية ، قبل حركة المرابطين وخلال حركتهم ، وازداد عدد الداخلين في العقيدة الاسلامية بفضل المرابطين من غير شك ، ولعل من أبرز خصائص انتشار الاسلام في بلاد السودان أنه ابتداء بالطبقات العليا والأسر الحاكمة ، ثم إنتشر بعد ذلك بين الرعايا ، وتوضح لنا قصة اسلام أول ملوك مالى هذه الحقيقة ، وأن لم توضح أن الاسلام دخل مالى لأول مرة في عهد ذلك الملك .

يقول البكري :

« عرف ملك مالى بالمسلماني ، لأن بلاده أجدبت عاما بعد عام ، فاستسقوا بقرائينهم من البقر حتى كادوا يفنونها ، وكان عندهم ضيف من المسلمين يقرء القرآن ويعلم السنة ، فشكا اليه الملك ماذهبهم من ذلك ، فقال له : أيها الملك ! لو آمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته ، وبمحمد عليه الصلاة والسلام ، وأقررت برسالته واعتقدت شرائع الاسلام كلها ، لرجوت لك الفرغ مما أنت فيه وحل بك ، وأن تعم الرحمة أهل بلدك وأن يحسدك على ذلك من عاداك وناواك ، فلم يزل به

Gorer, p. 45 ; Pedler, p. 60 ; L. Lugard, pp. 108-111 ; Thompson (1) & Adloff, p. 571 ; Rouch, La Religion..., p. 12 ; Millet, Les Almoravides, pp. 51-61 ; Hodgkin, T., Islam and Nationa movement

من بحوث مؤتمر الدراسات

الافريقية في التاريخ والآثار - لندن - يوليو ١٩٦١ )

(٢) السعدي ص ٢٠ - ٢١ - L. Lugard, pp. 113-114

Richard, Le Royaume Latin du Jerusalem, pp. 104-112 ; La Monte, (٣) Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, pp. 29, 215-225 ; Runciman, A History of the Crusades, II, p. 157.

حتى أسلم وأخلص نيته ، وأقرأه من كتاب الله ما تيسر عليه ، وعلمه من الفرائض والسنن مالا يسع جهله ، ثم ( أمهله ) الى ليلة الجمعة ، فأمره فتطهر فيها طهرا سابقا ، وألبسه المسلم ثوب قطن كان عنده ، وبرزا الى ربوة من الارض ، فقام المسلم يصلي والمُلك عن يمينه ، يأتهم به ، فصليا من الليل ما شاء الله ، والمسلم يدعو والمُلك يؤمن ، فما انفجر الصبح الا والله قد أعمهم بالسقى . فأمر الملك بكسر الدكاكير - أى الأصنام - وأخرج السحرة من بلاده ، وصح اسلامه واسلام عقبه وخاصته ، وأهل مملكته مشركون ، فوسموا ملكهم منذ ذلك الوقت بالمسلماني « (١) » .

تلك هي قصة اسلام أول ملوك مالي كما ترونها بعض المراجع العربية ، وكما نقلها عنها بعض كتاب الغرب .

لم يوضح البكري اسم الملك الذي أورد قصة اسلامه ، وان أوضح أنه كان يوجد ببلاده أحد العلماء المسلمين الذين يقومون بالدعوة الاسلامية ، وان الاسلام لم يكن غريبا في مالي عندما أسلم هذا الملك .

أما المقريزي والقلقشندي ، فقد أشارا الى اسم أول من أسلم من ملوك مالي ، وهو « برمندانه » ، غير أن ابن خلدون ( ت ١٤٠٥ م ) كان دقيقا حين قال ما مؤداه : ان برمندانه هذا كان أول من حج من ملوك مالي ، ولم يقل أول من أسلم ، وعبارته :

« وتحولت الأحوال باستمرار العصور ، فاستولى أهل مالي على ما وراءهم ، ودخلوا في دين الاسلام منذ حين من السنين ، وحج جماعة من ملوكهم ، وأول من حج منهم برمندار ، وسمعت في ضبطه برمندانه » (٢) .

وذكر القلقشندي ( ت ١٤١٨ م ) اسم أول من أسلم وحج من ملوك مالي في قوله : « وكان ملوك مالي قد دخلوا في الاسلام منذ زمن قديم ، وأول من أسلم منهم ملك اسمه برمندانه ، وحج بعد اسلامه ، فاقتفى سننه في الحج من جاء بعده من الملوك » (٣) .

(١) المغرب ص ١٧٨ .

(٢) العبر ج ٥ ص ٤٣٣ .

(٣) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٣ .

وقال المقرئى ( ت ١٤٤٤ م ) :

« ويقال أن أول من أسلم منهم ملك اسمه سربندانه ، ويقال برمندانه » (١) .



تتضمن عبارة ابن خلدون أن الاسلام قديم فى بلاد مالى ، وأن أول من حج من ملوكها قد لا يعنى بالضرورة أنه أول من أسلم من الملوك ، ويؤيد هذا رواية شافية متداولة بين الوطنيين فى مالى ، مؤداها أن مؤسس أسرة النزوريين فى حكم مالى ، واسمه منسوفن تراورا (٢) قد اعتنق الاسلام (٣) ، وربما كان هذا الملك أو غيره ممن سبقه ، وليس ممن جاء بعده ، هو المعنى فى عبارة البكرى ، اذ المعروف أن اعتناق الاسلام فى غربى افريقية ، كان سطحيا ، وعلى الأقل فى أول انتشاره ، وليس هناك ما يمنع أن يوجد ملوك أسلموا ، وجاء بعدهم ملوك ظلوا على الشرك ، قل عددهم أو كثر ، والمعروف كذلك أنه حتى من الملوك المسلمين فى مالى وغيرها ، فضلا على الرعايا المسلمين من كان يمارس التقاليد الوثنية الموروثة مع اسلامهم .

أما تحديد شخصية الملك برمندانه ، الذى ورد فى عبارات المؤرخين العرب ، فهناك شخصيتان تاريخيتان ، فيما أعلم ، بهذا الاسم ، من بين ملوك مالى ، أحدهما من أسرة لكونانيين ، التى سبقت أسرة كيتا فى حكم مالى ، تلك هى شخصية مانسا بورماندانه الذى كان يعيش فى القرن الحادى عشر الميلادى ، ويعاصر المرابطين ، ويؤرخ لاسلام وحج هذا الملك بحوالى عام ١٠٥٠ م (٤) ، وربما كان اسم برامندانه تحريفا لجورماندانا . والشخصية الأخرى التى اشتهرت باسم برمندانه من

(١) الذهب المسبوك ص ١١٠ .

(٢) لعل «الملازم موسى تراورى رئيس اللجنة العسكرية للتحرد الوطنى رئيس دولة مالى» الحالى ، من سلالة هذه الأسرة ، وهو الذى تولى الحكم فى مالى فى ١٩ نوفمبر ١٩٦٨م بعد الرئيس السابق موديبوكيتا ، الذى ينتمى الى أسرة كيتا ، والمعروف أن سلالة التروزيين وأسرة كيتا لايزال الكثير منهم موجودا الى اليوم ، وتعرف سلالة أسرة تراورا بالتروزيين أو النوفيين .

(٣) Monteil, pp. 53-55 ; Labouret, p. 242 راجع ما سبق .

(٤) Delafosse, pp. 19-20 ; Monteil, pp. 59-60.

أسرة كيتا ، التي يؤرخ لقيامها فى عرش مالى بحوالى عام ١١٥٠ م (١)  
أى بعد حوالى قرن من عهد برمندانة الكوناتي ، تلك هى شخصية  
موسى ديجيو الذى كان يحكم فى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى والذى  
اشتهر باسم اللاكوى (٢) ، وكذلك باسم سربندانة Serebendana  
الذى قد يكون محرفا الى برمندانة ، بحسب رواية المقريزى .

ويمكن القول : أن المعنى باسم برمندانة فى روايات ابن خلدون  
والقلقشندى هو برمندانة الأول من أسرة الكوناتيين .

وأنه ليس أول من أسلم وقد لا يكون أول من حج كذلك ، وأن  
المعنى فى عبارة البكرى قد يكون منسائونف تراورا . يقول هنرى لابورى:

« أسلم برمندانه وحج حوالى عام ١٠٥٠ م » (٣) وعن ترمنجهام :

« حج برمندانة سيد مالى فى القرن الحادى عشر الميلادى » (٤)  
وتقول السيدة لوجارد :

« كان ملوك مالى فى نهساية القرن الحادى عشر مسلمين ، أما  
أغلب الرعايا ، فكانوا على الوثنية » (٥) .

ويقول دولافوس :

« انه بعد حوالى قرن من اسلام برمندانة ، انتقل العرش فى مالى  
الى أسرة كيتا ، وذلك حوالى ١١٥٠ م » (٦) .



لقد كان الماندينجو ، من أكثر شعوب غربى أفريقيا تمسكا بالاسلام  
وتحمسا له ، وازداد انتشاره بينهم ، وأصبح دين الدولة الوسمى .  
وكان المذهب السننى المالكى هو الذى ساد فى دولة مالى وفى أغلب دول  
غربى أفريقيا الاسلامية ، وقد أشار منساكنكن موسى ( ت ١٣٣٧ م )

(١) Delafosse, p. 20

(٢) راجع ماسبق .

(٣) Labouret, p. 240

(٤) Reeve, p. 17 Trimingham, p. 85 ، انظر كذلك

(٥) L. Lugard, p. 103

(٦) Delafosse, p. 20

خلال مروره بالقاهرة في رحلة حجه ، الى أنه مالكي المذهب ،  
واشترى وهو في مصر بعض الكتب في فقه المالكية (١) .

ومن مظاهر تمسك دولة مالي بالاسلام شدة الحرص على تعليم  
القرآن للصبية ، وقد شهد ابن بطوطة خلال رحلته في مالي ( ١٣٥٢ -  
١٣٥٣ م ) كثيرا من هذه المظاهر ، منها أنه دخل على قاضي مالي يوم  
العيد ، فوجد أولاده في القيود ، فقال : « ألا تسرحهم ؟ فأجابه القاضي :  
لا أفعل حتى يحفظوا القرآن (٢) » . ومرة ذات يوم وهو في مالي بشباب  
حسن الصورة وعليه ثياب فاخرة وفي رجليه قيد ثقيل ، فسأل مرافقه  
عما ارتكبه هذا الشاب من جرم ، وعلم أخيرا أنه قيد حتى ينتهي من حفظ  
القرآن (٣) .

كذلك شهد ابن بطوطة صلاة الجمعة في مالي ومدى ازدحام  
المصلين ، وضرورة التبكير في التوجه الى المسجد حتى يظفر المصلي  
بمكان يجلس فيه (٤) ، وهناك المساجد التي انتشرت في جميع أرجاء  
دولة مالي ، ويذكر عن أشهر ملوك مالي ، وهو كتنك موسى ، أنه كان  
يبنى مسجدا في كل مدينة تدرسه صلاة الجمعة فيها (٥) ، كما عرف  
منساسليمان ( ت ١٣٦٠ م ) بنشاطه وحرصه على الاسلام ومؤسسته ،  
يقول القلقشندي :

« وبنى المساجد والمنارات وأقام الجمع والجماعات والأذان ، وجلب  
الى بلاده الفقهاء من مذهب الامام مالك » (٦) .

وتمتع العلماء المسلمون بمكانة سامية في دولة مالي ، حتى في  
عهدنا الوثني ، وتدلنا قصة اسلام منسانوفن تراورا ، على مدى ماظفر  
به علماء المسلمين ودعاتهم من احترام وتسامح (٧) ، وحدث مثل ذلك  
في دولة غانة في عهدنا الوثني ، حيث كان علماء المسلمين يتولون  
أعظم المناصب فيها (٨) .

(١) الذهب المسبوك ص ١١٣ .

(٢) تحفة النظر ج ٤ ص ٤٢٢ .

(٣) تحفة النظر ج ٤ ص ٤٣٣ .

(٤) تحفة النظر ج ٤ ص ٤٢٢ .

(٥) السعدي ص ٧ .

(٦) صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٩٧ .

(٧) راجع ماسبق .

(٨) غانة في العصور الوسطى للمؤلف ص ٥٨ .

وهذا سندياتا ، بطل مالى الوطنى ، يحجم عن متابعة العلماء المسلمين الذين لجئوا الى ولاته فرارا من بطش الصوصو عام ١٣٠٢ (١) .  
على أن دولة مالى لم تكتف باعتراف الاسلام والحرس على مظاهره وعلومه ، وانما أخذت تدعو له بين الوثنيين ، حتى ان الدور الذى قامت به فى نشر الاسلام ، يعد من أهم مراحل انتشار الاسلام فى افريقية جنوبى الصحراء (٢) ، واقتربت جميع فتوحها الحربية بالدعوة الاسلامية ، يقول العمري :

« وملك مالى فى جهاد دائم وغزو ملازم لمن جاوره من كفار السودان » (٣) .

واشتهر بالدعوة الاسلامية من الماندينجو فرعان من فروعهم ، هما : الديولا والسونوك ، حتى أن كلمة سونوك صارت مرادفة لكلمة داعية (٤) .

والى دولة مالى وشعوب الماندينجو يرجع الفضل فى نشر الاسلام فى بلاد الهوسا ، منذ حوالى القرن الثالث عشر الميلادى (٥) ، والهوسا يطلقون على الماندينجو اسم « الونقارة » (٦) .

ففى زمن حكم الساركس ياجى بن تسامبا ( ٧٥٠ - ٧٨٧ هـ = ١٣٤٩ - ١٣٨٥م) فى كانوا ، أهم دول الهوسا ، وفد على بلاد الهوسا عدد من العلماء المسلمين من مالى ، ويتزعم هذا الفريق من العلماء عالم اسمه عبد الرحمن زيت ، وعددهم حوالى ٤٠ عالما ، منهم فامورى ، بلقاسم ، جوردومس ، لول ، أوتا ، ماندوالى وغيرهم .

أمر هؤلاء العلماء الساركس بأن يحافظ على أوقات الصلاة ، فرحب بهم وأكرمهم ، واتخذ جوردومس اماما له ، كما اتخذ لول مؤذنا ، وكان العالم أوتا هو الذى يتولى الاشراف على ذبح الحيوانات ، وعهد بالقضاء الى العالم عبد الرحمن زيت ، وبفضل علماء مالى ، استقامت أمور الاسلام

(١) راجع ماسبق .

(٢) الاسلام واللغة العربية فى السودان الاوسط والغربى للمؤلف ص ١٧ - ١٨ .

(٣) مسالك الابصار ج ٢ ف ٣ ورقة ٥٠٧ .

(٤) انظر الخريطين رقم ٣ ورقة ٤ راجع : Trimingham, pp. 1314 .

(٥) L. Lugard, p. 247 ; Hogben, p. 10 .

(٦) راجع ماسبق .



في كانوا ، وانتصر ساركس كانوا على الوثنيين ، ويقال ان علماء مالى حاربوا  
الاعداء الوثنيين بسهام السحر ، واستجاب الله دعاءهم (١) .  
وفي دولة كشنه (٢) ( كاتسنا ) من دول الهوسا ، كان اسلام  
الساركس محمد كورا الذى ولى عرش كشنه عام ١٣٠٠ م ، على ايدى  
علماء مالى ، وبعهد هذا الساركس ، يبدأ حكم الملوك المسلمين فى  
كشنه (٣) .

وكان العلماء والدعاة المسلمون القادمون من مالى الى بلاد الهوسا  
يحضرون معهم الكتب الاسلامية فى الدين واللغة (٤) .  
وليس من شك فى أن وجود نحو ٤٢٠٠ عالم مسلم فى القرن الثانى  
عشر فى جنى التى يحكمها ملك من الماندنجو (٥) ، يدل دلالة واضحة على  
نشاط الدعوة الاسلامية فى بلاد مالى وغيرها ، بصرف النظر عن صحة  
هذا الرقم ، وما قد يكون فيه من مبالغة أو عدم الدقة ، لكنه على الأقل  
يلقى ضوءا على ازدهار الدعوة الاسلامية ومدى التسامح والترحيب  
الذين ظفر بهما دعاة الاسلام فى تلك البلاد .

### \* \* \*

هكذا كان انتشار الاسلام فى مالى وحرص ملوكها وعلمائها على  
التمسك بمظاهره فضلا على الدعوة له ، أما عن طبيعة انتشار الاسلام فى  
مالى وغيرها من دول السودان الأوسط والغربى ، وتفسير سرعة  
انتشاره وقبوله ، فانه من الملاحظ ، لأول وهلة ، أن الاسلام فى افريقية  
جنوبى الصحراء ، ظفر بأقوى القبائل وأعظمها شأنا ، وأنه هو الذى  
أدى الى قيام الامبراطوريات الاسلامية الكبرى فى جميع بلاد السودان ،  
من المحيط الاطلسى غربا الى مملكة سنار الاسلامية شرقا فى حوض النيل .  
لقد جاء الاسلام الى الزنوج وهم سادة فى أوطانهم يتمتعون بكامل  
الحرية والسيادة والاستقلال والقوة ، ويمارسون حكوماتهم وينظمون  
شؤونهم الخاصة ومجتمعاتهم ، فلم يكن لدعاة الاسلام من العرب والبربر  
أو ناشريه أدنى قسط من السيطرة ، وأن كان نفوذهم الروحى عظيما ،  
لكنه مقبول عن رضى واقتناع .

(١) دول الهوسا الاسلامية للمؤلف ، راجع  
Palmer, Sudanese Memoirs, III, pp. 104-106

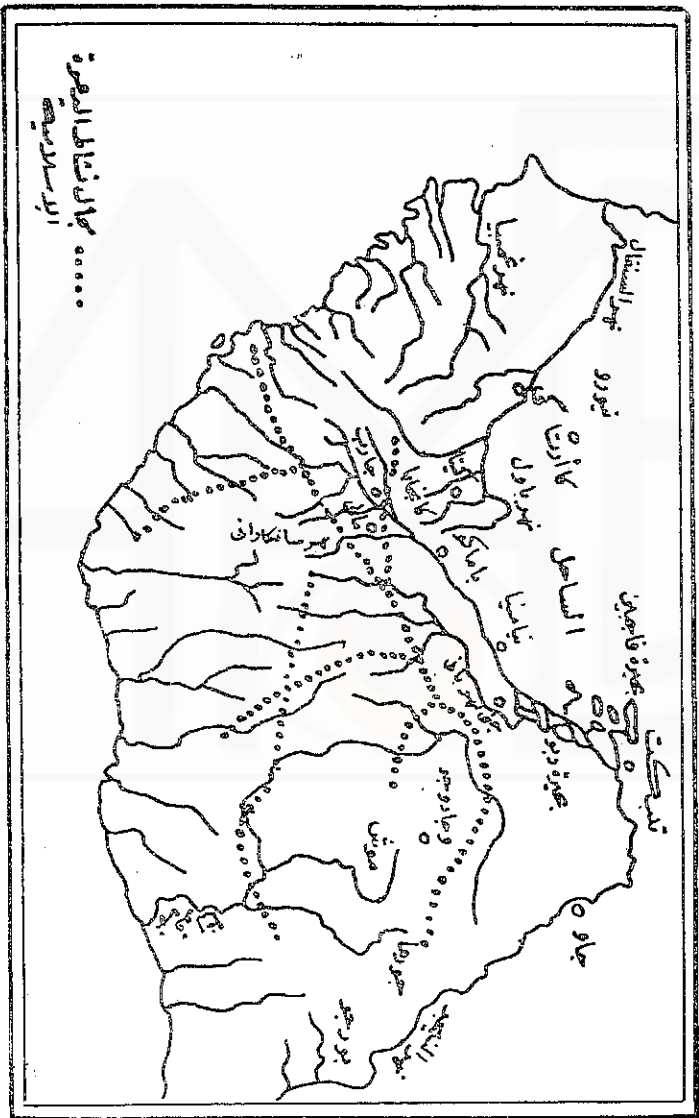
(٢) الصيغة العربية عن السعدى وصاحب الفتاش .

(٣) Palmer, Op. cit., p. 80.

(٤) Ibid., pp. 110-111

(٥) السعدى ص ١٢ - ١٣ .

الأور الثالث من أواخر نشر الدعوة الإسلامية في مصر بها الحقيقية على أيدي قضاة الماشايخ



نشاط قضاة الماشايخ في الدعوة الإسلامية

يقول بليدن Blyden :

« اذا دخل المعلم المسلم قرية وثنية بكتبه وأوراقه ومسبحته ،  
سرعان ما يلتف حوله الناس ، وسرعان ما يبدأ فى حل مشاكلهم » (١) .  
وإذا عرض الاسلام على الوثنى ، كان له أن يختار بين القبول أو الرفض  
بحرية تامة ، ولم يكن مع دعاة المسلمين نقود للرشوة أو وعود جوفاء ،  
فقد دعوا لدينهم فى هدوء (٢) ، بل ان مالى فى ذروة مجدها تركت  
كثيرا من الوثنيين آثروا البقاء على دينهم ، وكان ملك مالى المسلم  
متأثرا بأسطورة اشاعها الوثنيون ، أن الذهب ينذر وجوده اذا فشا  
الاسلام بينهم ، ولما كان هؤلاء الوثنيون عماد اليد العاملة فى استخراج  
الذهب ، فقد تسامح ملك مالى ، وتركهم على دينهم (٣) .

هذا وكان الدعاة المسلمون يمتزجون بالزنج بالماصهرة والاختلاط  
وينوبون فى المجتمع الافريقى ، دون قهر أو ضغط ، ولذلك تقبل السود  
الاسلام وقاموا بدورهم بنشره بين مواطنيهم ، ولا أدل على ذلك من دعاة  
الماندنغو الذين أنبثوا فى جميع بلاد غربى افريقية ، وكذلك دعاة  
الفولانيين الذين حملوا لواء الدعوة (٤) .

لذلك لم يؤد الاسلام الى تدمير النظم المحلية القائمة ، مما ساعد على  
قوة البناء الاسلامى الوطنى الذى قام فى غربى افريقية ، لأنه استند الى  
البناء الوطنى ولم يدع الى هدمه ، بل ان الوطنيين أنفسهم هم الذين  
اختاروا الصور الجديدة للحياة .

ويعلق بعض الكتاب المسيحيين على سرعة انتشار الاسلام فى افريقية  
السوداء بقوله : « ان السر فى نجاح الدعاة المسلمين فى مهمتهم فى  
افريقية السوداء ، هو أنهم أحترموا العادات والتقاليد المحلية ولم  
يحتقروها ، وهذا ما ينبغى أن تحذو البعثات المسيحية حذوه » (٥) .  
ولعل من أبرز خصائص انتشار الاسلام فى افريقية السوداء ، وأبرز  
عوامل سرعة انتشاره وحسن قبوله ، أن البلاد الاصلية التى جاء منها  
الاسلام وهى : الحجاز ومصر وبلاد المغرب ، لم يكن لها أى نوع من  
الاشراف أو السيادة أو الحماية ، فالاسلام فى افريقية السوداء ، قد ترك

Blyden : Christianity, Islam and the Negro Race, pp. 202-3 (١)

Blyden : pp. 13-14 (٢)

(٣) التعريف ص ٢٧ ، صبح الأعمى ج ٥ ص ٢٨٦ - ٢٨٧ ، أنظر مالى .

(٤) امبراطوريه الفولانيين الاسلامية للمؤلف .

Smith, B., Mohammed & Mohammedanism, Lond. 1847 ; Blyden, (٥)  
pp. 22-23.

الوطنيين سادة على أنفسهم وعلى بلادهم ، على عكس ما فعلت المسيحية (١)

يقول بليدن المسيحي الليبري المثقف (٢) :

« لقد جاءت المسيحية الى افريقي باعتبارها عيداً أو على الأقل بوصفه خاضعا محكوما ، فتعلم الزوجي وبنوه من بعده ، بجانب تعاليم المسيحية أنه جنس منحط عديم الأهلية والكفاءة ، وأنه دون معلمه وحكامه البيض » .

وفي موضع آخر يقول :

« لقد دهم المستعمر الأوربي الوطنيين الافريقيين ، واجبرهم على اعتناق المسيحية بمختلف الوسائل والاعراء، واستولى على بلادهم بالعنف والقهر والفرقة ، وأنزلهم منزلة دون منازل الانسانية ، لذلك بات أعظم المثقفين من الزوج يتطلعون الى اليوم الذي يزول فيه أثر لندن وباريس ولشبونة » (٣) .

وبينما يشعر الافريقي المسلم أن الاسلام لم يقطعه عن ماضيه وعن مجتمعه ، نجد الاستعمار الأوربي قد جعل المسيحي الافريقي حائرا فلا هو قريب من مجتمعه ، ولا هو مقبول عند المستعمر الأوربي لكي ينتسب الى الحضارة الأوربية ، فحرمه المستعمر الثقافة المعقولة والحقوق الانسانية الطبيعية المتاحة للمسيحي الابيض ، وذلك على عكس الاسلام الذي اعترف منذ فجر ظهوره في افريقية بالمساواة التامة ، وكفل للمسلمين جميع حقوقهم دون نظر الى لون أو جنس .

وبسبب هذه العوامل مجتمعة ، كان الاسلام أسبق من المسيحية في

(١) Blyden, pp. 12-13, 353-4

(٢) الدكتور ولوت بليدن E.W. Blyden . ممن تعرضوا للاضطهاد في الولايات المتحدة في القرن الماضي بسبب لونه ، فلم يستطع أن يكمل دراسته ، ونصح بالسفر الى ليبيريا ، والتحق باحدى المدارس الكنسية ، وتخرج فيها وتولى عدة مناصب ثقافية وسياسية ، وقام برحلة الى الشرق لدراسة اللغة العربية وجمع المخطوطات العربية (١٨٦٩) ، زار في رحلته مصر وسوريا ، وكتب عدة مقالات عن الاسلام والمسيحية ونشرها في فترات مختلفة ثم جمعها في كتاب تحت عنوان : Christianity, Islam and the Negro Race.

ونشر هذا الكتاب في لندن عام ١٨٨٨ م .

(٣) لاشك أن أثر هذه العواصم الأوربية قد زال الآن بعد يقظة افريقية واستقلال المستعمرات ، باستثناء بعض البلاد التي تتمسك بها لشبونة رغم الحركات الاستقلالية التي تشتغل الآن في المستعمرات الافريقية الباقية .

الوصول الى بلاد غربي أفريقية ، بالرغم من أن ظهور الاسلام جاء بعد ظهور المسيحية بنحو خمسة قرون ، ومن العجيب أن عدد المسلمين لم يزد بسرعة كبيرة في بلاد غربي افريقية الا في زمن الاستعمار رغم نشاط البعثات التبشيرية المسيحية التي يساندها الاستعمار .

يقول الرحالة منجوبارك M. Park :

« لقد عمل الاسلام على تطوير بلاد الزنوج ولا يزال يعمل » .

ويقول القمص (١) ستانلي في كتابه عن الكنيسة الشرقية :

« لا يمكن أن ننسى أن الاسلام هو الديانة السامية الوحيدة التي أدت الى تقدم وتطور قارة افريقية الواسعة ، ومهما كان مستقبل المسيحية في افريقية ، فليس هناك أدنى شك في أن هذا المستقبل سوف يتأثر نتيجة لحماسة الزنوج المسلمين » (٢) .

وقد اقترن انتشار الاسلام والعلوم الاسلامية ، بانتشار اللغة العربية وعلومها ، اذ سارت الدعوة الاسلامية جنبا الى جنب مع اللغة العربية والعلوم العربية على اختلافها (٣) .

(١) Blyden, pp. 5, 18-20

(٢) انظر : الاسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي للمؤلف

ص ٢٤ - ٣٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٦ وما بعدها .



### حركة انتشار الإسلام في السودان الأوسط والغربي من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر

بعض طرق القوافل والمواصلات الرئيسية

سيرات فتوح وعربات الدعوة الإسلامية

مصادرة للإسلام (وثنية وسجنية)



## الفصل الثالث

### خلفاء ماري جاطه ١٤٥٥ - ١٣١٢ م

منسا على (١٢٥٥ - ١٢٧٠ م) - اتساع مساحة دولة مالي  
- السيادة على صنغى - رهائن صنغى - استغلال مناجم  
الذهب في ثقاره وأهميتها لدولة مالي - فترة الاضطرابات  
(١٢٧٠ - ١٢٨٥ م) - عهود : ولى وخليفة وابى بكر - فرار  
رهائن صنغى - المقتصب سيكره (١٢٨٥ - ١٣٠٠ م)  
اعادة هيبية مالي واتساعها - حجه وزيارته مصر زمن الناصر  
محمد بن قلاوون - مقتل سيكره ١٣٠٠ م - فترة  
اضطرابات أخرى (١٣٠٠ - ١٣١٢ م) - عهود : قو ومحمد  
وابى بكر .

تولى الحكيم فى دولة مالى منسا ولى Ule or Ouali بعد وفاة  
أبيه ماري جاطه عام ١٢٥٥ م ، ويفسر ألقابشندى كلمة ولى بمعنى على (١)  
وينعت دولافوس هذا السلطان باسم : « السلطان الأحمر » ومعناه  
الأبيض ، وربما لأن لونه لم يكن صريحا فى التزنج أو السواد « (٢) .  
عرف منسا على بالتقوى والصلاح، وقد زار مصر فى طريقه الى الحج

Monteil, p. 75

(١) صبح الاعشى ج ٥ ص ١٩٣ ، انظر كذلك :

Labouret, p. 241 ; L. Lugard, p. 119 ; Monteil, p. 75. (٢)



عام ٦٥٨ هـ/١٢٥٩ م. ، زمن السلطان الظاهر بيبرس (١) ، ويعد منساعلي من أعظم سلاطين هذه الفترة في القرن الثالث عشر الميلادي (٢) .

استفاد على من خدمات قادة أبيه ومستشاريه ، منهم موسى سنكروما سيسوكو M.S. Sissoko ، الذي أسس مملكة في بانبوك Banbouc والقائد سرماكيما Sirma Keita مؤسس مملكة كونكو دوجو Konkodougou والقائد ساني نيانجا Sané Nianga من سلالة أسرة الترويين المالكة السابقة ، والى هذا القائد الأخير ، يرجع الفضل في تأسيس مملكة سانجاران Sangaran (٣) ؛ وكل هذه اضافات لدولة مالي ، وتجميع لشعوب الماندنغو في وحدات منظمة ، والملاحظ أن كلمة مملكة هنا مرادفة لكلمة مقاطعة أو ولاية .

ومن الحوادث الهامة زمن منسا علي ، بسط نفوذ مالي على دويلة صنغلي الناشئة في حوض النيجر الأوسط ، غير أن جاو Gao العاصمة ، قد امتنعت على مالي (٤) ، وصنغلي هي التي صارت امبراطورية عظيمة فيما بعد ، فاقت مساحتها مساحة مالي (٥) .

أخذ منسا علي رهائن من صنغلي ، ليضمن خضوعها واستسلامها ، وكان ملك صنغلي المعاصر زاياسبي ، من أسرة الازواء ، وكان ولدا زاياسبي من الرهائن ، وهما : علي كولسن وأخوه سلمان نار (٦) يقول السعدي : « وكانت هذه عادة ملوك السودان ، أن يستخدموا أولاد الملوك الذين في طاعتهم ، ومن هؤلاء من يرجع بعد الخدمة الى بلاده ، ومنهم من يبقى فيها حتى يموت » (٧) .

(١) الذهب المسبوك ص ١١٠ - ١١١ ، صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٩٣ ، Le Ckatiel, p. 81 ; L. Lugard, p. 119 ; Monteil, p. 75.

(٢) صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٩٣ .

(٣) Delafosse, pp. 28-29 ; Monteil, p. 75.

(٤) وردت كلمة «جاو» عاصمة صنغلي ، بصور مختلفة ، منها : كاغ - كونا -

كوكو - كافو - كركر .

(٥) امبراطورية صنغلي الاسلامية للمؤلف - معجم البلدان ج ٤ ص ٤٦٥ ، السعدي ص ٤٧ ، ليو الافريقي : الكتاب السابع ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ، العبر ج ٥ ص ٤٣٤ ، ج ٦ ص ٢٠٠ ، الفتاش ص ٤٥ ، صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٨٥ .  
(L. Lugard, p. 120 ; Cooley, pp. 103-104

(٥) امبراطورية صنغلي الاسلامية للمؤلف .

(٦) السعدي ص ٧ .

(٧) السعدي ص ٦ - ٧ .

وخلال الفترة الاخيرة من حكم ماري بجاطة وطوال عهد ابنه علي بسط الماندينجو سلطانهم على حقول الذهب في ونقاره ، وهذه المنطقة لم تخضع من قبل لحكم غانه أو الموصو (١) .

والواقع ان شهرة مالي وعظمتها ، وهي الشهرة التي طبقت أوروبا والشرق بعد ، لم ترجع الى سعة مساحتها وتراعى أطرافها ، بقدر ما ترجع الى ضخامة ثروتها ، وغناها الذي صار مضرب الأمثال ، وهي الثروة التي تدفقت عليها من حقول الذهب .

كانت امبراطورية غانة قبل ذلك قد اشتهر بكثرة الذهب لديها ، لكنها لم تتحكم في منابعه ، وانما حصلت عليه عن طريق التجارة (٢) . وتشمل منطقة ونقارة أربعة أقاليم :

- ١ - بامبوك الواقعة بين السنغال الأعلى وفرعه فاليم .
- ٢ - بور عند التقاء النيجر الأعلى برافده تنكسو .
- ٣ - لوبى عند أعالي نهر فولتا .
- ٤ - أشانتي داخل جمهورية غانة الحديثة .

وفى هذه الأقاليم وغيرها يستبدل الملح بالذهب ، لعدم وجود الملح بها ، عن طريق التجارة الصامتة (٣) . وقد كثر الذهب فى دولة مالي ، وشاعت أخبار هذا الشراء فى بلاد المغرب وأوروبا حتى ان بعض الكتاب كتب يقول :

« لا يوجد هناك شعب أثرى من الماندينجو فى الذهب والفضة » (٤) .

ويقول الفع محمود كعت :

« وقيل ان مل مشتمل على نحو أربعمائة مدن ، وأرضها كثيرة الحيز ، ليس فى مملكة سلاطين الدنيا غير الشام أحسن منها ، وأهلها ذو ثروة ورفاهة عيش ، وحسبك بمعدن الذهب فى أرضه » (٤) .

(١) Labouret, p. 241 ; Wiedner, p. 35 ; Fage, p. 26.

(٢) Davidson, p. 84 ; Bovill, pp. 191-192-202. ١٤ -

(٣) انظر غانة فى العصور الوسطى للمؤلف ص ٦٢ - ٦٤ ، نزهة المشتاق ص ١٣

(٤) أنظر مايلى وراجع غانة فى العصور الوسطى للمؤلف ص ٦٤ - ٦٦ .

(٥) Bovill, pp. 194-195

(٥) الفتاش ص ٣٨ - ٤٠ .

ولم يكن استخراج الذهب أمرا عسيرا ، فقد بلغ من كثرته أنه كان يوجد قريبا من سطح الأرض ، يقول العمري : «تحفر الحفرة عمق قامة ، فيوجد الذهب في جنباتها ، وربما يوجد مجتمعا في أسفلها » (١) .  
وفي موضع آخر يقول :

« نبات الذهب بها - أي مالى - يبدأ في شهر أغسطس ، ويقع والله أعلم ، أنه مركب من تموز وآب - أي يوليو وأغسطس - حيث سلطان الشمس قاهر ، وذلك عند أخذ النيل - أي السنغال - في الارتفاع والزيادة ، فاذا انحط النيل ، تتبع حيث ركب عليه من الأرض ، فيؤخذ منه ما هو نبات يشبه النجيل وليس به ، فمن قرامية الذهب ، ومنه ما يوجد كالخصى ، والأول أفضل وأخلص وأقوم في العيار » (٢) .

اعتمد سادة مالى على الرعايا الوثنيين في أعمال المناجم والحفر لاستخراج الذهب وذلك لمهارتهم في ذلك العمل ، غير أن محاولة حكام مالى المستمرة لنشر الاسلام بين الرعايا الوثنيين ، أدت أحيانا الى توقف هؤلاء العمال الوثنيين عن العمل في المناجم ، لذلك تسامح سادة مالى معهم ، حتى يضمّنوا استغلال مناجم الذهب ، وكان المصدر الرئيسى لثروتهم وتجارتهم (٣) .

يقول العمري :

« وعنده - أي ملك مالى - أمم من الكفار لا يأخذ منهم جزية ، وإنما يستعملهم في استخراج الذهب من معادنه (٤) » .

وشرح العمري في موضع آخر موقف ملك مالى المسلم من عمال الحفر الوثنيين ، فقال :

« وقد جرب أن بلاد منابت الذهب متى أخذت وفشا فيها الاسلام والأذان ، عدم نبات الذهب ، فصاحب مالى يتركها لذلك لأنه مسلم ، وله عليها اتاوة كبيرة مقررة ، تحمل اليه في كل سنة (٥) .

(١) مسالك الأبصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٧ .

(٢) التعريف ص ٢٧ .

(٣) Bovill, p. 87

(٤) مسالك الأبصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٧ .

(٥) التعريف ص ٢٧ .

ونقل القلقشندي عن الشيخ سعيد الدكالي :

« أن في طاعة سلطانها - أي مالى - بلاد مغارة الذهب ، وهي بلاد همج ، وعليهم اتاوة من التبر ، تحمل اليه في كل سنة ، ولو شاء أخذهم ، ولكن ملوك هذه المملكة - أي مالى - قد جربوا ، أنه ما فتحت مدينة من هذه المدن ، وفشا بها الاسلام ، ونطق بها داعى الأذان، الا قل بها وجود الذهب ، ثم يتلاشى حتى يعدم ، ويزداد فيما يليه من بلاد الكفار ، فرضوا منهم ببذل الطاعة وحمل مقرر عليهم » (١) .

وليس من شك في أن ملك مالى كان متأثرا بتقليد وثنى قديم ، أو أن الوثنيين الذين قاوموا الاسلام ولم يقبلوا الدخول فيه أشاعوا هذه الخرافة أو امتنعوا عن استخراج الذهب وأشاعوا أن ندرة الذهب بسبب انتشار الاسلام . ومن ناحية أخرى ليس هناك ما يمنع من القول بأن ملك مالى تسامح مع الوثنيين .

الخلاصة : ان سيطرة مالى على حقول الذهب فى ونقاره ، أدت الى عظم ثروتها ورخائها وقوتها فضلا على شهرتها ، حتى ان السودان الغربى ظل أعظم مصدر للذهب لعالم البحر المتوسط منذ العصور الوسطى حتى تم كشف أمريكا (٢) .



وبعد وفاة منسا على بن مارى جاطة ، تعرضت مالى لفترة اضطرابات استمرت حتى نهاية القرن الثالث عشر ، الا أن هذه الفترة لم تخل من بعض الأعمال الكبرى التى زادت فى قوة مالى ، كما زادت فى مساحتها وفى هيبتها .

ولى خلال هذه الفترة - التى تقدر بنحو ثلاثين سنة - ما لا يقل عن سبعة ملوك ، جميعهم من أسرة كيتا ، باستثناء واحد منهم ، هو المغتصب سيكره (٣) .

وأول ملوك هذه الفترة : منسا على أو ولى ، وهى سمى سلفه وأخوه ، حكم أربع سنوات ( ١٢٧٠ - ١٢٧٤ م ) ، وليس فى تاريخه شيء يذكر ،

(١) صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٢) Davidson, p. 84

(٣) صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٩٤ .

Monteil, p. 77 ; Labouret, p. 241 ; Fage, p. 26

وجاء بعده أخوه « خليفة » ( ١٢٧٤ - ١٢٧٥ م ) ، لكنه كان أحمق ضعيفا « يرمى الناس بالسهام فيقتلهم » ، كما يقول الفلقشندي ، ولذلك ثار عليه أهل مملكته ، وتعصب ضده رجال البلاط وقتلوه واختاروا سبطا من أسباط ماري جاطه ، هو أبو بكر بن بنت ماري جاطه ، وذلك فيما يقول الفلقشندي : « على قاعدة العجم في تمليك البنت وابن البنت (١) » .

وخلال الفتنة التي انتهت بقتل خليفة ، وتولية أبي بكر ، هرب رهائن صنعى ، وعاد على كولسن وأخوه سلمان نار الى بلادهما حوالي عام ١٢٧٥ م (٢) يقول السعدى :

« خرج الأخوان يريدان الاستقلال ببلاد سغى ، فأرسل ملك مالى فى أثرهما ليقتلها ، لكنهما انتصرا ، وتسلمن على كولسن على أهل سغى وتسمى بسن (٣) ، وانفصل عن ملى ، وخلفه أخوه سلمان نار ، ولم يتجاوز ملكهم سغى وما حولها (٤) » .

استمر أبو بكر حفيد ماري جاطة فى الحكم لمدة عشر سنوات ( ١٢٧٥ - ١٢٨٥ م ) حتى وثب عليه مولى من موالى أسرة كيتا ، هو سيكره أو ساكوره Sakoura أو Zakoura تولى سيكره (٥) الحكم فى مالى ( ١٢٨٥ - ١٣٠٠ م ) وبالرغم من أنه مغتصب ، الا أنه حاول أن

(١) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ، انظر كذلك : Monteil, p. 76.

(٢) Monteil, p. 76

(٣) يعرف «سن على» كذلك باسم «شى عال» وهى نفس التسمية ، وشى كما يفسرها صاحب الفتاش ، تعنى : كى بنند أى خليفة السلطان أو بدله أو عوضه . وباستعادة شى عال أو سن على استقلال بلاده ،حوالى عام ١٢٧٥ م ، تقوم أسرة جديدة فى حكم صنعى فى أسرة «سن» نسبة الى لقبه ، ولكنه من سلالة أسرة الأزواء الحاكمة ، وقد توارث خلفاؤه هذا اللقب ، تيمنا به . مثل شى مادعو ، شى محمد كوكيا ، شى محمد فار ، وآخر هؤلاء «شى عال» ، الذى أخذ اسم مؤسس الاسرة ، وهو آخر أسرة الأزواء . تولى عام ٨٦٩ هـ / ١٤٦٤ م وتوفى عام ٨٦٧ هـ / ١٤٩٢ م ، وبوفاته تنتهى أسرة الأزواء ، وتقوم أسرة جديدة فى حكم صنعى هى أسرة لاساكي (امبراطورية شتى الاسلامية للمؤلف ، الفتاش ص ٤٢ - ٤٣ ، ٥٢ ، السعدى ص ٧١ - ٧٢) .

(٤) السعدى ص ٦ .

(٥) الصيغة العربية عن الفلقشندي وابن خلدون والمقريزى (صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٩٤ ، العبر ج ٥ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ، ج ٦ ص ٢٠٠ ، الذهب المسبوك ص ١١١) . وقد وردت بصور مختلفة منها : ساكوره وساكوره وساكوره .

يظهر بمظهر الحاكم القوي الذي يعيد الى مالي هيبتها وقوتها ، وحرص  
أشد الحرص على تقوية الدولة ومد نفوذها .

بدأ سيكره باخضاع صنغى التي خرجت على سيادة مالي ، واستولى  
على العاصمة جاز ، وهي التي امتنعت على أسلافه ، وكانت جاز مزدهرة  
فى ذلك الوقت (١) . يقول ابن خلدون عن سيكره :

« وهو الذى افتتح مدينة كوكو (٢) » ، وفى موضع آخر يقول :

« وافتتح بلاد كوكو وأصارها فى مملكة أهل مالي (٣) » .

وعن القلقشنندى :

واتسع نطاق مملكته - أى مملكة سيكره - وغلب على البلاد  
المجاورة له ، وفتح كوكو ، واستضافها ، واتصل ملكه من البحر المحيط  
الغربي الى بلاد تكرر ، فقوى سلطانه ، وهابته أمم السودان ، ورحل  
انيه التجار من بلاد الغرب وافريقية (٤) .

ولم يفت سيكره أن يقوم بأداء فريضة الحج ، فأداها عام ١٣٠٠م ،  
زمن سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثانية ( ١٢٩٨ - ١٣٠٨ م ) ، وزار  
مصر فى طريق سفره (٥) .

وكانت رحلة سيكره الى الأراضى أول رحلة نعرف عنها بعض  
التفاصيل ، فقد اتخذ طريق القوافل الشرقي عبر النيجر الى تيبستي الى  
واحات مصر الى مصر ، وخلال عودته عام ١٣٠٠ م قتل على أيدي  
الднаقل (٦) ، ولكن رجاله حملوا جثته معهم وأودعوها عند ماى البرنو ،  
وهو يومئذ يبرى إبراهيم بن دوناما ( ١٢٨٨ - ١٣٠٦ م ) (٧) ، وعندما  
بعث ماى البرنو الى مالي بهذا الخبر ، أرسل ولى الأمر حينئذ بعثة حملت  
الجثة الى مالي (٨) .

L. Lugard, p. 120; Hogben, p. 30; Monteil, pp. 77-82; Dubois, (١)  
pp. 29-37; Rouch. Les Songhay, p. 8; La Religion, p. 12

(٢) العبر ج ٥ ص ٤٩٤ .

(٣) العبر ج ٦ ص ٢٠٠ .

(٤) صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٦٤ ، انظر كذلك العبر ج ٥ ص ٤٣٤ ، ج ٦ ص ٢٠٠ .

(٥) الذهب المسبوك ص ١١١ ، صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٩٤ ،

L.: Lugard, p. 119; Le Chatelier, p. 81

(٦) الدناقل من القبائل المتجولة على ساحل البحر الأحمر الغربى من ناحية الجنوب .

(٧) امبراطورية البرنو الإسلامية للمؤلف Gouilly, p. 185

(٨) صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٦٤ ، Monteil, p. 77

وبعد مقتل سيكره ، عاد عرش مالى الى أسرة كيتسا ، فولى منهم  
منساقو بن ماري جاطه ( ١٣٠٠ - ١٣٠٥ م ) وخلفه من بعده ابنه  
مامادو ( محمد ) ( ١٣٠٥ - ١٣١٠ م ) ، وبعد وفاة محمد بن قو ، وقعت  
اضطرابات وفتن فى مالى ، انتهت بنقل العرش الى أبناء أخت ماري جاطه ،  
فولى شخص يسمى أبا بكر لمدة سنتين ( ١٣١٠ - ١٣١٢ م ) .

ليس فى عهود هؤلاء السلاطين ما يستحق الذكر ، فهى فترة  
اضطرابات وفتن (١) ، أقرب ما تكون الى فترات الانتقال بين العهود  
العظيمة ، فلقد كان العهد السابق عهد ماري جاطة والعهد اللاحق عهد  
منسا موسى أعظم سلاطين مالى على الاطلاق .

(١) مسالك الابصار ج ١ ق ٣ ورقة ٥٠٣ ، صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٩٤ ، العبر

ج ٦ ص ٢٠٠ ، Monteil, pp. 83-84, 107-102.

## الفصل الرابع

### دولة مالي الإسلامية في ذروة مجدها

#### السلطان كنكن موسى

(٧١٢ - ٧٢٨ هـ = ١٣١٢ - ١٣٣٧ م)

شخصية السلطان موسى والقابله - ولايته - اتساع الدولة في زمنه : اخضاع مابقى من أملاك غانة - اخضاع بلاد التكرور - فتح جاو عاصمة صنفى ١٣٢٥ م - اخضاع تنبكت ١٣٢٩/١٣٣٠ م - آقاليم مالي الأربعة عشر - مساحة مالي زمن موسى تعدل مساحة كل دول غربى أوروبا - حجه وموكبه ٧٢٤ هـ/١٣٢٤ م - استقباله فى القاهرة - سفره الى الحجاز وعودته - اقتراضه ووفاءه بديونه - ذبوع شهرة مالي - ظهور مانسا موسى فى خرائط العالم التى صدرت فى أوروبا فى العصور الوسطى .

السلطان موسى ، أعظم سلاطين مالي على الاطلاق ، وهو أبرز شخصية تاريخية فى أسرة كيتا (١) ، ولقد طبقت شهرته الآفاق ، لما بلغته مالي فى عهده من عظمة وقوة واتساع وثروة ونفوذ وتنظيم (٢) . وصفه الفقيه المؤرخ أحمد بابا ( ت ١٦٢٧ م ) بأنه يتمتع بقوة

(١) Gouilly, p. 55.

(٢) Page, p. 26



هائلة وأن مطامعه لا تحد ، وأتاه التوفيق في جميع مشروعاته السياسية والحربية ، واشتهر بأنه صديق البيض ، أو على حد تعبير ابن بطوطة : «يحب البيضان ويحسن اليهم (١)» ، ثم أنه الرجل المثقف الورع العادل الذي يجيد اللغة العربية (٢) ، أقام علاقات ودية مع الدول الإسلامية المعاصرة ، في مصر وبلاد المغرب، وفتح بلاده للاجئين من مسلمى الأندلس وعلمائهم أمام حركة الاضطهاد المسيحي لهم (٣) ، حتى قيل في هذا الصدد : « ان فقد أسبانيا الإسلامية كان كسبا لأفريقية الشمالية وأفريقية السوداء (٤) » .

قال القلقشندي عن السلطان موسى :

« كان رجلا صالحا وملكا عظيما ، له أخبار في العدل تؤثر عنه ، وعظمت مملكته في أيامه الى الغاية ، وافتتح الكثير من بلاد السودان ، ذوات أعمال وقرى وضياع (٥) » .

(١) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٠٩ ، انظر كذلك :

Okafor, p. 28 ; Davidson, p. 90.

(٢) مسالك الألبصار جـ ٢ في ٣ ورقة ٥٠٤ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٥ ، انظر

هايلي .

(٣) كانت أسبانيا الإسلامية في ذلك الوقت ، خلال القرن الرابع عشر الميلادي ، تعاني من ضغط الممالك المسيحية فيها ، فقد اشتدت حركة « الاسترداد المسيحي » Christian Reconquista ، وذلك بعد ان تمزقت الوحدة الإسلامية فيها بقيام ملوك الطوائف منذ القرن الحادي عشر الميلادي ، وبدخول المرابطين اسبانيا ، ومن بعدهم الموحدون ، بعثوا في مسلمى الأندلس بعض الحياة والقوة ، ولكن الى حين ، فقد تزعمت مملكة قشتالة المسيحية حركة الصراع التي أخذت صبغة صليبية ، ولاسيما بعد فشل الحروب الصليبية في الشرق ، اشتدت هذه الحركة على أيدي الملوك الكاثوليك والكنيسة الكاثوليكية ، ولم يبق للمسلمين في اسبانيا سوى امارة غرناطة ، وهي التي سقطت نهائيا أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، ولقد نكل المسيحيون بالمسلمين أشد تنكيل ، وكان المسلمون يتدفقون خلال ذلك الصراع المرير على شمالي افريقية .

( انظر . ابن الخطيب : اعمال الأعلام ص ٢٤١ - ٢٤٨ ، ٢٦٥ وما بعدها ، المقرئ :

نفع الطيب جـ ٢ ص ٥٢١ وما بعدها ، عنان : نهاية الأندلس ص ١٢٧ وما بعدها ) فر ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى - الترجمة العربية - ص ٢٨٦ ، المسلمون في أوروبا المؤلف ص وما بعدها ،

Brook, A Hist. of Europe, pp. 114-115 ; Dogy, Les Musulmans de l'Espagne, II, pp. 182 et suiv. ; Albert de Cicourt, Histoire des Mores, pp. 272-275 ; Lane Poole, The Story of Nations, pp. 180, 214-268 ; Green, Renaissance and Reformation, pp. 60-65.

L. Lugard, p. 122 ; Hogben, pp. 21-24. (٤)

(٥) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٤ .

وعن السعدى انه :

« رجل صالح عادل ، لم يكن فيهم — أى سلاطين مالى — مثله  
فى الصلاح والعدل (١) » .  
واشتهر فى أوربا بأنه :

« موسى مالى سيد زنوج غينيه (٢) » .

Musa Mali, Lord of negroes of Guinea

اشتهر السلطان موسى بالكرم والعطاء ، ولا سيما لعلماء المسلمين ،  
وحسبنا دليلاً على ذلك ، ما أورده ابن بطوطة ، نقلاً عن الفقيه مدرك بن  
ققوص ، أن « منسا موسى كافاً رجلاً من أهل تلمسان بسبعين مثقالاً من  
ذهب ، نظير سبعة مثاقيل وثلث ، كان قد أعطاها لمنسا فى صباه ،  
فقالوا له : « الحسنه بعشر أمثالها ٠٠ » (٣) ، كما أنه أعطى الفقيه  
المذكور « ثلاثة مثقال فى يوم واحد » (٤) ، وأعطى العالم أبا اسحاق  
المساحلى فى يوم واحد أربعة آلاف مثقال (٥) ، وهكذا .

\*\*\*

عرف السلطان موسى باسم : منسا كنكن موسى

Mansa Kankan Musa

أو كونكور موسى Kounkour أو جونجو أو كونجو أو كانجو .  
Gongo — Kongo — Kango

والفرنسيون هم الذين استخدموا الصيغ الأخيرة ، وكلها منسوبة  
الى أم السلطان موسى واسمها نانا كانجو Nan Kango والنسبة الى الأم  
أمر مشهور عند أسرة كيتا وعند غيرها من الأسر المالكة فى غربى افريقية  
مثل دولة البرنو (٦) .

وعند أهل مالى ، يعرف السلطان موسى باسم « كى مل »  
أو « مل كى كنكن موسى » ، وكى بمعنى حاكم (٧) ، فيكون المعنى :  
كنكن موسى حاكم مالى .

(١) تاريخ السودان ص ٧ .

(٢) Bovill, pp. 87, 91; Okafor, p. 29

(٣) (٤) ، (٥) تحفة النظر ج ٤ ص ٤١٩ - ٤٢٠ ، ابن خلدون ج ٦ ص ٢٠١ -

(٦) Baulin, p. 26; Bovill, p. 87; Monteil, pp. 101-103

الاسلامية للمؤلف ، راجع ماسبق فى الفصل الأول .

(٧) السعدى ص ٨ ، تحفة النظر ج ٤ ص ٤٠٧ ، انظر الألفاظ الاصطلاحية .

والسلطان موسى هو ابن أبي بكر السلطان السابق ، يقول ابن حجر  
فى ترجمته :

« موسى بن أبى بكر سالم التكرورى ، ملك التكرور (١) » . ولى  
العرش حوالى عام ١٣١٢ م ، على أرجح التواريخ ، أى بعد وفاة مارى جاطه  
المؤسس الحقيقى لدولة مالى ، بما يزيد قليلا على نصف قرن (٢) .

سأله الأمير أبو الحسن على ، والى مصر ، زمن الناصر محمد بن  
قلاوون ، وكان ، معيناً لمرافقته خلال اقامته بمصر ، عن سبب انتقال  
الملك اليه ، فأجابته :

ان الذى قبلى ، كان يظن أن البحر المحيط له غاية لا تدرك ، فجهز  
مئين سفن وشحنها بالرجال والأزواد التى تكفيهم سنين ، وأمر من فيها  
ألا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته أو تنفذ أزوادهم ، فقاموا مدة طويلة ، ثم  
عاد منهم سفينة واحدة ، وحضر مقدمها ، فسأله عن أمرهم ، فقيل :  
سارت السفن زمانا طويلا ، حتى عرض لها فى البحر فى وسط اللجة  
واد له جرية عظيمة - أى تيار بحرى عنيف - فابتلع تلك المراكب ، وكنت  
آخر القوم ، فرجعت بسفينتى ، فلم يصدقته ، فجهز الفى سفينة : الف  
للرجال وألف للأولاد ، واستخلفنى ، وسافر بنفسه ، ليعلم حقيقة  
ذلك ، فكان آخر العهد به وبمن معه (٣) .

وأيا كانت الطريقة أو الأحوال التى ولى فيها منسا موسى عرش  
مالى ، فإنه خلف أباه أبا بكر حفيد مارى جاطة . وتابع خطة سلفه العظيم  
مارى جاطة فى توسيع رقعة بلاده ، فاستولى على ما بقى من امبراطورية  
غانه ، فى مطلع حكمه ، كما استولى على اقليم زاغا Zagma وهو  
تكرور الغربية ، ومن أشهر مدن التكرور التى خضعت لسلطان مالى  
مدينة سلى (٤) ، التى وصفها الادريسي بقوله : أنها « مدينة حاضرة وبها  
مجتمع السودان ، ومتاجر سالحة ، وأهلها أهل نجدة (٥) » .

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٨٢ .

(٢) Bovill, p. 90; Okafor, p. 19; Hogben, p. 31; Monteil, p. 84;  
Trimingham, p. 258; Gouilly, p. 55

(٣) مسالك الابصار ج ٢ ف ٣ ورقة ٥٠٣ ، صبح الأعمى ج ٥ ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ،  
Davidson, p. 77

(٤) الصيغة العربية عن المراجع العربية ، وتكتبها المراجع الاجنبية . Silla

(٥) نزهة المشتاق ص ٣ ، انظر كذلك ، ليو الافريقى : الكتاب السابع ص ١٦٤ -  
Hogben, p. 33; Okafor, p. 29; L. Lugard, pp. 104, 113; Cooley, p. 170  
p. 91

ويبدو أن صنغى الناشئة ، كانت كثيرة الخروج على سلطان مالى  
فقد سبق أخضاعها مرتين ، احدهما زمن على بن ماري جاطة الأول  
والأخرى، زمن المغتصب سيكره الذى تمكن من أخضاع العاصمة جاو  
لكنها لم تثبت على الطاعة ، وهذا ما حمل قادة منسا موسى على اخضاعها  
من جديد ، وكان ذلك عقب عودة السلطان من حجه عام ١٣٢٥ م ،  
فقد نجح القائد سقمنجه (١) Sagaman فى الاستيلاء على عاصمة  
صنغى (٢) .

عرج موسى بعد ذلك على جاو ، حيث مكث بعض الوقت ، وبنى فيها  
مسجدا كبيرا . يقول السعدى :

« وذلك عادته ، رحمه الله ، فى كل موضع أخذته الجمعة فيه (٣) »

ويبدو أن نفوذ مالى قد استتب هذه المرة ، وطوال عهد موسى ،  
اذ أنه استعاد الرهائن وأحكم الرقابة عليهم . فهدأت الأحوال ، وانتظمت  
صنغى فى دفع الجزية ، حتى علق السعدى على ذلك بقوله :

« السلطان كئىن موسى أول من ملك سنغى من سلاطين ملى (٤) ،  
حقيقة لم يكن موسى أول من ملك صنغى ، لكنه أول من دعم نفوذ مالى  
فيها (٥) .

أما مدينة تنبكت ، وكانت خاضعة لصنغى ، فقد قاومت بعض  
الوقت ، الى أن تمكن السلطان موسى من فتحها عام ١٣٢٨/١٣٢٩م (٦) ،  
وبعد موسى هنا أول من فتح تنبكت من ملوك مالى رحب سكانها به ،  
بسبب تعسف صنغى وارهاقهم بالضرائب ، وفى تنبكت بنى موسى  
دارا للسلطنة ، أو دارا للحكم ، وتعرف هذه الدار ، بلغة الماندنغو  
« مع دك » أى دار السلطان ، وموضعها أصبح فيما بعد مجزرة  
للجزارين (٧) .

(١) الصيغة العربية عن ابن خلدون ج ٦ ص ٢٠٠ .

(٢) امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف ، Labouret, p. 241

(٣) السعدى ص ٧ .

(٤) السعدى ص ٥ - ٦ .

(٥) راجع ماسبق .

(٦) Okafor, p. 29 ; Bovill, p. 89 ; Davidson, p. 91 ; Hogden, pp. 31-33

(٧) السعدى ص ٧ - ٨ ، ٢٢ ، أنظر معجم الألفاظ والمصطلحات .

لكن حدث بعد مغادرة موسى للمدينة ، إن هاجمتها قبائل موش Mossi الوثنية حوالي عام ١٣٣٠ م ونهبتها وخربتها ، ثم جلت عنها (١) ، فعادت الى نفوذ مالي ، وظلت على ذلك نحو قرن، الى أن انتزعتها منها صغى فيما بعد ، حين قوى شأنها (٢) .

لم يبق خارجا عن سيادة مالي في حوض النيجر سوى دولة جنى Jenne (٣) ، التي نجحت في الاحتفاظ باستقلالها رغم قربها من عاصمة مالي، وساعدها على ذلك أنها كانت محمية بشبكة من المجارى المائية (٤) ، ويقال أن جنى قاومت ٩٩ غزوة من قبل مالي (٥)، ولذلك احتفظت بسيادتها واستقلالها تحت حكم ملوكها الوطنيين، وهؤلاء الملوك من المانك ، أو الماندينجو ، الا أنهم آثروا الاستقلال وعدم الاندماج في دولة مالي ، وهي دلة الماندينجو الكبرى ، ومع ذلك قبلت أن تدفع الجزية لملوك مالي ، على أن تظل محتفظة باستقلالها وسيادتها (٦) . كذلك لم تخضع دولة موش الوثنية لمالي ، وتقع في حوض نهر فولتا (٧) .

الخلاصة : ان دولة مالي الاسلامية ، بلغت في عهد منسا موسى ، ذروة مجدها وقوتها واتساعها ، ووصلت الى أقصى ما وصلت اليه من اتساع ، وحدودها من بلاد التكرور غربا عند شاطئ المحيط الأطلسي الى منطقة دندى Dendi ومناجم النحاس في تكده Takedda مركز القوافل شرقا ( شرقي النيجر ) ، ومن مناجم الملح في تاغازه Taghaza في

(١) السعدى ص ٦٩ - ٧٠ ،

Urvoy, p. 28 ; Gouilly, pp. 52-53 ; Bovill, p. 244 ; Le Chatelier, pp. 120, 134 ; Mélanges Ethnologiques, p. 21

(٢) عن تاريخ مدينة تنبكت واهميتها وتطور احوالها ، انظر : السعدى ص ٢٠ - ٢٢ ، تحفة النظار ج ٤ ص ٣٩٥ ، ليو الافريقي ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ،

Spitz, p. 62 ; Bovill, pp. 42, 89-93 ; Labouret, p. 241 ; Marty, pp. 1-2 ; Hogben, pp. 31-33 ; Davidson, p. 91 ; L. Lugard, pp. 113-114, 126, Le Chatelier, p. 81.

(٣) الصيغة العربية عن السعدى وصاحب الفتاش .

(٤) Hogben, p. 30 ; L. Lugard, p. 146 ; Bovill, pp. 90-91. (٤)

(٥) Okafor, p. 28 ; Bovill, pp. 102-103

(٦) Marty, p. 139 ; Hogben, pp. 30, 41 ; L. Lugard, p. 146. (٦)

(٧) عن اخبار موش وفروعهم وتاريخهم ، راجع :

Urvoy, p. 28 ; Monteil, p. 147 ; Church, p. 256 ; Bovill, 104 ; Gouilly, pp. 52-53 ; Spitz, p. 65 ; Le Chatelier, pp. 120-122.

والمرش حاليا يكونون أغلب سكان جمهورية فولتا العليا التي استقلت عام ١٩٦٠ .

الصحراء شمالا الى فولتا جالون ، ومناجم الذهب فى ونقارة جنوبا  
 بغرب ، وحاذت الحدود الجنوبية منطقة الغابات الاستوائية (١) .  
 عن الأمير أبى الحسن على بن أمير حاجب والى مصر ، أن السلطان  
 موسى : « فتح بسيفه ٢٤ مدينة من جديد من السودان ذوات أعمال  
 وقرى وضياع (٢) » .

وعن أبى سعيد الدكالى « طول هذه المملكة أربعة شهور وأزيد ،  
 وعرضها مثل ذلك ، وهى مربعة ، وتقع جنوبى مراكش وداخل بر العدو  
 جنوبا بغرب حتى المحيط (٣) » . ويصفها القلقشندى بقوله :  
 « وجميعها مسكونة الا ما قل » (٤) .

وعن العمري والقلقشندى والمقرئى ، نقلا عن أبى سعيد الدكالى،  
 أن مالى فى ذروة مجدها ، كانت تضم أربع عشرة مملكة أو أربعة عشر  
 اقليما ، بما فيها مالى ، وهى :

١ - غانه	٨ - بيرا أوبيط (٥)
٢ - زاقون	٩ - دمورا
٣ - ترنكا	١٠ - زاغا
٤ - تكررور	١١ - كابرا
٥ - سنغانة	١٢ - براغودى
٦ - بانبغو	١٣ - كوكو
٧ - زرنطانيا	١٤ - مالى (٦)

وتقدر مساحة مالى زمن السلطان موسى بمساحة كل دول غربى  
 أوروبا مجتمعة ، على أنه اذا قورنت بالامبراطورية الشرقية القديمة ، من  
 حيث السعة وتباعد الأطراف ، قد تكون مالى أقل نسبيا ، ولكنها على  
 أية حال ، كانت خلال القرن الرابع عشر الميلادى من أعظم الدول أو  
 الامبراطوريات المعاصرة (٧) .

(١) Page, p. 26, Davidson, pp. 90-91; Bovill, p. 90; L, Lugard, p. 46;

انظر خريطة مالى Wiedner, p. 35. زمن مانسا موسى

(٢) مسالك الابصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٣ ، صبح الأمشى ج ٥ ص ٢٩٤ .

(٣) مسالك الابصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٤ - ٤٩٥ .

(٤) صبح الأمشى ج ٥ ص ٢٨٢ .

(٥) ذكر السمدى (ص ١١ - ١٢) اسم «بيط» ، راجع كذلك :

Bovill, pp. 128, 192-193

(٦) المسالك ج ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٤ صبح الأمشى ج ٥ ص ٢٨٦ ،

Monteil, pp. 88-89.

(٧) Wiender, p. 35; Spitz, p. 62; Davidson, pp. 90-91



لقد فاقت دولة مالى سالفيتها غاناه ، من حيث العظمة والقوة والثروة والاتساع والشهرة ، فقد ضمت داخل حدودها مناجم الذهب والنحاس والملح ، وتحكمت فى طرق القوافل بين هذه المناجم شمالا وجنوبا(١) ، وهذا وتعد مالى بسعتها وجهاز ادارتها من ناحية أخرى دليلا حيا واقعا على قدرة السود فى التنظيم السياسى والاستثمار الاقتصادى(٢) .

\* \* \*

هكذا كان اتساع وشهرة مالى ، وقد زاد فى شهرتها وبعد صيتها وأكسبها رواء وبهاء وفخامة ، ذلك الموكب الفخم الذى سافر فيه موسى لأداء فريضة الحج عام ١٣٢٤م ، وقد انتشرت أخبار حجه وما وقع له فى رحلته فى الذهاب والعودة ، وخلال اقامته بالقاهرة ، وصلت الى أوروبا وإلى جميع أرجاء العالم الاسلامى ، مما أسبغ على دولة الماندينجو وثروتها مسحة اسطورية .

حقيقة سبقه من ملوك مالى من أدى فريضة الحج وزار مصر ، الا أن موكب كنتن موسى عام ٧٢٤ هـ = ١٣٢٤م ، هو الذى بهر مصر والحجاز والعالم الأوروبى ، من حيث الفخامة والزوعة ودلائل النعمة والترفع(٣) .

روى صاحب الفتاش سببا مباشرا لحج منسا موسى ، قال :

«ولحجه سبب حكاه لى الطالب الحافظ لقصاص الأوائل وهو محمد قم رحمه الله ، ذكر أن ملكى كنتن موسى ، هو الذى قتل أمه نانا كنتن خطأ ، وأسف لذلك وندم وخاف عقوبة ذلك ، وتصدق بمال جسيم وعزم على صوم الدهر ، وسأل بعض علماء زمانه عما يفعل فى الاستغفار لهذا الذنب العظيم ، فقال له : أرى أن تفرغ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتهرب اليه وتدخل فى حرمة وتستشفع به ، وسيشفعه الله فيك ، وهذا هو الراى (٤) » .

وأضاف صاحب الفتاش كذلك :

أن السلطان موسى عقد «العزم والعزم على ذلك فى يومه وقام بجمع المال والجهاز للسفر ، ونادى من أرضه من كل جانب يطلب الزاد والعون ،

(١) Bovill, p. 90

(٢) Davidson, p. 91

(٣) Gouilly, pp. 185-197 ; Spitz, p. 62 ; Bovill, p. 87 ; Wiedner, p. 35 ;

Davidson, p. 94

(٤) الفتاش ص ٢٣ .



وأتى بعض مشائخه يطلب منه أن يختار له يوم الخروج في الايام ، فقال:  
أرى ان تنتظر يوم السبت الذي يكون ثاني عشر شهر ، واخرج فيه  
لا تموت حتى ترجع لدارك سالما ان شاء الله »

« ومكث يتربص حصول ذلك في الشهر وينتظره ، ثم لم تحصل  
الا بعد تسعة أشهر ، وافق ثاني عشرة بيوم السبت ، وخرج بعد ما وصل  
رأس قافلته بتنيكت ، وهو بداره في مل ؛ والسبت الموافق بثاني عشر  
شهر ، كان منذ حينئذ يتفاول به مسافروهم ، ويمثل به في مسافر رجع  
بسوء المنقلب ، فيقال : هذا ما خرج في داره سبت خروج ملكي » (١) .  
ليس فيما رواه الفع محمود كعت أى شيء غريب أو غير عادي ، عن  
سبب حج موسى واختيار يوم سفره \*

سلك السلطان موسى طريق القوافل الغربي الذي يبدأ من منحني  
النيجر الى المغرب عن طريق سجلماسه (٢) ، فقد كان هناك أربعة طرق  
رئيسية للقوافل ، تربط حوض نهر النيجر بشاطئ البحر المتوسط ،  
وكانت مصر تتصل بالسودان الغربي عن هذه الطرق (٣) ، الا أن الطريق  
المألوف بين مصر ومالي هو الطريق الشرقي .

يقول العمري :

« وبلاد مالي وغانه وما معها ، يسلك اليها من غربي صعيد مصر .  
على الواحات ، في بر مقفر ، تسكنه طوائف من العرب ، ثم من البربر »  
الى عمران ، يتوصل منه الى مالي وغانه ، وهي مسامتة لجبال البربر - أى  
جبال أطلس الصحراء - جنوبي مراكش (٤) » .

خرج السلطان موسى عام ٧٢٤ هـ = ١٣٢٤م من عاصمته مالي على  
النيجر الى مدينة ولاته ، شمال شرقي مدينة كومبي صالح عاصمة غانه،  
ثم الى توات (٥) ، والطريق الذي سلكه من توات الى القاهرة غير محقق،  
ويحتمل أنه كان عن طريق ورقلان ، شمال شرقي توات الى ساحل خليج

(١) الفتاش ص ٣٣ .

(٢) L. Lugard, pp. 124-125 ; Bovill, pp. 52-53

(٣) Baulin, p. 26 ; Hogben, pp. 25-26

(٤) مسالك الأبصار ج ٢ في ٣ ورقة ٥٠٧ .

(٥) يذكر السعدي أن السبب في تسمية توات باسمها ، أن مرضا أصاب بعض  
رجالها في ذلك الموضع ، وهذا المرض يسمى عندهم توات ، فانقطع عن المركب من أصابهم  
هذا المرض واستوطنوه ، فعرف باسم توات (تاريخ السودان ص ٧) .

سيرتيس Syrtis عند تونس ، مما أتاح للتجار الاوربيين الذين يعملون في تبادل السلع مع افريقية ، أن يشهدوا موكبه في طريقه الى القاهرة (١) .

كان السلطان موسى يركب جوادا ومعه ستون ألف جندي ، وبصحبته خمسمائة عبد ، بيد كل عبد عصا من ذهب ، في كل عصا خمسمائة مثقال ذهب (٢) ، ويقول المقرئى :

« ويقال انه قدم معه أربع عشرة ألف جارية برسوم خدمته خاصة (٣) » .

وعن ابن خلدون وابن حجر : أن منسا موسى « كان قد أعد لنفقته من بلاده ، فيما يقال مائة حمل من التبر ، فى كل حمل ثلاثة قناطير (٤) » وقال الحاج يونس يمال التكرورى « ترجمان هذه الامة - آى التكرور - بمصر » (٥) :

« جاء هذا الملك منسا موسى من بلده بثمانين حملا من التبر ، كل حمل ثلاثة قناطير » (٦) .

ولا شك ، هناك بعض المبالغات فى تقدير كمية الذهب وضخامة هذا الموكب ، لكنه من غير شك أيضا ، أنه يلقى ضوءا على أنه كان فعلا بادى الشراء والفخامة ، بصرف النظر عن الارقام ، فان مالى تتحكم فى مناجم الذهب فى ونقاره ، وهى أرض التبر كما ينعتها الادريسي وغيره (٧) ، وملكها هو «ملك الذهب» كما يقول محمود كفت (٨) ، ثم هو ملك مالى Rex Melly « أغنى وأعظم ملك فى العالم » كما صورته خرائط العالم Mappae Mundi فى العصور الوسطى .

وصل منسا موسى القاهرة فى رجب سنة ٧٢٤هـ/ يوليو ١٣٢٤م ، حيث استقبل بما يليق به من احترام وتقدير ، فقد أوفد السلطان الناصر

(١) L. Lugard, pp. 124-125; Hogben, p. 31

(٢) يساوى المنقال حوالى ثمن أوقية من الذهب وزنا (السعدى ص ٧ ، Page, p. 26

(٣) الذهب المسبوك ص ١١٢ .

(٤) العبر ج ٥ ص ٤٣٤ ، الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٨٣ .

(٥) العبر ج ٦ ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٦) راجع ماسبق وانظر Bovill, pp. 52, 88

(٧) الفتاش ص ٤١ .

(٨) انظر مايلى فى نهاية هذا الفصل .

محمد بن قلاوون ، بعض كبار أمرائه لاستقباله ، وعين المهندار (١) أبا العباس أحمد بن علي الخاقاني ، ليكون مرافقا له ، خلال إقامته بالقاهرة .

قال المهندار :

« خرجنا لملتقاه من جهة السلطان - أي من قبل السلطان - ، فأكرمني أكراما عظيما ، وعاملني بأجمل الآداب ، ولكنه كان لا يحدثني الا بترجمان ، مع إجادته اللسان العربي ، ولما قدم ، قدم للخزانة السلطانية حملا من التبر (٢) » وعن ابن حجر أنه « قدم للخزانة السلطانية شيئا كثيرا من التبر المعدني الذي لم يصنع (٣) » وقدر ابن حجر قيمة الهدية بنحو خمسة آلاف مثقال (٤) ، أما ابن خلدون ، فقدرها بنحو خمسين ألف دينار (٥) ، وأشار المقرئ إلى أن هدايا منسأ موسى كانت جلية وأن ذهبه كان كثيرا (٦) .

قال المهندار :

« ولم يتترك - أي منسأ موسى - أميرا ولا رب وظيفة سلطانية ، الا بعث إليه بالذهب ، وكنت أحاول في طلوع القلعة للاجتماع بالسلطان ، حسب الأوامر السلطانية ، فيأبى خشية تقبيل الأرض للسلطان ، ويقول: جئت للحج لا لغيره ، ولم أزل به حتى وافق على ذلك (٧) » .

وعندما دخل منسأ موسى على السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، طلب إليه أن يقبل الأرض ، فتوقف وأبى إباء ظاهرا ، وقال للترجمان - لعله يونس ويمال التكروري الذي كان يعمل ترجمانا في مصر - : أنا

(١) المهندار كلمة فارسية مكونة من كلمتين : مهمن (يفتح الميم وسكون الهاء وفتح الميم الثانية وسكون النون) . بمعنى ضيف + دار بمعنى ممسك ، ومهمته تلقى الرسل والوفود الواردين إلى السلطان وانزالهم بدور الضيافة (صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢ ، ج ٥ ص ٤٥٩ ) .

(٢) مسالك الأبحار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٤ - ٥٠٥ .

(٣) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٨٣ .

(٤) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٨٣ .

(٥) العبر ج ٥ ص ٤٣٤ .

(٦) الذهب المسبوك ص ١١٢ .

(٧) مسالك الأبحار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٤ ، أنظر كذلك : Monteil, p. 112

مالكي المذهب ، ولا أسجد لغير الله (١) « اعفاه السلطان الناصر من ذلك التقليد وقربه وأكرمه وتحدث معه (٢) .

ويقال ان رجلا كان بجوار منسا موسى ، عندما أبى أن يقبل الأرض للسلطان المملوكي ، قد أسر آليه ، ببعض كلمات ، فقال موسى : « أنا أسجد لله الذي خلقتني وفطرني . ثم سجد ، وتقدم نحو النصر «فقام له بعض القيام » وأجلسه الى جانبه وحادثه (٣) .

رسم السلطان الناصر لوزيره أن يعنى بالضيف الكبير وأن «يجهزه بكل ما يحتاج اليه» ، وأمر بانزاله بقصر عند القرافة الكبرى ، وأقطعه هذا القصر (٤) ، أى ملكه له ، وهو أقطاع من نوع التملك .

والملاحظ أن أغلب المراجع الاجنبية لم تشر اطلاقا الى مقابلة منسا موسى لسلطان مصر ، بل ان بعض المراجع لم تشر الى مروره بمصر كلية ، على حين اقتصر بعض آخر على القول ، بأن حج منسا موسى قد أدهش أوروبا (٥) ، وهناك من المراجع الأجنبية ما سكت عن ذكر حادث حجه ولم يتعرض له من قريب أو من بعيد (٦) .

ومما هو جدير بالملاحظة ، أن التجار البنادقة بالقاهرة ، شهدوا موكب السلطان موسى ومروره بالقاهرة ، وكتبوا تقارير عنه الى بلادهم ، وجاء في بعض هذه التقارير أن تنيكت التي لم تكن في عام ١١٠٠م تعدو محطة صغيرة ، تعمرها الخيام والأكواخ ، قد تحول حالها ، واحتلت مكانة غانة ، كأعظم مركز تجارى وحضارى فى قلب افريقية ، وهى الآن تذخر بالمبانى الحجرية وتعمرها الثقافة الاسلامية الزاهرة زمن مانسا موسى (٧) .

بعث السلطان الناصر الى ضيقه هدية حافلة ، وهى عبارة عن : طرد وحشن على مفرج اسكندري ، وكلوته زركش وگلاليب ذهب ، وشاش

(١) الذهب المسبوك ص ١١٢ .

(٢) الذهب المسبوك ص ١١٢ .

(٣) مسالك الابصار ج ٢ في ٢ ورقة ٥٠٤ .

(٤) العبر ج ٥ ص ٤٣٤ ، الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٨٣ .

(٥) Guilly, p. 55 ; Hogben, p. 31 ; Okafor, p. 29 ; Fage, p. 26 ; L. Lu-gard, p. 124.

(٦) Le Chatelier, p. 81

(٧) لم تكن مدينة تنيكت قد خضعت فى ذلك الوقت لسلطان مالى ، مما يدل على أن تقارير البنادقة كتبت بعد حج موسى وبعد استيلائه على تنيكت ، أى بعد عام ١٣٣٠ م ، انظر Okafor, p. 35

بحرير ورقم خليفتي ومنطقة ذهب مرصعة ، وسيف محلي ، ومنديل  
مذهب خز وفرسين ملجمين مسرحين وأعلام (١) . يقول العمري :  
« وأجرى عليه الانزال والاقامات الوافرة مدة اقامته » (٢) .

وخلال اقامة موسى بالقاهرة ، أفاد الكثير من المصريين ، في بيع  
سلعهم الى أتباعه ، ونشطت حركة البيع والشراء ، ويقال ان أحد المصريين  
باع لأحد أتباع موسى ثوبا بخمسة دنانير ، وهو لا يساوي أكثر من دينار  
واحد ؛ والواقع ان الملابس المصرية الجميلة ، والجوارى الحسان ، هي  
التي بهرت هؤلاء السود ، وحدث أن انخفض سعر الذهب في أيدي  
القاهرة ، بسبب اغراقها بذهب السودان وبسبب كثرة الذهب في أيدي  
الناس ، ولم يرتفع سعر الذهب بعد ذلك لمدة سنوات طويلة (٣) .

فلما حان وقت الرحيل الى الاراضى الحجازية ، زود الناصر ضيفه  
بمبلغ كبير من المال ، وزوده بالهجن والأزواد ، له ولأصحابه ، وأعد له  
ما يلزم من العليق لدوابه ، على طول الطريق الى الحجاز (٤) ، وأوصى  
أمير ركب الحاج المصرى ، الذى صحبه ، وهو الأمير سيف الدين أيتمش ،  
بالمبالغة فى احترامه والقيام بجميع ما يحتاجه (٥) .

وفى الحجاز ، أدى فريضة الحج ، وزار المدينة ، « وأفاض على  
الحجيج وأهل الحرمين بالاحسان » . يقول المهندار : « ونالنى منه نحو  
مائتى مثقال ذهب » (٦) . وعلق السعدي على ما بذل موسى من  
صدقات بالحجاز ، بقوله :

« ومع قوته واتساع ملكه ، لم يتصدق فى الحرمين بأكثر من  
عشرين ألف ذهب ، مع أن أسكيا الحاج محمد ، ملك سنى ، تصدق  
بمائة ألف ذهب » (٧) .

طاب المقام لمنسا موسى بالحجاز ، فبقى نحو ثلاثة شهور فيه بعد  
أنتهاء موسم الحج (٨) ، ولما عاد ضل الطريق ، إذ ابتعد عن ركبته وعن المحمل

(١) مسالك الأبرار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٤ - ٥٠٥ .

(٢) مسالك الأبرار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٤ - ٥٠٥ .

(٣) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٨٣ . Bovill, p. 88.

(٤) مسالك الأبرار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٥ .

(٥) الذهب المسبوك ص ١١٢ .

(٦) مسالك الأبرار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٥ ، Monteil, p. 112

(٧) تاريخ السودان ص ٧ ، امبراطورية صنتى الاسلامية للمؤلف ، الفتناء ص ١٢ .

(٨) الذهب المسبوك ص ١١٢ ، العبر ج ٥ ص ٤٢٤ ، الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٨٣ .

«المصري ، فتعرض لنهب البدو ، حتى نفذ زاده ، فأكل لحم الحيتان هو  
ومن كان معه من أصحابه ، وظلوا على ذلك حتى وصلوا السويس ، ولكن  
يعد أن هلك «الكثير من أصحابه، وجماله من البرد ، حتى لم يصل معه  
إلا نحو الثلث منهم » (١)

وعند وصوله القاهرة ، بعث إلى السلطان الناصر بهدية الحجاز  
«تبركا» ، فأجابه السلطان بالخلع له ولمن بقى معه من أصحابه ، فضلا  
على « التحف والألطف من البز الإسكندري والأمتعة الفاخرة » (٢) .

يقول ابن أمير حاجب وإلى مصر ، أن السلطان موسى «كان معه مائة  
حمل ذهب ، أنفقها في سفرفته تلك ، على من بطريقه إلى مصر من  
«لقبائل ، ثم من مصر إلى الحجاز ، توجهها وعودة ، حتى احتاج إلى القرض ،  
فاستدان على ذمته من تجار مصر ، بما لهم عليه فيه من المكاسب الكثيرة  
بيحيث يحصل لكل واحد منهم في كل ٣٠٠ دينار ؛ سبعمائة دينار  
تربح » (٣) .

وبصدد حاجته إلى المال ، اضطر موسى إلى بيع القصر الذي كان  
السلطان الناصر حسن قد أقطعه آياه ، اشتراه منه سراج الدين بن  
الكويك ، أحد كبار التجار من أهل الإسكندرية ، ونزل موسى بروض  
لابن الكويك ببركة الحبش خارج مصر (٤) ، كما أقرضه ابن الكويك  
خمسین ألف دينار ، وأقرض أمراء كذلك ما احتاجوا إليه (٥) ، وهذا  
بالإضافة إلى مساعدات سلطان مصر ، يقول ابن خلدون :

« ثم جدد له السلطان الكرامة وأوسع له في الجباء (٦) » ،  
وعن المقریزی :

(١) مسالك الأبحار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٥ .

(٢) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٩ ، الذهب المسبوك ص ١١٣ ، المعبر ج ٥ ص ٤٣٤ .

(٣) المراجع السابقة .

(٤) بركة الحبش من أشهر برك في العصور الوسطى ، وموقعها بظاهر  
«الفسطاط ، وقد تغيرت عليها الأسماء حتى اشتهرت ببركة الحبش ، لأنه كان يوجد  
بجوارها جنان تابعة لطائفة من الرهبان الأحباش ، فنسبت إليها ، وهي ليست بركة بالمعنى  
المتفهوم ، وإنما هي حوض من الأرض الزراعية ، تغمره مياه النيل وقت الفيضان ، فيصبح  
مثل البركة ، ثم زرع وصارت من أكبر منتزهات مصر ( النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٨١ -

٣٨٣ ، السلوك ج ١ ص ١٧٤ حاشية ( ١ ) .

(٥) المعبر ج ٥ ص ٤٣٤ .

(٦) المعبر ج ٥ ص ٤٣٤ .

« وأنعم السلطان عليه بخيول وجمال (١) ». »

اتخذ منسا موسى في طريق عودته الى بلاده طريق القوافل الشرقي وهو الذي يبدأ من مصر الى برقة الى طرابلس الى واحة كفرة الى وادي الى منطقة بحيرة تشاد الى جاو - عاصمة صنفى - ، وكانت حديثة العهد بخضوعها الى مالى (٢) ، وكان وصوله الى جاو عام ١٣٢٥ م (٣)

أما عن أصحاب القروض في مصر ، فان ابن الكويك أرسل وكيله مع السلطان موسى ليصعبه في عودته الى بلاده لكي يستوفي حقوقه ، ويقال ان وكيل ابن الكويك مات في الطريق قبل ان يقضى دين سيده ، فاضطر سراج الدين أن يسافر بنفسه الى بلاط مالى ، فسافر ومعه ابنه ، ولما وصلا الى تنبكت ، أضافهما أبو اسحاق الساحلى (٤) ، الا أن سراج الدين مات عند وصوله ، وأشيع أنه مات مسموما ، فقال ابنه :

« انى أكلت معه هذا الطعام بعينه ، فلو كان فيه سم لقتلنا جميعا ، لكنه انقضى أجله » (٥) ، ودفن سراج الدين في تنبكت ، وقد زار ابن بطوطه قبره فيها خلال رحلة عام ٧٥٤ هـ = ١٣٥٣ م ، وقص بعض أخباره (٦) .

أما ابن الكويك الابن واسمه فخر الدين أبو جعفر ، فقد تابع رحلته بعد وفاة أبيه ، حتى وصل مالى العاصمة وقبض ماله وعاد الى مصر (٧)



هذا هو حديث الحجج الذي ذاعت أخباره وادهشت العالم المعاصر ، وقد ظل أهل مصر يتحدثون بأخبار منسا موسى وثرائه وكرمه وضخامة ملكه وعظمته ، نحو اثنتى عشرة من بعد رحيله .

(١) الذهب المسبوك ص ١١٣ .

(٢) راجع ماسبق .

(٣) السعدى ص ٨ ، تحفة النظار ج ٤ ص ٤٣١ - ٤٣٢ ، الدرر الكامنة ج ٤

ص ٣٨٣ .

(٤) راجع ماسبق وانظر الفصل الأخير .

(٥) السعدى ص ٨ ، تحفة ج ٤ ص ٤٣١ - ٤٣٢ ، الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٨٣ -

(٦) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٣١ - ٤٣٢ .

(٧) السعدى ص ٨ ، تحفة النظار ج ٤ ص ٤٣١ - ٤٣٢ ، صبح الأعشى ج ٥

ص ٢٩٦ ، العبر ج ٥ ص ٤٣٤ ، الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٨٣ .

Bovill, pp. 88-89; Monteil, pp. 102-111; Kuf, p. 30

وصلت شهرة مالى وأخبار موكب حج موسى ودلالته، الى أوروبا، ومنذ ذلك الوقت ازداد التفكير الأوروبى فى محاولة التعرف على قلب افريقية ، والوصول اليه ، وفى ذلك الوقت ، وهو القرن الرابع عشر الميلادى ، تأسست مدرسة فى جزيرة ميورقه لدراسة وتعليم فن رسم الخرائط وإصدار الخرائط ، ومن أهدافها الرئيسية التعرف على قلب افريقية ، لأغراض تجارية ، وعلى الأقل فى أول أمرها (١) .

ظهرت صورة منساموسى فى أغلب الخرائط التى صدرت فى ذلك القرن ، اذ عدت بلاده قلب المنطقة ، أو الهدف الأقصى الذى ينبغي السعى للوصول اليه ، فمن هذه المنطقة تتدفق السلع الافريقية ، كما يتدفق الذهب .

وأقدم خريطة ظهرت فى ذلك القرن ، ترجع الى عام ١٣٣٩ م ، أى بعد وفاة منسا موسى بقليل ، وهى إحدى خرائط العالم ، رسمها العالم المينورقى انجليئودلكرت Angelino Dulcert ، وأشارت هذه الخريطة الى قلب افريقية ، حيث أظهرت « ملك مالى » Rex Melly جالسا على عرشه فى زيه الملكى وعلى رأسه التاج ، وفى يده صولجان الملك .

وتدل خريطة دلكرت ، على مدى الرغبة الشديدة فى حب الاستطلاع ، لمعرفة بلاد مانسا موسى والطرق المؤدية اليها ، فقد ظهرت فى الخريطة جبال أطلس ويقطعها « وادى السوس المؤدى الى بلاد ملك الزنوج » (٢) .

وفى الخريطة التى رسمها العالم البندقى بتزيانى Pizzigani عام ١٣٦٧ م ، ظهرت جبال أطلس ، يقطعها الوادى المذكور ، كما وضح فيها كيف تتدفق السلع الواردة من بلاد ملك مالى ، عن هذا الوادى (٣) .

على أن من أهم الخرائط التى ظهرت فى ذلك القرن، ما عرف باسم الخريطة القطلونية أو الأطلس القطلونى ، ظهرت هذه الخريطة زمن الملك

(١) البرتغاليون فى غرب افريقيا للمؤلف ص ١٦ ومايلها ، راجع كذلك : Davidson, pp. 76-77, 91; Bovill, pp. 90-51, 114-115; De La Roncière, I, 157, Johnston, pp. 78-91; Okafor, p. 26; Brown, pp. 73, 108, 111, 205, 243, 301, 305-306; Tooley, pp. 96-102; Ward, pp. 29-30.

Bovill, p. 91 (٢)

Ibid (٣)



شارل الخامس الفرنجى الملقب بالحكيم أو الرشيد (١٣٦٤ - ١٣٨٠ م (١) وهى من عمل العالم الجغرافى الميسورقى أبراهام كرسك Abraham Cresques وصدرت حوالى عام ١٣٧٥ م .

أوضحت هذه الخريطة قلب الصحراء ، وفيه رجل ملثم يرتكب جملا ويسير بخطى سريعة نحو ملك مهيب جالس على عرشه ، فى كامل لباسه الملكى ، وعلى رأسه تاج ، وفى احدى يديه صولجان الملك ، وفيه اليد الأخرى قطعة من ذهب ، يقدمها لذلك الراكب المهول نحوه ، ويسمى « هذا السيد الزنجى » - كما هو منقوش على الخريطة - « موسى مالى سيد زنوج غينيه ، ويكثر الذهب فى بلاده ، حتى صار أغنى وأعظم ملك فى جميع البلاد » (٢) .

وفى الخريطة القطلونية ، ظهرت جبال أطلس ، يقطعها وادى النسوس ، وهو الوادى الذى يسلكه التجار عادة الى بلاد السودان ، وليس هذا الوادى سوى طريق القوافل العظيم ، المار بسجلماسة الى الجنوب ، عبر الصحراء ، وهو أكثر الطرق استخداما ، من قبل المغاربة ، منذ أقدم العصور (٣) ،

ومما أثار دهشة الأوربيين ، ظهور بعض المدن التاريخية المشهورة على هذه الخريطة ، مثل تغازة Tagaza وتنبكت Tenbuch ومالى Cuitat de Mali وجاو Geugeu . وقد أدت المعالم التى أوضحتها الخريطة القطلونية ، الى زيادة المعروف عن العالم ، وكشفت عن حقائق جديدة ، وأيدت الكثير مما كان محل شك ، من روايات وأخبار الرحالة والمغامرين ، وامتدت أهمية هذه الخريطة ، ونفعها الى ما بعد ذلك بنحو قرن ، حين قام كولبس بكشوفه (٤)

ومن الخرائط التى صدرت فى القرن الخامس عشر بأوروبا وأوردت معالم وحقائق عن موسى ومالى ، خريطة العالم فيلادست Villadestes ، وهى التى ظهرت فى جزيرة ميورقه عام ١٤١٣ م .

(١) شارل الخامس من ملوك فرنسا من اسرة فالوا Valois ، وهذه الاسرة فرع من اسرة كابى Capets ، ويؤرخ لقيام الملكية الانتطاعية فى فرنسا بقيام اسرة كابى منذ اواخر القرن العاشر الميلادى .

(٢) Bovill, p. 91

(٣) Davidson, p. 76

(٤) انظر الخريطة القطلونية الملحقه بهذا الفصل .

وخريطة لعالم بندقي صدرت في عام ١٤٣٣ م ، وثالثة للعالم جيم  
برتراند Jayme Bertrand عام ١٤٨٢ م (١) .

وفي مطلع القرن السادس عشر الميلادي ، ظهرت خريطة في  
ستراسبورج عام ١٥١٣ م ، وعليها نقش يتعلق بمملكة مالي وسيدها  
« Regnum Musa Melle de Ginovia » موسى (٢) .

وبعد هذا التاريخ بثلاث سنوات ، أخرج العالم الألماني فالديسمولر  
Valdesmüller ، خريطة عليها اسم مانسا موسى ، ويبدو أن هذه  
الخريطة ، قد ذلت أهميتها وقيمتها ، تحت ضوء المعلومات الحديثة  
المحققة . حينئذ ، على أثر ظهور مؤلف ليو الافريقي الذي القى الضوء  
على قلب أفريقية وأحوالها (٣) .

ويلاحظ أن رسامي الخرائط ، وجدوا صعوبة في التوفيق بين  
«الصفات الجوهرية التي في أذهانهم عن الزنوج ، مثل قصر الشعر وظاهرة  
العرى الجزئي أو الكلي ، وبين أفكارهم المؤلفه عما ينبغي أن يبدو فيه  
ملك عظيم ، فمن وجهة نظرهم ، كان لابد من وجود لحية لمن يلي منصب  
الملك ، ومن ثم احتاط دلكرت في خريطته ، وأظهرت منسا موسى بلحية  
قصيرة جدا ، كمحاولة من قبله ، لهذا التوفيق ، ولكن قصر اللحية لم  
يرتج اليه الرسامون الذين جاءوا بعده ، واعتبروه غير لائق للملك ،  
ولذلك أطالوا لحيته في خرائطهم .

وبمرور الزمن ، ازداد الشعور في أوروبا ، بأن مانسا موسى ، بالرغم  
من سواد بشرته ، المميزة له في جميع الخرائط ، لا يختلف كثيرا عن أي  
ملك أوربي ، ولذا أظهروه في الخرائط بالشكل المؤلف من حيث اظهار  
التاج والعرش ، ماعدا الرداء الملكي ، فانهم أظهروه أقصر من المؤلف ،  
لعدم اهمال خاصية العرى عند الزنوج ، وهذا ما فعله برتراند في الخريطة  
التي أصدرها عام ١٤٨٢ م (٤) .

(١) Oliver and Fage, p. 90 ; Bovill, pp. 91-92 ; Tooley, pp. 96-102 ;  
Brown, pp. 242, 301, 305-306.

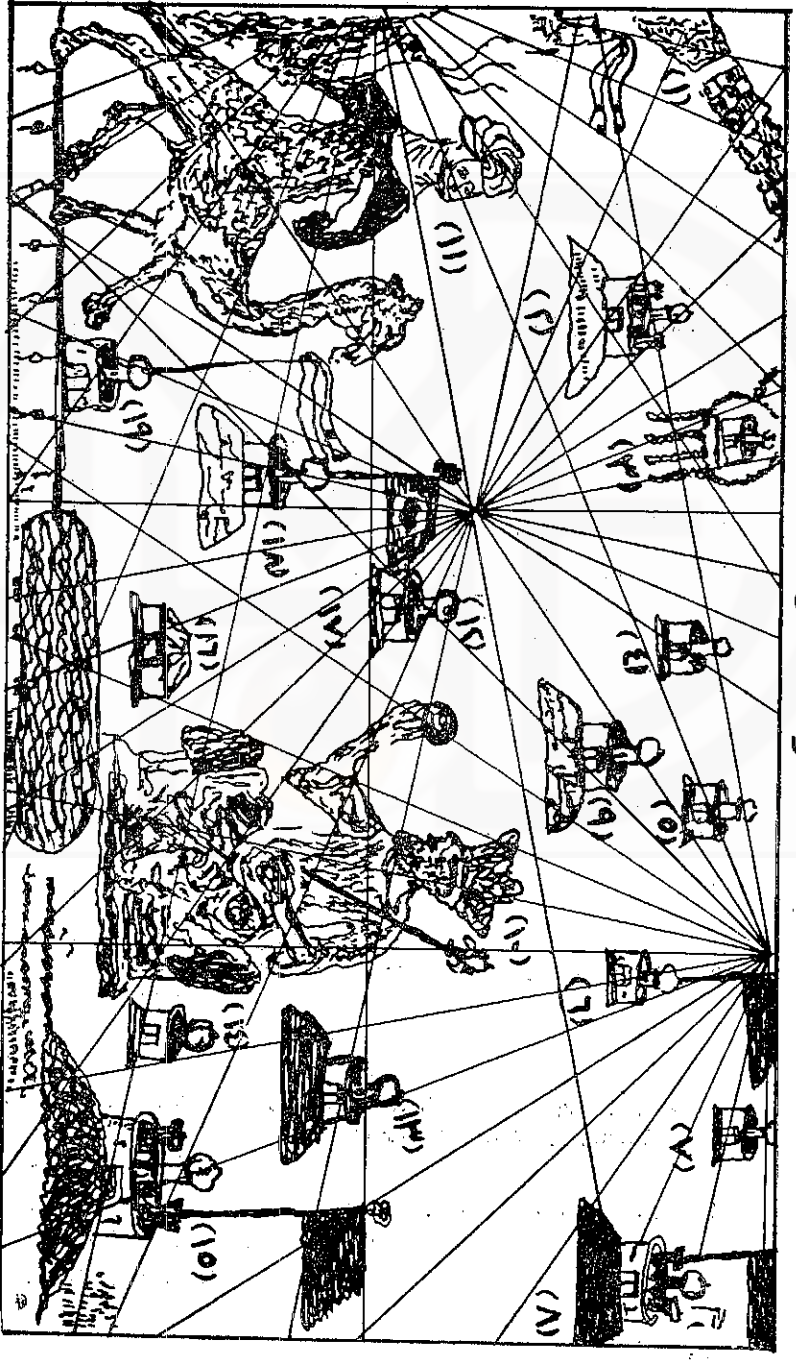
(٢) L. Lugard, p. 152

(٣) راجع المدخل وانظر : L. Lugard, p. 152 ; Bovill, pp. 91-92

«لبرتغاليون وغرب أفريقيا للمؤلف ص ١٦ ومايليها .

(٤) Bovill, p. 92 (F.N.)

دولة ممالی



السلطان کنز موسی سلطان ممالی

( ۷۱۲ - ۷۲۸ھ / ۱۲۱۲ - ۲۱۳۳م )

أما هذا التوفيق وهذه المحاولات ، التي بذلها رسامو الخرائط في أوروبا بالنسبة لصورة ملك مالى ، فلا أساس لها من واقع التاريخ ، سواء كان ذلك بالنسبة للملوك مالى أم ملوك غيرها من الدول الإسلامية التي قامت في غربى إفريقيا ، حتى فى عهد الوثنى ، والشواهد أكثر من أن تحصى .

والذى يمكن أن نقوله : أن عظمة مالى زمن مانسا موسى ، كانت من بين الحوافر التي أدت الى زيادة المعروف عن قلب إفريقيا ، تمهيدا لحركة الكشف والاستعمار الأوربى .

( الخريطة القطالونية التي رسمت لشارل الخامس ملك فرنسا عام ١٣٧٥ م ) .

#### بيانات الخريطة :

١ - وادى درعة الذى يخترق جبال أطلس ، وهو أحد طرق القوافل الى بلاد السودان .

٢ - مدينة تاكورام Tacoram

٣ - مدينة سجلماسة (Sigilmassa) Sijilmasa

٤ - مدينة تابلبرت (Tabelbelt) Tabelbert

٥ - مدينة انزىزا (anzicha) In Ziga

٦ - مدينة توغورت (Tacort) Tuggurt

٧ - مدينة بسكره (Vescara) Biskra

٨ - مدينة توزور (Tauser) Tozeur

٩ - مدينة توات (Vadia) Tuat

١٠ - صورة السلطان كئكن موسى ، ويبدو وفى يده قطعة من الذهب يقدمها للوفد عليه فوق جملة - وتوجد عبارة مكتوبة على الخريطة خلف صورة السلطان موسى ونصها :

« يدعى هذا الزنجى ، موسى مالى ، سيد زنوج غينيا . وهو أترى وأعظم ملك فى بلاد السودان ، لوفرة الذهب فى بلاده » .

١١ - أحد التجار من الملتزمين العاملين في التجارة بين بلاد السودان وبلاد المغرب ، وأمام صورته على الخريطة عبارة ، نصها :

« ينتشر الملتزمون في جميع أرجاء هذه المنطقة ، وهم الذين يضعون اللثام على أفواههم ، فلا ترى سوى أعينهم . وهم يعيشون في خيام وعماد قوافلهم الجمال ؛ وفي هذه المنطقة يوجد الحيوان المعروف باسم « اللمط » (١) (Lemp) ؛ ومن جلده تصنع الدروع المتينة » .

(Tagaza) Taghaza	١٢ - مدينة تغازه
Buda	١٣ - مدينة بودا
(geugeu) Gao	١٤ - مدينة جاو (٢)
Mayma	١٥ - مدينة ميمه
(Tembuch) Timbuktu	١٦ - مدينة تنيكت
Ginyia	١٧ - أغينييه
Sudan	١٨ - السودان
(Ciutat de Melli) City of Mali	١٩ - مدينة مالي

(١) هذا الحيوان يشبه الثور (انظر المتن) .  
(٢) جاو عاصمة دولة صنغى الاسلامية ، وتقع على النيجر ، وتعرف في الكتب العربية بأسماء مختلفة ، منها : كاغ ، كوفا ، كاغو ، كوكو ، كركر الخ . ( معجم البلدان ج ٤ ص ٤٩٥ ) السعدى ص ٧ ، الفتناش ص ٤٥ ، ليو الافريقي : الكتاب السابع ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ، ابن خلدون ج ٥ ص ٤٣٤ ، ج ٦ ص ٢٠٠ ، Cooley, pp. 103-104 صبح الأعيى ج ٥ ص ٢٨٥ ، L. Lug, pp. 120, 144, 157 ، امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف ) .

## الفصل الخامس

### دولة مالي بعد كن موسى

مغان الأول بن مانسا موسى (١٣٣٧ - ١٣٤١ م) - عزو قبائل موش ونهب تنبكت - السفارة المغربية - فرار رهائن صنفى - مانسا سليمان أخو مانسا موسى (١٣٤١ - ١٣٣٦ م) - الإصلاح الداخلى وعنايته بالعلماء والمساجد - حجه ١٣٥١ م - ابن بطوطة يزور مالي زمن مانسا سليمان - وصفه الدقيق لأحوال مالي .

جاء بعد السلطان موسى ابنه مغان الأول أو منسا مفا ، ومعنى مفا محمد « (١) ، وكان قد تدرب على الحكم خلال غيبة أبيه فى موسم الحج (٢) .

وفى زمن منسا مفا (١٣٣٧ - ١٣٤١ م) ، لم تكف قبائل موش المقيمة فى ياتنجا Yatenga عن مداومة مالي والقيام بأعمال النهب والتخريب ، فهاجمت تنبكت وأبادت حاميتها من ألماندنجو وأحرقتها (٣) ، وكان فى تنبكت فى ذلك الوقت سفارة من قبل أبى الحسن ، أعظم سلاطين بنى مرين فى فاس ، وتضم السفارة عددا من كبار المراكشيين برياسة الزعيم الشهير ابن غانه ، جاءت هذه السفارة ردا على بعثة التهنة التى

(١) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٧ .

(٢) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٧ ، Monteil, p. 124 .

(٣) Monteil, p. 124 ; Bovill, p. 93 .

كان السلطان موسى قد بعث بها من قبل لتهنئة السلطان أبي الحسن علي  
أثر انتصاره وفتح تلمسان . كانت السفارة المغربية تحمل معها هدية  
فاخرة الى منسا موسى ، لكنها وصلت بعد وفاته ، فاستقبلها ابنه مغان  
وتسلم الهدية (١) .

على أن الحادث الهام الذي يقتربن بحكم مغان الأول القصير ، والذي  
كان بعيد الأثر في مصير دولة مالي برمتها ، هو أن مغان الأول لسوء  
تدبيره وقصر نظره ، منح الرهائن من أمراء صنغى مزيدا من الحرية ، في  
الخروج والتجول من غير مراقبة ، وكان السلطان موسى شديد الحرص على  
مراقبتهم ، منذ أخذهم من جاو على أثر استيلائه عليها أو استعادته لها  
عام ١٣٢٥م ، ويبدو أن الأميرين علي كلن وأخاه سليمان نار قد هربا أكثر  
من مرة خلال فترات اضطراب مالي ، زمن السلاطين الضعاف ، ونجح  
الأميران الصنغيان هذه المرة في انتزاع جاو من حامية الماندنغو نهائيا ،  
وأخذا يتحينان الفرصة لاستعادة بقية بلادهما الخاضعة لمالي (٢) .

ومن أجل ذلك يقول السعدى عن علي كولن بعد أن استعاد عرشه  
نهائيا :

لأوهو الذى قطع جبل الملك على رقاب أهل سغنى من أهل ملي « (٣)  
تولى عرش مالي بعد وفاة مغان الأول ، عمه سليمان ( ١٣٤١ -  
١٣٦٠ م ) ، وعهده مليء بالإصلاحات ، حاول إعادة هيبة الدولة ، بعد  
التكسة التى وقعت خلال عهد ابن أخيه السابق ، نتيجة طيشه وسوء  
تدبيره ، ونجح منسا سليمان نجاحا كبيرا فى استرجاع بعض البلاد التى  
فقدت ، ولكنه فشل فى استرجاع جاو عاصمة صنغى .

انصرف الى الإصلاح الداخلى ، وعنى بإقامة المساجد ونشر شعائر  
الإسلام ، يقول القلقشندى :

« وبني المساجد والجوامع والمنارات ، وأقام الجمع والجماعات  
والأذان ، وجلب الى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك » (٤) .

(١) L. Lugard, p. 127 ; Bovill, p. 93

(٢) راجع ماسبق فى الفصل الثالث وانظر :

Page, p. 27 ; Bovill, p. 93 ; Le Chatelier, pp. 81, 87 ; Hogben, p.  
33 ; L. Lugard, pp. 120, 145, 162-164 ; Rouch, p. 9 ; Monteil,  
p. 76

(٣) السعدى ص ٦٠٥ - ٦٠٦ .

(٤) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٧ .

ومنسا سليمان نفسه كان متفقا في الدين ، معروفا بالصلاح  
والتقوى ، أدى فريضة الحج عام ١٣٥١ م ، وقد مكنته رحلة الحج هذه  
من اعادة بسط نفوذ الماندنجو على اطراف البلاد التي مر بها في طريقه (١)  
لكنه لم يستطع أن يعيد سلطان مالي على صنفى .



### رحلة ابن بطوطة

وفي عهد مانسا سليمان ، وصل أبو عبد الله محمد اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة الى مالي (١)، مرسلا من قبل سلطان بنى مرين فى مراكش وهو أبو عنان فارس المتوكل بن علي (٧٤٩ - ٧٥٩ هـ = ١٣٤٨ - ١٣٥٨ م) وكان سلطان مراكش قد اغتصب العرش من أبيه أبي الحسن على بن عثمان ، صاحب السفارة السابقة .

وهدف أبي عنان من سفارة ابن بطوطة فى بلاد مالي ، دراسة الطرق التجارية ، والوقوف على مدى حجم التجارة فى الذهب ، المتبادلة بين ولايات النيجر وبين مصر ، وذلك للعمل على تحويل مايستطاع تحويله منها الى بلاده (٢) .

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي ثم الطنجي المعروف بابن بطوطة ، صاحب كتاب « تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار » فى أربعة أجزاء ، وقد ترجمه الى الفرنسية اثنان من المستشرقين هما : دفرميرى وسانجيتشى C. Defremery and B.R. Sanguinetti ، ونشرا هذه الترجمة فى باريس عام ١٨٥٣ م . وهناك ترجمة انجليزية لهذا الكتاب باشراف جب Gibb ظهرت عام ١٩٥٨ م .

يتناول الجزء الأول : رحلته من طنجة الى الاسكندرية الى القاهرة الى عيذاب الى القدس والشام والحجاز ويضم الجزء الثانى رحلته الى البصرة ثم فارس وهرمز والشرق ثم العودة الى القسطنطينية - وفى الجزء الثالث رحلته فيما وراء النور وخراسان وأفغانستان والهند - وضم الجزء الرابع عودته من الهند ثم رحلته فى جزيرة سيلان وساحل الملايو والصين ، ثم مراكش وفاس واسبانيا ، وبعد عودته من اسبانيا ، قام برحلته فى بلاد السودان حيث كانت تسود دولة مالي .

وقد فرغ ابن بطوطة من تسجيل رحلته كلها فى ذى الحجة من عام ٧٥٦ هـ = ديسمبر ١٣٥٥ م . وسحبها شخص يسمى ابن جزى من تقييدات ابن بطوطة نفسه ، وذلك فى صفر ٧٥٧ هـ = فبراير ١٣٥٦ م .

(٢) Gouilly, pp. 55-56; Bovill, p. 94

والى هذه الرحلة ، يرجع الكثير من معلوماتنا عن دولة مالي الإسلامية ، ونظمها وأحوالها الاجتماعية ، فضلا على البلاد الأخرى التى زارها ابن بطوطة فى بلاد السودان ، ترك ابن بطوطة أوصافا رائعة دقيقة لما شهده من مظاهر وأماكن .

بدأت الرحلة من مدينة فاس أواخر عام ٧٥٢ هـ = ١٣٥١ م ، ودخل مالي فى جمادى الأولى ٧٥٣ هـ = يوليو ١٣٥٢ ، وغادرها فى المحرم من سنة ٧٥٤ هـ = فبراير ١٣٥٣ م .

#### قال ابن بطوطة :

«توجهت برسم السفر الى بلاد السودان ، فوصلت الى مدينة سجلماسه ، وهى من أحسن المدن ، وبها التمر الكثير الطيب ، وتشبهها مدينة البصرة فى كثرة التمر ، لكن تمر سجلماسه أطيب» .

وفى سجلماسه اشترى الجمال اللازمة للرحلة وعلقها أربعة أشهر . ثم غادرها فى غرة المحرم ٧٥٣ هـ = ١٨ فبراير ١٣٥٢م ضمن قافلة ، وكان مقدم القافلة شخص من قبيلة مسوفه من البربر اسمه : أبو محماد . وتذكان . وبعد ٢٥ يوما وصل الى تفازة ، وهى المشهورة بمناجم الملح ، وكانت ضمن أملاك مالي منذ عهد مانساموسى .

وصفها ابن بطوطة بقوله :

« انها قرية لا خير فيها ، وان بيوتها ومسجدها من حجارة الملح ، وسقفها من جلود الجمال ، ولا شجر فيها . ويقوم باستخراج الملح بها عبيد مسوفة» ويتحدث بعد ذلك عن تجارة الملح وأهميته فى بلاد السودان .

وبعد أن أقام فى تفازة عشرة أيام ، غادرها مع القافلة الى مدينة تاسرهلا ، وفيها تنزل القوافل للاستراحة ثلاثة أيام وللتزود بالماء . ومن هذه المدينة ، جرت العادة ، أن تبعث القافلة المتوجهة الى بلاد السودان برجل من مسوفه يلقب «بالتكشيف» مهمته أن يسبق القافلة ، وهو ذو خبرة بالطرق الصحراوية ، ويصل الى مدينة ابوالاتن ، ومعه كتب أهل القافلة الى معارفهم وأصحابهم بايالاتن ، ليكتروا لهم الدور وليخرجوا الى لقائهم ، عندما تكون القافلة على مسيرة أربعة أيام من المدينة ، ومن ثم يكن له صاحب بايالاتن ، كتب ، كما يقول ابن بطوطة ، «الى من اشتهر بالفضل والمروءة من تجارها» .

والسبب في اكتراء التكشيف وبعثه مقدما ، هو وعورة الطريق الصحراوي بعد تاسرها ، لعدم وجود معالم واضحة للسير ، نتيجة كثرة الرياح والعواصف ، وقد يهلك التكشيف بالطريق ، فلا يعلم أهل إيالاتن بخبر القافلة ، التي قد تتعرض بدورها للأخطار والمهالك . يقول ابن بطوطة :

«ومن العجائب أن الدليل الذي كان لنا ، هو أعور العين الواحدة ، مريض الثانية» (١) .

دفع رجال القافلة مائة مثقال ذهب لهذا الدليل ، وأدى مهمته على خير وجه ، فقد شهدت قافلة ابن بطوطة في ليلة اليوم السابع من خروجهم من تاسرها ، النيران التي أضاءها أهل إيالاتن ، وقد خرجوا للقضاء القافلة ومعهم المياه والمؤن . وبالرغم من وعورة الطريق ، فقد وصف ابن بطوطة استتباب الأمن بها .

دخلوا إيالاتن في أول ربيع أول ٧٥٣ هـ = أبريل ١٣٥٢ م ، وذلك بعد سفر شهرين من سجالماسه ، وإيالاتن Walata أوبير ، هي أول مدن السودان ، وتابعة لمالي ، ويحكمها نائب من قبل منسا مالي . اسمه «حسين» ولقبه «قربا» ، فتوجه إليه رجال القافلة ، وكان جالسا في سقيف وبين يديه أعوانه ، ويكلمهم بترجمان ، على قريهم منه ، «احتقارا لهم ، فعند ذلك ، ندمت على قدومي بلادهم لسوء أدبهم واحتقارهم للأبيض (٢) » ، كما يقول ابن بطوطة .

أقام ابن بطوطة في إيالاتن خمسين يوما ، ولم تعجب ابن بطوطة الضيافة التافهة التي قدمها موظف آخر في إيالاتن من قبل قربا حسين ، يعرف باسم «المنشاجو» وهو مشرف أو والي إيالاتن من قبل النائب . كانت الضيافة عبارة عن «جريش مخلوط بيسير حسل ولبن قد وضعوه في نصف قرعة» وعلق ابن بطوطة :

«ألهذا دعونا الأسود ! قالوا : نعم ، وهو الضيافة الكبيرة عندهم .

(١) ليس هناك غرابة في ضعف ابصار الأدلاء والهداة في الطرق الصحراوية ، فقد ذكر بوفيل Bovill أن الدليل الذي كان يقوم بمهمته بين تلال البحر الأحمر من موضع أم كوبر إلى وادي النيل ، كان أعمى ، وتقدر هذه المسافة بما لا يقل عن تسعين ميلا ، وهي خالية من المياه . (Bovill, pp. 94-95) .

(٢) يبدو من هذا أن أعوان قربا حسين كانوا من البربر البيض ، وأن سكان مدينة إيالاتن يفتقروا عليها عنصر البربر .

قال : فأبقت حينئذ أن لا خير يرتجى منهم ، وأردت أن أسافر مع حجاج  
«ايوالاتن» - أى يعود - ثم ظهر لى أن أتوجه لمشاهدة حضرة ملكهم» .

وصف ابن بطوطة أهل ايوالاتن بالكرم ، وان ثيابهم مصرية وأغلبهم  
من قبيلة مسوفة البربرية ، وتتميز نساؤهم بالجمال ، يقول ابن بطوطة :  
«وهن أعظم شأنًا من الرجال» . ثم انتقد أحوالهما الاجتماعية ، بسبب  
الاختلاط الشائن بين الجنسين ، ووجود أصدقاء للنساء وصديقات  
للرجال ، دون غيره ، حتى قاضى ايوالاتن ، كانت له صديقة ، وجميعهم  
مسلمون .

غادر ابن بطوطة ايوالاتن الى العاصمة مالى ، والمسافة بينهما نحو  
٢٤ يوما . واستأجرت قافلته دليلا من مسوفة ، والطريق من ايوالاتن  
الى مالى كثير الأشجار الضخمة ، يقول : « وبعض تلك الأشجار قد  
استأسن داخلها واستنقع فيه ماء المطر ، فكأنها بئر ، ويشرب الناس من  
الماء الذى فيها ، ويكون فى بعضها النحل والعسل ، ولقد مررت بشجرة  
منها ، فوجدت فى داخلها رجلا حائكا وهو ينسج ، فعجبت منه » .

وصف ابن بطوطة الأشجار التى مر بها ، وما بها من ثمار تشبه  
الاجاص (١) والتفاح والخوخ والمشمش ، وأشجار تشبه القفوص (٢) ،  
ويستخرج من الأخير شيء يشبه الدقيق ، يطبخونه ويأكلونه . وشهد  
حبوبا تشبه الفول تؤكل ، وتذق فيستخرج منها زيت يستخدم فى الطبخ  
والإضاءة ودهن أجسادهم ، كما يضيفون الى هذا الزيت التراب  
ويدهنون به سقوف منازلهم .

ومن الخضراوات التى شهدها ابن بطوطة ، وهو فى طريقه ببلاد  
مالى القرع ، وهو كثير ، ويصنع منه الجفان ، وتنقش . ونظرا لحاجة  
بلاد السودان الى الملح وبعض المصنوعات الخارجية ، فان المسافر ليس  
بحاجة الى أن يحمل معه ، كما يقول ابن بطوطة ، «زادا ولا اداما ولا  
دينارا ولا درهما ، انما يحمل معه قطع الملح وحلى الزجاج وبعض السلع  
العطرية ، وأكثر ما ينجبهم القرنفل والمصصكا ، فاذا وصل قرية ، جاء  
نساء السودان باللبن والدجاج ودقيق النبق والأرز والفونى ، وهو كحب

(١) الاجاص كلمة دخيلة ، وهو نوع من الثمر يساعد على الهضم ويسكن العطش ،  
وأجوده الحلو الكبير ، والشاميون يطلقون هذه الكلمة على المشمش والكمثرى (القاموس  
المحيط - مختار الصحاح) .

(٢) القفوص البطيخة قبل النضج ، وهى كلمة مصرية (القاموس المحيط) .

الخردل تصنع منه العصيدة ، ودقيق اللوبياء ، فيشتري منهن ما أحب من ذلك» .

ولاشك أن هذه المنطقة التي اجتازها ابن بطوطة من ابوالاتن الى مالي غنية بالأشجار والأراضي الخصبة والخضراوات ، فهي في حوض النيجر وحوض السنغال ، وهي جزء من أراضي السافانا الغنية .

وبعد مسيرة عشرة أيام ، وصل الى قرية زاغرى ، وهي التي شهد فيها فريق الخوارج الاباضية (1) من البيض الذين يقيمون بجوار السود .

ومن زاغرى وصل الى النيجر ، ويسميه النيل (٢) ، وأشار الى انحدار النهر الى بلدتي كابرة وزاغه ، ولهاتين المدينتين سلطانان يؤديان الطاعة الى ملك مالي ، ويقول عن أهل زاغه ، أنهم قديمو الاسلام ، كذلك أشار ابن بطوطة الى انحدار النهر عند تنبكت ، وعند كوكو - وهي جاو عاصمة صنفى - ثم أشار الى مدينة مولى من بلاد الليمين (lem lem) (٣) وهي آخر عمل مالي ، وأشار كذلك الى يوفى ، ويحتمل أن تكون نوب Nupe عند اتصال النيجر بفرعه بنوى (٢) . ويقول عن مدينة يوفى ، انها أكبر بلاد السودان وسلطانها من أعظم سلاطينهم ، وأن أهلها يمنعون البيض من الوصول اليها .

وعندما اقترب من مالي ، كتب الى اثنين من أصدقائه بها ، ليستأذنا له في دخول العاصمة .

دخل العاصمة مالي في جمادى الاولى ٧٥٣ هـ = يوليو ١٣٥٢ م ، ونزل بالدار التي اكترها له أصدقاؤه بنحى البيض ، وبعد أن استقر بالدار ، أرسل له منسا سليمان ، بضيافة عبارة عن ثور ، وكان رسول السلطان الى ابن بطوطة الترجمان دوغا ، وهو كبير ترجمة السلطان .

وفي مالي ، اجتمع ابن بطوطة بالعلماء البيض ، وكان أحدهم متزوجا من ابنة عم السلطان ، وحدث أن أصاب ابن بطوطة مرض ، على أثر تناوله طعام وطني ، فعالجه طبيب مصرى مقيم في مالي .

(١) انظر الفصل الأخير .

(٢) راجع المدخل .

(٣) ، (٤) انظر خريطة دولة مالي زمن مانسا موسى وراجع :

أعدت العدة لمقابلة السلطان ، وصادفت المقابلة جلوس السلطان لتقبل العزاء فى وفاة سلطان بنى مرين أبى الحسن (١) ، وكان الطعام معدا ، كما كان الأمراء والفقهاء مجتمعين عنده ، وكان القرآن يتلى .

تقدم ابن بطوطة الى السلطان وسلم عليه ، فقال له السلطان ، «أشكر الله» ، وذلك عن طريق القاضى والخطيب وابن الفقيه العالم . فقال ابن بطوطة : الحمد لله والشكر على كل حال . ثم أرسل له السلطان بعد ذلك بالضيافة ، وهى ثلاثة أقراص من الخبز وقطعة لحم بقرى مقلوبه بالفرتى (٤) ، وقرعة فيها لبن رائب» .

وفى رمضان ، بعث له السلطان  $\frac{33}{100}$  مثقالا من الذهب ، وأمر له بدار ونفقة تجرى عليه مدة إقامته ، وعند سفره ، أعطاه مائة مثقال .

ومن أجل هذا العطاء القليل ، وصفه ابن بطوطة بالبخل بقوله : «لا يرجى منه كبير عطاء» وقارن بين عطاياه وبين عطايا أسلافه المظماء أمثال كنعن موسى .

وصف ابن بطوطة هيئة جلوس السلطان بالقبة ، ومدى تدلل رعاياه له ، وكيف يتسلى يوم العيد بالشعر والغناء ، وأشار الى حادث غضبه على زوجته الكبرى ، كما وصف أحوال مالى عامة وما فيها من عادات حسنة وأخرى قبيحة ، وأشار الى استتباب الأمن .

غادر مدينة مالى فى محرم ٧٥٤ هـ = فبراير ١٣٥٣م وتوجه لزيارة تنبكت ، وركب جملا لغلاء ثمن الخيول ، اذ يبلغ ثمن الواحد من الخيل مائة مثقال ، وكان حاكم تنبكت يومئذ «قربا موسى» ، وقال ابن بطوطة عن أهل تنبكت ، ان أغلب سكانها من قبيلة مسوفة «أهل اللثام» (٣) ، ووصف بعض معالم المدينة ، مثل قبر أبى اسحاق الساحلى وقبر سراج الدين بن الكويك التاجر الاسكندرى ، وأورد قصته مع مانساموسى (٤) .

(١) توفى السلطان أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان فى ربيع الأول ٧٥٢ هـ . مايو ١٣٥١ م ، بعد أن حكم ٢١ سنة ، وأبو عنان فارس هو ابنه وحكم خمس سنوات (النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٥١ ، ٣٢٩ ، الدرر الكامنة ج ٣ ص ٧٤ - ٧٥ ، ١٩٣) .  
(٢) الفرتى (يفتح العين وسكون الراء وكسر التاء) ثمر كالأجاص شديد الطلاوة .  
(٣) المعروف أن تنبكت كانت قرية صغيرة ، وأن المرابطة أو اللثمين ، هم الذين بنوها فى القرن الحادى عشر الميلادى (راجع الفصل الثانى) .  
(٤) راجع الفصل الرابع .

زار ابن بطوطة بعد ذلك مدينة كوكو - جاو - ومكث بها شهرا  
ووصفها بأنها من أحسن مدن السودان وأكبرها ، ووصف ما فيها من  
خيرات كثيرة ، وذكر أن أهلها يتعاملون بالودع مثل أهل مالي ، ثم زار  
مدينة تكدا ، وما فيها من مناجم النحاس ، وما عليه سكانها من رفاهية .  
وبينما هو فى تكده ، دعى الى العودة الى فاس ، فغادرها فى قافلة  
بها ٦٠٠ امرأة من الرقيق ، ووصل الى فاس عن طريق إير - توات  
- سجلماسة - فاس .

\*\*\*

هكذا أعطى الرحالة الطنجى ابن بطوطة وصفا رائعا دقيقا لدولة  
مالي زمن ازدهارها ، فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى (١) .

(١) تحفة النظار ج ٤ ص ٣٧٦ - ٤٢٣ ، انظر كذلك عن أخبار هذه الرحلة :

السعدى ص ٨ ،

Cooley, pp. 63-70; Bovill, pp. 93-99; Hogben, pp. 31, 33; Davidson, pp. 81-82; Monteil, pp. 126-137; Harrison, p. 238; Labouret, p. 203; Oliver and Fage, p. 89.







### نهاية دولة مالي

عوامل الضعف الداخلية - الأخطار الخارجية - خلفاء مانسا سليمان قنبتا بن سليمان ومارى جائة الثاني ( ١٣٦٥ - ١٣٧٤ م ) - فسوق مارى جائة وسوء تديره - علاقة مالي بالمغرب - موسى الثاني ( ١٣٧٤ - ١٣٨٧ ) - استبعاد وزيره - الفتن الداخلية ووثوب صندكى رئيس العبيد والوزير الى العرش (١٣٨٨ - ١٣٩٠ م) - مفان الثالث (٧٩٣ هـ = ١٣٩٠ م) - غموض تاريخ مالي منذ مطلع القرن الخامس عشر الميلادى - أخطار الطوارق وموش والفولانيين والتكادزه - صنقى وخطرها زمن أسرة «سن» - تخريب مالي العاصمة - تبعية مالي لصنقى - استغاثة مالي بالعثمانيين والبرتغاليين - سفارة البرتغاليين الى مالي - أسرة الأساكي فى صنقى تنتزع معظم أملاك مالي - تجدد خطر التكادزه والفولانيين واستغاثة مالي مرة أخرى بالبرتغاليين - مالي زمن الغزو الراكشى لصنقى - اختفاء مالي .

يمكن القول أن تدهور مالي ، بدأ على أثر وفاة مانسا موسى حوالى عام ١٣٣٧م ، فقد أخذت مساحتها تنقص من بعده ، ولم تزدد أبداً ، حتى تقوقت أخيراً فى مهدها الأول فى كانجايابا .

وتلخص عوامل الضعف فى اثنين :

أولهما داخلى : ويكمن فى ضعف خلفاء موسى والانقسام العائلى

وكثره الفتن الداخلية وضعف الولاء نحو الهيئة الحاكمة واختلال الأمن والثاني خارجي : وهو وضوح الخطر المباشر ، والذي سرعان ما أصبح مباشرا وحاسما فى مصير مالى وغيرها ، بل فى طى صفحة التاريخ القومى بفرىب افريقية ، وفى افريقية السودان برمتها ، فهو الاستعمار الأوروبى الذى بدأ بحركة الكشوف البرتغالية ، هذا الخطر لم يكن واضحا خلال فترة تدهور مالى .

وسواء بقيت مالى أو ظلها ، وسواء بقى غيرها من الدول الافريقية فان هذا البقاء أضحى قصير الأمد ، ففى الوقت الذى كان البرتغاليون يستقرون خلاله على سواحل افريقية الغربية ، منذ مطلع القرن الخامس عشر الميلادى ، كانت الضربات القاصمة تكال لدولة مالى على أيدي جيرانها الافريقيين ، حتى لقد بدأ لمالى أن تستغث بالبرتغاليين ، وسرعان ما لبس البرتغاليون هذا النداء ، لا لمساعدة مالى ، ولكن للكشف والاستطلاع والتمهد للمصالح الاستعمارية ، ومن أجل هذا الهدف ، توجهت بعثات برتغالية الى سيد صنغى ، عدو مالى اللدود ، والقوى فى ذلك الوقت .



جاء أول معول فى هدم دولة مالى ، عندما انفصلت صنغى وأعلنت استقلالها عن مالى حوالى عام ١٣٥٥ م ، بزعامه على كولان وأخيه سليمان تار ، ورغم قوة مانسا سليمان فى ذلك الوقت ، فانه لم يستطع إخضاع صنغى وأعادتها الى الولاء والطاعة ، وذلك بسبب الاضطرابات الداخلية ، حتى أن زوجته الكبرى اشتركت فى مؤامرة ضده ، وهى ابنة عمه ، ولقبها «قاسا» أى الزوجة الكبرى أو الملكة .

كانت قاسا طريدا من أسرة كيتا ، وهو من أبناء عمومتها أيضا ، واسمه جاتل ، استدعته بواسطة جاريتها ، واتفقت معه على خلع زوجها سليمان ، ومما جاء فى رسالتها إليه :

«أنا وجميع العساكر طوع أمرك» .

على أن أمر هذه المؤامرة قد كشف ، وتم القبض على قاسا وسجنها وعين مانسا سليمان زوجته الأخرى «بنجو» شريكة له فى الملك ، حسب التقاليد المرعية ، وكاد سليمان يقتل قاسا لولا استجارتها بدار

الخطيب (١) . على أن مثل هذه الشخصية القوية، القادرة على محو آثار الفتن والمؤامرات ، قل وجودها بعد مانسا موسى وأخيه مانسا سليمان .  
 جاء على عرش مالي ، بعد سليمان ، ابنه قنبتا ، لكنه لم يلبث في الحكم سوى تسعة شهور مات بعدها (٢) ، فخلفه ماري جاطه الثاني (١٣٦٠ - ١٣٧٤ م) ، وهو ابن مغابن موسى . حكم جاطه الثاني أربعة عشر عاما ، ووصفه ابن خلدون بقوله :

انه « أشروال عليهم بماسامهم من النكال والعسف وافساد الحرام » (٣) ، ونقل ابن خلدون عن القاضي الثقة أبي عبد الله محمد بن وانسول من أهل سجلماسه ، وممن عمل في القضاء في مدينة جاو سنة ٧٧٦ هـ = ١٣٧٤م أن ماري جاطه هذا «أفسد ملكهم وأتلف ذخيرتهم ، وكاد أن ينتقض شأن سلطانهم ، ولقد انتهى الحال به في سرفه وتبديره ، أن باع حجر الذهب الذي كان في جملة الذخيرة عن أبيهم ، وهو حجر يزن عشرين قنطارا ، منقولا من المعدن من غير علاج ولا تصفية بالنار ، كانوا يرونه من أنفس الذخائر والغرائب لندور مثله في المعدن ، فعرض جاطه ، هذا الملك المسرف ، على تجار مصر المترددين الى بلده ، وابتاعوه منه بأبخس ثمن ، اذ استهلك من ذخائر ملوكهم سرفا وتبديرا في سبيل الفسوق» (٤) . وأورد القلقشندي بعض هذا القول ومضمونه (٥) .

ومع فسوق ماري جاطه الثاني وسوء تدييره ، فان علاقات الود لم تنقطع بين بلاط مالي وبلاط بنى مرين في فاس ، علم ماري جاطه أن الهدايا المرسله من سلفه سليمان ، لم تصل بعد الى سلطان المغرب ، وهو يومئذ أبو سالم ابراهيم بن أبي الحسن (٦) ، وأنها لاتزال في مدينة ولاته ، فاستعادها على الفور وزاد فيها زرافه . وصلت الهدية الى ملك المغرب في صفر ٧٦٢ هـ = ١٣٦١م ، وأشار اليها صاحب العبر بقوله :

«وأتحف ملك المغرب لعهدده ، السلطان أبا سالم بن السلطان أبي الحسن ، بالهدية المذكورة ، سنة اثنين وستين ، وكان فيها الحيوان

(١) تحفة النظار ج ٤ ص ٤١٧ - ٤١٩ Hogben, p. 33; Monteil, pp. 137-9.  
 انظر الفصل الأخير .

(٢) العبر ج ٦ ص ٢٠١ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٧ .

(٣) العبر ج ٦ ص ٢٠١ .

(٤) العبر ج ٦ ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٥) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٧ ، أنظر كذلك : Monteil, p. 152

(٦) توفي أبو سالم في ذي القعدة ٦٧٢ هـ = سبتمبر ١٣٦١ م .

العظيم الهيكل ، المستغرب بأرض المغرب ، المعروف بالزرافة ، تحدث الناس بما اجتمع فيه من مفترق الحلى والشبه في جثمانه ونعوته دهرًا» (١) .

كان سفراء مالي برياسة الحاج موسى الونجراني ، قد أوضحوا لملك المغرب أسباب تأخر وصولهم ، بأن الفتن الداخلية قد عاقت مسيرهم من قبل (٢) ، ثم وصفوا له سلطانهم ماري جاطه بالعظمة والقوة ، وأدوا له التحية المألوفة في بلاد مالي ، وهي التتريب ، أن القاء التراب على الرأس والظهر (٣) .

وقبل أن تعود بعثة مالي الى بلادها ، قتل السلطان أبو سالم ، في فتنة داخلية ، صراعا حول العرش ، وأدت هذه الفتنة الى هروب أحد أفراد الأسرة المالكة في فاس ، الى مالي ، وهذا الامير الهارب هو المعروف باسم السلطان عبد الحليم بن أبي علي عمر ، ووصل مالي عام ١٣٦٦ م ، حيث استقبله ماري جاطه وجهزه للحج (٤) .  
وتعتبر سفارة مالي الى المغرب ، أهم حدث سياسي يقع في عهد ماري جاطه الثاني .

حدث أن مرض مانسا جاطه بمرض النوم نحو سنتين حتى مات حوالي سنة ٧٧٥ هـ = ١٣٧٤ م (٥) ، ويقول القلقشندي عن مرض النوم هذا انه «كثرا ما يصيب أهل تلك البلاد ولاسيما الرؤساء منهم ، يأخذ أحدهم في النوم حتى لا يكاد يفيق» (٦) ، ويضيف ابن خلدون: «ولا يستيقظ الا في القليل من أوقاته ، ويضر صاحبه ، ويتصل سقمه الى أن يهلك» (٧) .

خلفه ابن موسى الثاني ( ١٣٧٤ - ١٣٨٧ م ) ، وهو أحسن سيرة من أبيه ، إذ سلك طريق العدل ، غير أن وزيره ماري جاطه ، استبد بالامور دونه ، ونجح هذا الوزير في إعادة بعض الهيبة للدولة ، وبذل ما استطاع من جهود في سبيل استعادة نفوذ مالي في البلاد التي فقدتها ،

(١) ابن خلدون ج ٦ ص ٢٠١ .

(٢) Monteil, p. 140

(٣) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٠٩ .

(٤) Monteil, p. 140

(٥) ابن خلدون ج ٦ ص ٢٠٢ ، L. Lpgard, p. 152

(٦) صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٩٧ .

(٧) العبر ج ٦ ص ٢٠٢ .

فحارب صنفى النامية بسبب استيلائها على كثير من الأملاك الشرقية لدولة مالى ، ووصلت جيوشه الى جاو ، وتجاوزتها ، لكنها لم تستطع الاستيلاء عليها ، كما أن الجيش الذى بعثه لاعادة سلطان مالى على مناجم النحاس فى تكدة ، قد فشل (١) .

حارب المثلثين فى شمالى مالى وحاصر مدينتهم « نكرت » جنوب غربى ورقلان ، وهذه المدينة هامة بسبب وقوعها فى طريق الحج ، وانتهت الحرب مع المثلثين بعقد معاهدة (٢) .

ومات السلطان موسى عام ٧٨٩ هـ : ١٣٨٧ م ، ولم يطل حكم أخيه منسامغا أو مغان الثانى ( ١٣٨٧ - ١٣٨٨ م ) ، فقد قتل فى فتنة داخلية بعد سنة من الحكم (٣) ، وخلفه صندكى زوج أم موسى ( ١٣٨٨ - ١٣٩٠ ) .

وصندكى لقب معناه وزير أو رئيس العبيد Dyon-Sandigui (٤) وليس فى عهدى هذين السلطانين الشرعى منهما والمفتصب ما يستحق الذكر سوى الفتنة الضاربة والصراع بين كبار الموظفين للظفر بمنصب « منسا » وخلال هذه الانقسامات ، كان سليل من أسرة كيتا واسمه محمود ، يعيش شريدا فى البلاد الوثنية ، لكن كان يرقب الحوادث ، فلما رأى أن الفرصة سنحت ، تحرك من منفاه ، وانتزع العرش من المفتصب صندكى عام ٧٩٣ هـ : ١٣٩٠ م ، وتولى بلقب « منسامغا » ، وهو الثالث فى سلسلة الملوك من أسرة كيتا ، الملقبين بمغا أى محمد ، ثم هو من سلالة منسا قو بن منسا على بن ماري جاطه الأول (٥) .

لا توجد معلومات واضحة عن عهد منسامغا الثالث هذا ، سوى أنه استرد العرش من المفتصب صندكى .



وبعهد مغا الثالث ، تنتهى سلسلة ملوك مالى المتعاقبة من أسرة كيتا ، وهى السلسلة التى أوردها ابن خلدون والقلقشندي ، ومن بعد

(١) العبر ج ٦ ص ٢٠٢ ، Monteil, pp. 141-143

(٢) العبر ج ٦ ص ٢٠٢ .

(٣) العبر ج ٦ ص ٢٠٢ ، صبح الأمشى ج ٥ ص ٢٩٧ ، L. Lugard, p. 152

(٤) الصيغة العربية عن ابن خلدون والقلقشندي (انظر : العبر ج ٦ ص ٢٠٢)

صبح الأمشى ج ٥ ص ٢٩٨ ، Monteil, pp. 141-142.

(٥) العبر ج ٦ ص ٢٠٢ ، صبح الأمشى ج ٥ ص ٢٩٨ .

هذا السلطان ، لا توجد معلومات دقيقة أو كافية عن الملوك الذين حكموا مالي ، حتى مجرد اسمائهم الى نهاية مالي ، ولا يوجد بالمراجع الأجنبية فيما أعلم سوى أسماء خمسة من سلاطين مالي ، الثلاثة الأول منهم باسم محمد (مامادو) ، عاش أولهم أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ( ١٤٨١ م ) وعاش الثاني في النصف الأول من القرن السادس عشر ( ١٥٣٤ م ) ، أما الثالث ، فقد عاصر الفتح المراكشي وشهد القضاء على امبراطورية صنفي أواخر القرن السادس عشر ( ١٥٩٠ م ) .

وأما الرابع ، واسمه ماما مغان Mama Magha فكان يعيش في القرن السابع عشر الميلادي في العاصمة مالي حتى طرده عنها ملك سيجو عام ١٦٧٠ م وآخر السلاطين المعروفين من سلالة سنديانا هو مامبي كيتا Mambi Keita حكم في كانجبا نحو خمسة عشر عاما ومات وتفرق بنوه من بعده (١) .

ثم ان السعدي في كتابه تاريخ السودان ، ومحمود كعت في كتاب الفتاش ، لم يشير الى أي اسم من أسماء ملوك مالي منذ نهاية القرن الرابع عشر الميلادي ، وان أشارا الى فتوح صنفي المستمرة في بلاد مالي ، والى هجوم الجيران الآخرين عليها أمثال الطوارق والموش .

ولعل السبب في خلو كتابي السعدي ومحمود كعت ، من إيراد أسماء ملوك مالي المتأخرين ، هو ظهور امبراطورية صنفي وسيطرتها على حوادث السودان الغربي منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر فصاعدا .

وبالرغم من ذلك فان مالي كانت لانزال قائمة وتتمتع بقدر من القوة ، وان استحال الى دولة تابعة لصنفي ، ولكن هذه التبعية على سلطان صنفي .

ومع هذه التبعية ، وهذا التوقيع في كانجا ، مهددا الأول ، فقد أوفد البرتغاليون أكثر من سفارة الى بلاط مالي ، كما ان مساحتها لم تكن من الضيق والقلّة ، كما قد يتبادر الى الذهن ، ولكن هذا بالقياس الى وضعها السابق في القرن الرابع عشر ، وبالمقارنة مع جارتها القوية الطاغية ، صنفي ، وقد أحدقت بها من ناحيتي الشمال والشرق . . وكانت حدود مالي الغربية في ذلك الوقت تصل الى شاطئ المحيط الأطلسي ، كما كانت حدودها الجنوبية تتصل بالبلاد الجبلية المجهولة (٢) ،

(١) Delafosse, pp. 30-31 ; Spitz, p. 63

(٢) Monteil, p. 147 ; Spitz, p. 63

يضاف الى ذلك ، لم تكن مالى في القرن السادس عشر متخلفة. حضاريا بقدر تخلفها السياسي والحربي ، فقد زارها الحسن بن الوزان الفاسي ، المشهور باسم ليو الافريقي *Leo Africanus* في مطلع ذلك القرن ( ١٥٠٧ أو ١٥١٠ م ) (١) ووصف عاصمتها نياني ( مالى ) بالازدهار والثراء والتطور الحضارى ، قال :

« تضم هذه العاصمة نحو ستة آلاف أسرة من أرباب الحرف والتجارة ، وأن مانسا مالى - لم يذكر اسمه - يرحب بالأجانب ، وبهذه العاصمة يوجد قصره ، وبها العلماء والفقهاء والمساجد بأعداد كبيرة ، ويقوم العلماء بالقاء دروسهم في المساجد والجوامع ، كما أن جميع سكان مالى أثرياء ، ويفوقون جميع الزوج من سكان البلاد الأخرى من ناحية المدنية والمهارة والنشاط والذكاء . وبالمطقة الكثير من الخيرات من القمح واللحوم والقطن ، غير أن مالى فقدت مجدها السابق ، وقد عجز مانسا مالى ، أمام اسكيا الحاج - ملك صنغى - حتى لم يعد قادرا على حماية أسرته .. (٢) » .



أما الأخطار المباشرة التى تواصت بدولة مالى من كل جانب ، منذ القرن الخامس عشر ، فتلخص فيما فعله الطوارق وموش والفولانيون والتكارره ثم صنغى صاحبة الدور الكبير فى تحطيم مالى .

فأما الطوارق ، فلم يكفوا عن قرع بلاد مالى ، وأخطر ما قاموا به هو استيلاؤهم على أوران وتنبكت وولانه عام ٨٣٧ هـ : ١٤٣٣ م ، ولقد فعلوا الشنائع فى مدينة تنبكت وأهلها ، وعجزت مالى عن استرجاعها منهم ، ولذلك ظل الطوارق بها حتى طردهم عنها ملك صنغى عام ٨٧٣ هـ : ١٤٦٨ م ، فتحول الطوارق الى بلاد مالى الأخرى الشمالية واستولوا على جميع ما وصلت غزواتهم اليها (٣) .

(١) على ضوء المعلومات التى أوردها ليو الافريقي فى مؤلفه ، جاءت الخرائط التى رسمت فى أوروبا عن افريقية ، أكثر دقة ووضوحا عما سبقتها ، وان كان ليو أخطأ حين قال ان نهر النيجر يسير نحو الغرب (راجع المدخل) .

(٢) ليو الافريقي : الكتاب السابع ص ٢٨٧ ،

Monteil, p. 164 ; Johnston, pp. 299-300 ; Okafor, p. 30 ; Labouret, p. 203 ; Bovill, pp. 125-132 ; Reeve, pp. 41-46

(٣) امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف ، السعدى ص ٢٢ ، ٢٥ - ٢٦ ، ٦٥ ، الفتاش

ص ٤٨ ،

Davidson, p. 98 ; Le Chatelier, p. 82 ; Bovill, pp. 103-104 ; Church, p. 263 ; Gouilly, pp. 16-17 ; Monteil, p. 144 ; Hogben, p. 46 ; Okafor, pp. 30-31 ; L. Lugard, pp. 164-167.



وأما قبائل موش Mossi ، وتقيم جنوبي مالي ، فقد دأبت على الغزو والنهب والتخريب ، وقاوموا الاسلام والمسلمين ، بل أنهم هاجموا تنبكت زمن أعظم سلاطين مالي وهو مانسا موسى وخربوها ونهبوها . وحوالي عام ١٤٠٠ م ، غزا الموش منطقة بحيرة دبو Debo المتصلة بالنيجر ، وهي منطقة تجارية هامة في وسط النيجر ، ولم تقتصر غزوات الموش على مالي ، بل كانوا يهاجمون كل دولة اسلامية تقوم بجوارهم ، ولذا تعرضت صنغى لكثير من هجماتهم ، كما تعرضوا هم لضربات قاصمة من صنغى (١) .

ومن ناحية الفولانيين ، فقد كان لهم أكثر من دولة ، قبل ان يعظم خطرهم في القرن الثامن عشر ، كانت لهم دولة في ماسنة على النيجر ، وأخرى في فوتاتورو أوفوتا السنغالية ، وثالثة في فوتاجالون ورابعة في منطقة هنبر في أعالي نهر فولتا ، ثم كانت دولتهم الكبرى في بلاد الهوسا .

تعرضت مالي لغزوات الفولانيين ، ومعهم التكرار ، حوالي عام ٩٣٧ هـ : ١٥٣٠ م ، وهاجموا بامبوك التابعة لمالي في أعالي نهر السنغال وعند رافده الأعلى فاليم ، حيث أقاموا مذبحه كبرى في قبائل الماندينجو المنتشرة في حوض نهر فاليم (٢) .

لكن خطر صنغى ، كان حاسما في كيان مالي كدولة كبرى في السودان الغربي ، بحيث أعاد هذا الخطر مالي ، عند مطلع القرن السادس عشر ، الى الوضع الذي كانت عليه في فجر نشأتها ونموها ، في اقليم كانجابا ، في القرن الحادى عشر الميلادى .

ويمكن التأريخ لبداية خطر صنغى ، بحادث فرار أميرى صنغى على كولن وسليمان ناز ، من مالي الى جاو حوالي عام ١٣٥٥ م (٣) ، فقد تولى على كولن السلطنة في جاو ، وانفصلت صنغى عن مالي ، بعد ان ظلت خاضعة لها نحو نصف قرن (٤) ، وظلت تعمل على الانتقام من

(١) L. Lugard, pp. 165-177 ; Monteil, pp. 143-147 ; Urvoy, p. 28 ; Gouilly, pp. 52-53; Bovill, p. 104; Church, p. 256 ; Spitz, p. 62 ; Le Chatelier, pp. 120-122 ; Mélanges Ethnologiques, p. 21.

(٢) امبراطورية الفولانيين الاسلامية للمؤلف ، السعدى ص ١١ ، ١٨ .  
Le Chatelier, pp. 107-119 ; Fage, p. 146 ; L. Lugard, p. 165, Bovill, pp. 107-108 ; Trimmingham, pp. 11-12, 15 ; Burns, pp. 44-46 ; Monteil, p. 147 ; Palmer, the Bornu, pp. 92, 187, 189 ; Hogben, p. 59 ; Marth, II, p. 636 ; Pedler, p. 151.

(٣) راجع ماسبق وانظر 9 رouch, p. 33 ; Hogben, p. 33 ; Rouch, p. 9 ; Le Chatelier, p. 81 ;

(٤) L. Lugard pp. 120-121

مالي وعلى بناء امبراطوريتها ، على حساب مالي ، وهي الجارة الغربية الكبرى .

أخذ على كولن لقب « سن » أو « شي » بمعنى خليفة السلطان أو نائبه (١) ، وهو مؤسس الأسرة الثانية في حكم دولة صنغى ، وهي الأسرة التي أخذ جميع خلفائه من بعده هذا اللقب « سن أو شي » ، وهي من سلالة أسرة الأزواء الأولى (٢) .

يقول السعدى عن على كولن هذا ، انه : « هو الذى قطع جبل الملك على رقاب أهل سنغى من أهل ملى (٣) » ، أى انه هو الذى حرر صنغى من سيادة مالي وحقق استقلالها .

وفي عهد سن الاول على كولن وأخيه سليمان نار ، وهما ولدا زيايسى ، لم يتجاوز ملك صنغى العاصمة جاو وما حولها (٤) ، إلا أن خلفاءه ساروا على نهجه في مداومة الهجوم على مالي وانتزاع أملاكها ، ففي زمن سن محمد داع أو ما دعو وهو السلطان العاشر في سلسلة ملوك أسرة سن ، خربت صنغى عاصمة مالي وأسرت الكثير من عبيدها (٥) ، وواصل ملوك صنغى أعمال الغزو والنهب في دولة مالي ، فاستولى سليمان دام ، ويعرف كذلك ، باسم « شي سلمان دام » أو « داند » ، على بلاد ميم Mema الخاضعة لمالي وخربها (٦) ، وشي سليمان دام هو السابع عشر في سلسلة ملوك صنغى بعد سن على الأول ، واشتهر بالفسوق والفجور والجبروت زغم إسلامه (٧) .

جاء بعد سليمان دام ، الملك المشهور ، والمؤسس الحقيقي لامبراطورية صنغى ، وهو « سن على » وهو الثامن عشر بعد سن الاول ، تولى عرش صنغى عام ٨٩٦ هـ = ١٤٦٤ م وحكم ٢٧ سنة . وأخذ حمل عليه السعدى حملة عنيفة لسبب قبضته وجبروته ، ورماه بالفجور

(١) ذكر محمود كفت أن شي معناها : كى يبتدئ أى خليفة السلطان أو يبدله أو عوضه ، ويعرف باسم شي عال أو شي على أو سنى على ( الفتاش ص ٤٣ - ٤٤ ، السعدى ص ٢ - ٣ ) .

(٢) امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف .

(٣) تاريخ السودان ص ٥ - ٦ .

(٤) السعدى ص ٦ .

(٥) السعدى ص ٢ - ٤ ، الفتاش ص ٤٢ .

(٦) الفتاش ص ٤٢ - ٤٣ ، السعدى ص ٢ - ٤ ، Monteil, p. 143.

(٧) الفتاش ص ٣٤ .

والظلم (١). وينتمى سن على هذا ، من ناحية الأم ، الى أسرة كوناتي من الماندنجو . وهي الاسرة السابقة على أسرة كيتا في حكم مالي .

استولى سن على علي مدينة تنبكت عام ٨٧٣ هـ = ١٤٦٨ م ، وطرده الطوارق عنها ، وجعلها العاصمة الثانية لمملكته ، واستولى بعد ذلك على جنى عام ١٤٧٧ م ، وكانت مالي قد عجزت عن فتحها ، وان جنى دفعت لها الجزية في بعض الأوقات (٢) . أضحى سن على السيد المطلق في جميع ولايات النيجر الأوسط ، وطرده قبائل الموش الى الجنوب في عام ١٤٨٠ م ، واشتهر اسمه خارج السودان الغربي ، فعرف في بلاد المغرب بأنه أقوى ملك في بلاد السودان ، وأشار اليه الأوربيون باسم « سنى على سيد تنبكت » (٣) ، وكانت حركة الكشوف البرتغالية على قدم وساق (٤) . وفي عهد سن على هذا صارت مالي خاضعة لسيادة صنى ، وتدفع لها الجزية ، وان احتفظت باستقلالها الاسمى (٥) .

شعر مانسا مالي بشدة وطأة صنى ، ولم يجد بدا من الاستعانة بأية قوة خارجية لمساندته ، فاستغاث في عام ١٤٨١ م بالأتراك العثمانيين الذين كانوا قد استقروا ببلاد المغرب ، طالبا حمايتهم ، ولا نعلم شيئا عن نتيجة هذا الاتصال (٦) ، ولكن الذى نعلمه أن مانسا مالي ، وهو محمد الاول في ذلك الوقت ، بناء عن رواية البرتغالى حنا باروس Joao de Barros ، طلب مساعدة ملك البرتغال (٦) وأن ملك البرتغال ، كما يقول لابورى ، خشى من امتداد نفوذ الأتراك العثمانيين المسلمين الى قلب أفريقية ، فأسرع بالاستجابة الى استغاثة منسا مالي (٧) . انصبت استغاثة مالي على طلب المساعدة ضد خطر صنى ، واستعادة البلاد التى انتزعت منها (٨) .

(١) السعدى ص ٦٤ .

(٢) راجع ماسبق ، وانظر السعدى ص ١٤ - ١٥ ،

Reeve, p. 33 ; Le Chatelier, p. 88 ; Gouilly, p. 57 ; Rouch, Les Songhay, p. 9.

(٣) Gouilly, p. 58 ; Spitz, p. 64 ; L. Lugard, p. 175 ; Rouch, Op. Cit., p. 9.

(٤) البرتغاليون في غرب أفريقيا للدولف ص ٢٦ ومابعدها .

L. Lugard, p. 179 ; Bovill, p. 105 ; Spitz, p. 64 ; Rouch, p. 9

(٥) Johnston, p. 118 ; Labouret, p. 241

(٦) Monteil, p. 145

(٧) Labouret, p. 241

(٨) Fage, p. 27

بعث ملك البرتغال بسفارتين الى بلاط مالى ، احدهما عن طريق نهر غمبيا ، وتتكون من ثلاثة أعضاء هم : رودريجيز رابللو Rodriguez Rabello و بطرس رينسل Pero Reynel وحنسا كولاساو Joao Collaço . لم يعرف شيء عن خبر هذه السفارة وما تم بشأنها . وأما السفارة الثانية ، فتوجهت عن طريق « المينا » (١) ، ووصلت الى مدينة سونجو Songo ، عاصمة مالى يومئذ ، أو هكذا سماها البرتغاليون ، فليست هذه التسمية سوى تسمية أخرى لمدينة مالى أو نيانى ، كما ينطقها سكان فانتى وأشانتى وسكان الساحل عند خليج غينية (٢) . لم يعد من هذه السفارة سوى شخص واحد من ثمانية ، وهو بطرس رينسل ، الذى خبر الطريق من قبل (٣) .

وصف بطرس رينل مالى فى ذلك الوقت بأنها مزدحمة بالسكان ، وتاريخ هذه السفارة عام ١٤٨٣ م (٤) . وقد عاد ومعه رسالة من السلطان محمد الاول ، وفيها يوضح مدى دهشته مما سمعه عن قوة ملك البرتغال وشهرته ، ولكن لم يفت مانسا مالى أن يتحدث عن عظمة مالى ، وأن بلاده لم يسبق لها من قبل أن استقبلت سفارة أو رسالة من ملك مسيحي طوال عهود الاربعة آلاف وأربعمائة سلطان ، سبقود فى حكم مالى .

لم يؤد التقارب بين مالى والبرتغال الى أية نتيجة فيما يتعلق بمساندة مالى ضد صنغى (٥) ، ولكن النتيجة المحققة ، أن البرتغاليين قد درسوا الطرق الداخلية .

(١) المينا Elmina حصن بناه البرتغاليون على ساحل (جمهورية غانا الحالية) عام ١٤٨١ م وزاد ما فيه خلال السنوات التالية ، وكان يعرف باسم حصن القديس جورج مينا Sao Jorge de Mina ، ويقال ان هذه التسمية ترجع الى الثورمان ، الذين وضعوا أساس الحصن فى القرن الرابع عشر وأطلقوا عليه اسم «منجم الذهب» La Mine d'or ثم تحرفت الى المينا (انظر : البرتغاليون فى غرب افريقية للمؤلف ص ٢٨ :

Hogben, p. 64 ; Ward, pp. 62-63 ; Kup, p. 62 ; Wiedner, pp. 38-39 ; Reindore, p. 11 ; Bovill, p. 119) Johnston, p. 80).

Labouret, p. 204 (٢)

Labouret, p. 203 (٣)

Monteil, p. 146 ; Fage, p. 27 (٤)

Monteil, pp. 144-6 ; (٥)



وكما بلغت مالى الدرورة في عهد مانسا موسى في القرن الرابع عشر، بلغت صنغى ذروة مجدها أوائل القرن السادس عشر زمن أسكيا الحاج محمد ، مؤسس أسرة الأساكي في حكم صنغى ، وهى الأسرة الثالثة (١). ولى اسكيا الحاج عرش صنغى عام ١٤٩٢ م ، وهو العام الذى كشف فيه كولمبس أمريكا ، وخلال حروب سنى على واسكيا الحاج ضد مالى ، يحتمل أن العاصمة مالى قد خربت أكثر من مرة ، وهذا يفسر اقامة مانسا مالى فى مدن أخرى خلال هذه الحروب ، فقد حدث فى عام ٩٠٧ هـ = ١٥٠١ م أن كان مانسا مالى يقيم فى عاصمة جنوبية له ، هى مدينة زلن قرب أعلى السنغال ، فأرسل اسكيا الحاج أخاه عمر لفتح هذه المدينة ، ولكن قائد حامية زلن ويسمى فتى قلى ، دافع عنها دفاع المستميت حتى امتنعت المدينة على جيش صنغى (٢) ، مما حمل اسكيا الحاج على القدوم بنفسه وانتصر ودمر مدينة زلن ونهب قصر المانسا ، وكان من بين سباياها امرأة اسمها « مريم دابو الونكرية (٣) » ، فتزوجها اسكيا وأنجب منها ولده اسماعيل ، وظل اسكيا بعض الوقت فى زلن حتى نظم أمورها لسيادة صنغى الجديدة .

وقد جرت عادة ملوك السودان ، فى كثير من الأحيان ، أن يبقوا الحكام الوطنيين فى البلاد المفتوحة بشرط الولاء ودفع الجزية ، ولذلك أبقى اسكيا صنغى مانسا مالى فى منصبه ، وأضحى منسا مالى يعرف باسم « حاكم مالى » أو « كى مل » (٤) .

وهكذا ظلت فتوح صنغى فى أملاك مالى (٥) ، وبالرغم من ذلك بقيت مالى ذات كيان سياسى ومساحة واسعة وشهرة خارج بلاد السودان .

وهناك جيران آخرون ، بدأ خطرهم يتضح فى ذلك الوقت ، وهو مطلع القرن السادس عشر ، وهؤلاء الجيران هم التكارره والفولانيون ،

(١) امبراطورية صنغى الإسلامية للمؤلف ، الفتاش ص ٥٢ - ٥٩ ، السعدى ص ٦ ، ص ٧١ - ٧٢ .  
(٢) السعدى ص ٦ ، ٧١ - ٧٢ ، الفتاش ص ٥٩ ، Le Chatelier, p. 82  
(٣) فى الفتاش ص ٨١ : مريم داب وانكرية (بضم الباء فى داب ، وفتح الواو وسكون التون وفتح الكاف وسكون الراء وفتح الياء) .  
(٤) السعدى ص ١٧ ، ٧٥ ، ٩٨ ، الفتاش ص ٧٠ ، ٨٧ ، ٩٢ ،  
Monteil, p. 140-6; L. Lugard, p. 192; Oliver and Fage, p. 89;  
(٥) السعدى ص ١٧ ، ٩٨ ، الفتاش ص ٨٧ ، ٩٢ ،  
Monteil, p. 140

تحالفوا معا ضد الماندينجو وأقاموا فيهم مذبحة كبرى عام ١٥٣٠ م (١) ،  
وهنا اضطر مانسا مالى ، وهو محمود الثانى ، حفيد محمود الاول ، الى  
طلب النجدة من البرتغاليين ، واستجاب البرتغاليون على الفور ، وجاءت  
سفارة من قبل ملك البرتغال برياسة بطرس فرناندو Perez Fernando  
عام ١٥٢٣ م أو ١٥٣٤ م ، ولم يكن هدف السفارة مساعدة مانسا مالى  
ضد اعدائه أو اصلاح ذات البين بينهم ، ولكن لبحث مسائل تجارية  
مع « مانسا الماند » Mansa Mandi ، مما يدل على أن مالى لم تزل ذات كيان  
وشهرة ، بالرغم من خضوعها الاسمى لصنغى ، ولم تزل تتحكم  
فى مساحات واسعة جنوبى السنغال حتى شاطئ المحيط (٢) .

استقبل محمد الثانى هذه البعثة وذكرها بأن جده محمد الاول ،  
كان قد استقبل بعثة مماثلة من قبل ملك البرتغال ، لا نعلم شيئا دقيقا  
عن نتيجة هذه السفارة أو طبيعة المفاوضات التى دارت ، ويبدو أن  
الفولانيين والتكارره وافقوا على الجلاء عن حوض نهر فاليم أحد فروع  
السنغال ، وهو من أملاك مالى (٣) .

وربما استعاد مانسا مالى بعض القوة والقدرة ، بعد هذا الحدث ،  
فقام بثورة ضد صنغى عام ٩٤٢ هـ = ١٥٣٥ م ، محاولا التخلص من  
سيادتها ، ولكن صنغى قمعتة ، وبعث ملك صنغى وهو أسكيا اسحاق  
( ولى العرش عام ٩٤٦ هـ = ١٥٣٩ م ) ، أخاه داود لمدينة ينانى (مالى)  
فهرب محمد الثانى ، وظل داود يخرب وينهب نحو أسبوع ، حتى أنه  
أمر جنوده بتلويث قصر المانسا ، وبعد جلائه عن المدينة عاد « كى مل »  
الى عاصمته (٤) .

وعندما أصبح داود أسكيا فى صفر من عام ٩٥٥ هـ = ١٥٤٨ م ،  
وسع فتوح صنغى ونظمها ، ولم يكف عن غزو مالى ، فاحتاج بعض أقاليمها  
مثل : باغن وكلا وسور بنتبنا ، وكان غزوه للأقليم الأخير آخر غزواته  
« فى أرض ملى » عام ٩٧٨ هـ = ١٥٧٠ م . (٥)

(١) Monteil, p. 147

(٢) Le Chatelier, pp. 82-83

(٣) Monteil, p. 147

(٤) Le Chatelier, p. 83 ; Monteil, p. 147 ; Labouret, p. 2٦٦

(٥) السبعين ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ من ٩٢ - ٩٤ . Monteil, pp. ٧٧-8٠

اختلفت أمور مالي بعد ذلك ، وكثرت فيها الفتن والانقسامات ، كما  
انتشر قطاع الطرق وكثرت غزوات واعتداءات جيرانها (١) ، حتى اذا  
جاء الغزو المراكشي عام ٩٩٩ هـ = ١٥٩٠ م بقيادة جودر باشا ، من قبل  
سلطان مراكش الشريف الامير مولار أحمد الذهبي ، وقضى على امبراطورية  
صنغي ، وشغل الفارون والجافلون من ملوك وأمراء صنغي في الكفاح  
ضد الفاتحين (٢) ، تحرك سلطان مالي ، وهو محمد الثالث في ذلك الوقت  
كذلك تحرك سلطان ماسنه الفولاني حمد آمنه (٣) ، ونجح الاثنان في  
التحرر بعد زوال صنغي .

استعادت مالي بعض أملاكها المفقودة ، وطمعت في الاستيلاء على  
مدينة جنى ، وهي التي امتنعت عليها من قبل زمن ازدهار قوتها ، كان  
يحكم جنى آنذاك على العجمي من قبل محمود باشا زرقون خليفة جودر  
باشا في القيادة للجيش المغربي بالسودان .

طلب مانسا مالي المساعدة من حاكم كلا ، إحدى الولايات التابعة  
لمالي ، ولكن حاكم كلا أجاب مانسا مالي بأن الأمل ضعيف في مقاومة  
الفاتحين المغاربة ، ونصحه بأن يستعين بولاة أقاليم مالي الآخرين أمثال :  
فاران سورا Faran Soura وسنجر زوما Sanger Zouma (٤) ، وهذا  
يدل على أن مالي لا تزال قوة ، وان زالت عظمتها السابقة .

لم ينش عزم مانسا مالي عن مشروع فتح جنى لأهمية هذه المدينة (٥)  
من حيث الثروة والشهرة العلمية ، حتى انها كانت ضمن اللقب الذي  
اتخذه مولاي زيدان بن الذهبي سلطان مراكش ، فقد كان لقبه : «سلطان  
جاو وتنيكت وجنى» (٦) . استعان مانسا مالي بمن بقي على ولائه من  
حكام أقاليم مالي المحليين ، مثل حاكم فاركو وحاكم أوما ، كما انضم  
إليه حليفه الفولاني حمد آمنه ، وهاجم جنى عام ١٠٠٧ هـ = ١٥٩٨ م ،

(١) Monteil, p. 148

(٢) السعدى ص ١٣٥ وما بعدها ، الفتاش ص ١٤٣ وما بعدها ،  
Spity, pp. 64-65 ; Bovill, pp. 147-173, Rouch, p. 10

(٣) امبراطورية الفولانيين الاسلامية للمؤلف .

(٤) Monteil, p. 148

(٥) انظر : السعدى ص ١٢ - ١٥ .

(٦) Bovill, p. 176



ولكن المراكشيين أبادوا هذه القوات ، وكاد ملك مالى يقع أسيرا لولا سرعة جواده (١) .

بهذا الحادث الذى وقع أواخر القرن السادس عشر الميلادى يختفى مانسا مالى كعامل مؤثر فى تاريخ السودان الغربى ، أو أن المعلومات عن مالى منذ ذلك الوقت غدت نادرة جدا ، أو فقدت ، فلم ترد أخبار عن مالى بعد ذلك الا عرضا ، خلال الأحداث التى استوعبت تاريخ غربى افريقية منذ القرن السابع عشر فصاعدا ، وهى أحداث الكشف الجغرافى والاستعمار الاوربى . لكن ليس معنى هذا أن مالى قد فنت وذابت فى غيرها ، فنسمع فى عام ١٦٧٠ م عن مانسا اسمه مامامقان ، كان لا يزال يحكم فى عاصمته مالى ، وأنه هزم فى ذلك العام أمام ملك سيجو واسمه بيتون كولوبالى ، من البامباره ، أحد فروع الماندينجو (٢) ، وأنه بعد هذه الهزيمة يقوِّع فى دويلة صغيرة ، وخلفه فيها مانسا آخر اسمه مامبى كيتا ، حكم لمدة خمس عشرة سنة ، ونسمع كذلك أن أبناء مامبى كيتا خلفوه ثم تفرقوا بعد أن اقتسموا السلطة ، واستقر أواخرهم فى باماكو (٣) .

---

(١) Monteil, p. 148

(٢) انظر الخاتمة فيما يلى .

(٣) انظر الخاتمة فيما يلى وراجع Delafosse, pp. 30-31

## ملوك مالي

### ١ - الأسر الأولى

لا يعرف عنها غير بعض أسمائها مثل :

كوروما - ديارا - مركو - كامارا - باكاويكو - الخ . .

### ٢ - أسرة الترويين

لا يعرف من ملوكها سوى اسم مؤسسها وهو .

مانسانوفن تراورى - العاصمة نياجاسولا

### ٣ - أسرة الكونانيين

لا يعرف من ملوكها سوى ثلاثة هم مؤسسها جميعا كوناني ،  
وجورماندانا المحرف الى برمنداة وآخر ملوكها وهو مانسا ألو - العاصمة  
طابو .

### ٤ - أسرة كيتا

تولت الحكم حوالى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى .

العواصم المعروفة : جارب - ثيانى ( مالى ) .

من أوائل ملوكها المعروفين :

١ - مامبى كيتا

٢ - موسى ديجيو ألا كوى

٣ - نارى فامغان بن ألا كوى

١٢٠٠ - ١٢١٨ م

١٢١٨ - ١٢٣٠ م

( \* ) أبناء ناري فانعان الاثنا عشر :

- ٤ - كونونيوغو سمبا كيتا
  - ٥ - كابالي سمبا كيتا
  - ٦ - ماري تانياكل كيتا
  - ٧ - نوتوي ماري يرسيجوي كيتا
  - ٨ - سوسوتورو لاكانديا كيتا
  - ٩ - موسوكونو ماغمبا كيتا
  - ١٠ - موسو كانداكي كيتا
  - ١١ - مانسا ماغمبا كيتا
  - ١٢ - فينا دوجو كوماغن كيتا
  - ١٣ - جاغابو جاري كيتا
  - ١٤ - كالامبا ديوكونتو كيتا
  - ١٥ - سندياتا او ماري جاطة
- ( المؤسس الحقيقي للدولة )  
( خلفاء ماري جاطة )
- ١٦ - ولي ( علي ) بن ماري جاطة
  - ١٧ - ولي ( علي ) بن ماري جاطة
  - ١٨ - خليفة بن ماري جاطة
  - ١٩ - أبو بكر ابن بنت ماري جاطة
  - ٢٠ - سيكره ( معتصب )
  - ٢١ - قو بن ماري جاطة
  - ٢٢ - محمد بن ماري جاطة
  - ٢٣ - أبو بكر بن أخت ماري جاطة
  - ٢٤ - منسا موسى بن أبي بكر
  - ٢٥ - مغان الأول بن موسى

(\*) تولى هؤلاء الابناء العرش واحدا بعد آخر وقتلوا جميعا امام سومانجورو امبراطور النصور باستثناء آخر الابناء واصغرهم وهو سندياتا او ماري جاطة . وذلك خلال سنة واحدة ( ١٢٣٠ م ) .

- ٢٦ - سليمان أخو موسى  
١٣٤١ - ١٣٦٠ م
- ٢٧ - قنبتا بن سليمان  
- ١٣٦٠ م
- ٢٨ - ماري جاطة الثاني حفيد موسى  
١٣٧٤ - ١٣٧٤ م
- ٢٩ - موسى الثاني بن ماري جاطة الثاني  
١٣٨٧ - ١٣٨٧ م
- ٣٠ - مغان الثاني أخو موسى الثاني  
١٣٨٨ - ١٣٨٨ م
- ٣١ - صندكي (مغتصب)  
١٣٩٠ - ١٣٨٨ م
- ٣٢ - مغان الثالث (من أسرة كيتا)  
وهو زوج أم موسى الثاني  
١٣٩٠ م -
- محمد الأول المنسوب الى  
قو بن ماري جاطه الأول  
١٤٨١ م -
- محمد الثاني  
١٥٣٤ م -
- محمد الثالث  
١٥٩٩ م -
- ماما مغان  
١٦٧٠ م -
- مامبي كيتا (١)  
- ؟ -

(١) مراجع هذه القائمة :

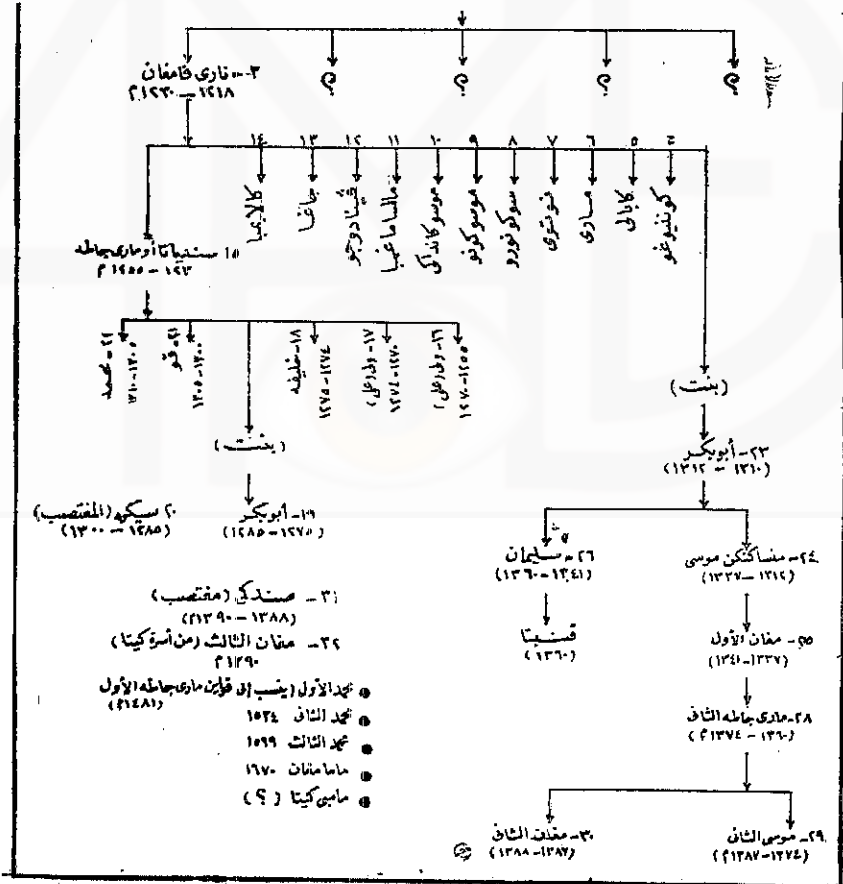
صبح الأوغشي ج ٥ ص ٢٩٢ - ٢٩٨ ، ابن خلدون ج ٥ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ، السعدي  
ص ٢ - ١١ ،  
Cooley, p. 69 ; Monteil, pp. 48-154 ; Delafosse, pp. 19-20, 30-31 ; La-  
bouret, pp. 203-204, 240-241

## أسرة كيتا

١ - مامبي كيتا

٢ - موسى ديجيو (الأكوي)

حوالي ١٢٠٠ - ١٢١٨ م



## الفصل السابع

### الأحوال العامة في دولة مالي

( ١ )

#### نظم الحكم وتقاليده

نظام وراثة العرش - قاسا ( الملكة الأم أو الزوجة الكبرى ) وأهميتها في الحكومة - طابع الحكم - مستشارو السلطان وكبار موظفيه : القنجا (نائب السلطان) - الصندكي (الوزير) - الاعتماد على طبقة البولا (وهم العبيد المحررون) - نظام التخصص الإداري - دوجو (القرية) هي وحدة التنظيم الإداري - الكافو (المركز) - الديانا (الولاية أو المديرية) - الكي حاكم الولاية واختصاصاته - مساعدو الكي القربا والتكريف - النظام المالي والقضائي - الجيش وأسلحته - مراسم تنصيب الفارس - القرارية (الأمراء العسكريون) .

القاعدة العامة في وراثة العرش في دولة مالي ، هي تولية الولد الأكبر للسلطان الراحل ، لكن ليس من الضروري أن تسير سلسلة هؤلاء الأبناء رأسيا بانتظام ، فقد يتولى الاخوة واحدا بعد آخر ، من أبناء المانسا المتوفى ، مع عدم الاخلال بقاعدة السن ، والدليل على ذلك تسلسل الملوك من أبناء موسى ديجيو ، الاثني عشر ، وآخرهم ماري جاطه ، وكذلك حدث

في وراثة العرش بين أبناء ماري جاطه ، فقد خلفه ولداه على التوالي ،  
واسم كل منهما ولي أو أولى أو علي .

وقد يتولى أبناء الأخت أو أبناء البنت ، كما حدث في ولاية أبي بكر  
عام ١٢٧٥ م ، وهو ابن بنت ماري جاطه ، وذلك ، كما يعلق  
القلقشندي :

« على قاعدة العجم في تملك البنت وابن البنت » (١) .

وتولى أبناء البنت أو أبناء الأخت أمر مألوف عند جميع الممالك  
الافريقية التي قامت في غربي افريقية ، كما وجد في وادي النيل عند  
النوبة (٢) . سارت هذه القاعدة في امبراطورية غانة السابقة (٣) ،  
كما وجدت في حكومة المدن أو الممالك السودانية الصغيرة ، سواء حكمها  
سودانيون وطنيون أو بربر تسودنوا .

ففي مدينة تكده التي زارها ابن بطوطة خلال رحلة في مالي ، شهد  
سلطانها ، وهو بربري اسمه « أزار » ، يركب « ومعه أولاد أخته ، وهم  
الذين يرثون ملكه » (٤) ، وقال ابن بطوطة أيضا عن التقاليد السائدة  
في مدينة ابوالاتن ، وكلتا المدينتين من أملاك مالي ، « ولا يرث الرجل  
الا أبناء أخته دون بنيه ، وذلك شيء ما رأيت في الدنيا ، الا عند كفار  
بلاد المليار من الهنود ، وأما هؤلاء ، فهم مسلمون محافظون » (٥) .

كذلك الشأن في امبراطورية البرنو الاسلامية ، حيث سادت قاعدة  
توريث الحكم عن طريق الأمهات ، غير ان انتشار الاسلام في بلاد البرنو  
أدى الى سيادة مبدأ الوراثة عن الذكور (٦) . والواقع أن تقليد توريث  
البنت وأبناء البنت وأبناء الأخت سائد عند البربر ولا سيما  
الطوارق (٧) . وهو يدل في فحواه ، على ما تتمتع به المرأة من سمو  
المكانة في بلاد السودان عامة .

(١) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٤ .

(٢) خطط ج ٢ ص ٢٠٢ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٧٦ .

(٣) غانة في الصور الوسطى للمؤلف ص ٥٦ وما بعدها ، المغرب ص ١٧٥ ،  
L. Lugard, p. 119 ; Davidson, p. 90 .

(٤) تحفة النظر ج ٤ ص ٤٤٣ .

(٥) تحفة النظر ج ٤ ص ٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٦) امبراطورية البرنو الاسلامية للمؤلف ،

(٧) المراجع السابقة . Palmer, The Bornu, p. 6 .

وفي دولة مالي ، جرت العادة أن تشارك الزوجة زوجها في الحكم ، وتلقب في لغة الماندينجو باسم « قاسا » ، ومعناها الملكة أو الزوجة الكبرى ، يقول ابن بطوطة :

« وهى شريكة فى الملك على قاعدة السودان ، ويذكرون اسمها على المنبر » (١) . ولما كان من المؤلف وجود أكثر من زوجة للملك فقد تعرض قاسا ، لسبب ما ، الى الابعاد والعقاب ، يصل أحيانا الى السجن وتختار الزوجة الأخرى لتكون الملكة ، أو الزوجة الكبرى ، كما حدث بصدد زوجة منسا سليمان ( ت حوالى ١٣٦٠ م ) ، حين كشف أمر اشتراكها فى مؤامرة ضد السلطان ، وكادت تسجن لولا استجارتها ببيت الخطيب (٢) .



وطابع الحكم فى دولة مالي استبدادى ، والملكية مطلقة ، وفيها استغلال الرعايا لصالح الأسرة الحاكمة (٣) ، ويتمتع ملوك مالي باحترام وتعظيم وهيبة بالغة من قبل الرعايا ، تقرب من درجة التقديس والعبودية (٤) .

ويساعد مانسا مالي فى حكومته المركزية بالعاصمة مستشارون وموظفون ، أهمهم : نائب السلطان ، ويقوم بمقامه اذا غاب ، كما يساعده فى تصريف الشؤون ، ويعرف هذا النائب باسم « قنجا » ( بفتح القاف وسكون النون ، مثل قنجاموسى ، نائب مانسان سليمان زمن زيارة ابن بطوطة ، كما يعتبر والى العاصمة (٥) .

وهناك الوزير ، ويلقب باسم « صندكى » Sandigui ، ويعد كذلك رئيس العبيد ، وفى هذه الحالة الأخيرة يعرف باسم « ديون صندكى » (٦) Dyon-Sandigui . وللصندكى أهمية كبرى فى حكومة مالي المركزية ، فقد يحدث أن ينفرد بالأمر والنهى ،

(١) تحفة النظر ج ٤ ص ٤١٧ - ٤١٩ .

(٢) راجع ماسبق وانظر تحفة النظر ج ٤ ص ٤١٨ - ٤١٩ .

(٣) Monteil, p. 149

(٤) راجع تحفة النظر ج ٤ ص ٤٠٧ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٠٠ .

(٥) تحفة النظر ج ٤ ص ٤٠٤

(٦) انظر مايل ، وكذلك معجم الألفاظ الاصطلاحية ، صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٩٧ -



ويستبد بجميع الأمور دون المانسا ، اذا كان المانسا ضعيفا أو صغير السن ، وقد حدث زمن السلطان موسى الثاني (ت ١٢٨٧ م) أن استبد وزيره ماري جاطه ، ولكنه ساس الدولة أحسن سياسة (١) ، ويحدث كذلك أن يتزوج الصندكي من بنات أو نساء الأسرة المالكة ، وأن يثب الى العرش نفسه كما حدث بعد وفاة موسى الثاني (٢) .

والواقع ان سلاطين مالي ، قد اعتمدوا كثيرا على طبقة العبيد المحررين ، فاتخذوا منهم قادة جيوشهم وحكام الولايات وجباة الضرائب وكبار موظفيهم ، ولذلك أفراد هذه الطبقة دورا كبيرا في دولة مالي ، ويشمل هذه الطبقة لفظ جامع هو ( البولا ) أو طبقة العبيد المحررين ، ولم يكن لدى بعض سلاطين مالي بأس من التزوج من نساء هذه الطبقة ، كما فعل ناري فامغان ( ت حوالي ١٢٣٠ ) (٣) ، ولذلك لم يكن من العسير على أبناء طبقة البولا أن يتطلعوا لأعلى مناصب الدولة حتى منصب مانسا نفسه . ويقال انه اشتهر في دولة مالي اثنتا عشرة أسرة كبيرة من هذه الطبقة ، حاز أفرادها الجاه والثروة ، من هذه الأسر : كاراما (٤) Kamara وكوتيبورو Koutiyoro ودانيبورو Danyoro وكامايورو Kamayoro وسنيورو Sinéyoro وتاليورو Taliyovo ونويا Noya ودمبوريا Dombourya وبيبانبان Bibanban الخ (٥) .

ولم يكن اعتماد سلاطين مالي على طبقة العبيد أمرا جديدا في مالي ، فقد سبقتها غانه في هذا التقليد ، واشتهرت هذه الطبقة في غانه باسم طبقة « الكوسا » Koussa ، كما اشتهرت منها أسر ثوات نفوذ كبير وثراء واسع مثل أسرة « تونكرا » Tounkara (٦) .



لقد نجحت حكومة مالي في ادارة شئونها وفي تنظيم دولتها المتسعة الأرجاء وعلقت بعض كتاب الغرب على نجاح حكومة مالي ، كنموذج لحكومات

(١) ، (٢) راجع الفصل السابق وانظر : العبر ج ٦ ص ٢٠٢ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ،

(٣) راجع الفصل الاول .

(٤) لعل لهذه الأسرة صلة بأسرة كامارا التي حكمت مالي في أول نشأتها وهي من

الأسر الأولى (راجع الفصل الاول) .

(٥) Monteil, pp. 22, 26, 56

(٦) لغانه في العصور الوسطى للمؤلف ص ٥٨ ، Monteil, p. 57

الدول الإفريقية القومية في غربى افريقية ذوات التاريخ القومى المعروف ، بأنه دليل واقعى على قدرة الافريقيين السود على تنظيم شئونهم وادارة حكوماتهم ذوات المسئوليات الضخمة، ولعل من أبرز الدلائل قدرة الأجهزة الادارية المركزية والمحلية على ضبط الأمن وتنظيم الاستثمار . ولقد وضح الأثر الشرقى الاسلامى فى الادارة وتقاليدها ، كما برز فى المظاهر السلطانية من مواكب وحفلات ومظاهر .

عرفت حكومة مالى التخصص فى الادارة ؛ عن العمرى والقلقشندى : « بهذه المملكة ، الوزراء والقضاة والكتاب والدواوين ، والسلطان لا يكتب شيئاً فى الغالب ، بل يكل كل أمر الى صاحب وظيفة من هؤلاء (١) » .

تتكون دولة مالى من اقليم مالى الأصيل ، وهو منطقة كانجابا ، نواة الدولة ، ومن الولايات أو الممالك التابعة لها ، وكما ذكر أبو سعيد الدكالى ، تكونت هذه الدولة من أربعة عشر اقليما بما فيها مالى (٢) .

والوحدة الادارية فى تنظيم هذه الدولة المترامية الأطراف ، هى « الدجو » Dugu (٣) أى القرية ، وهذا التنظيم من تقاليد الماندينجو القديمة ، وتؤدى القرية هنا معنى المدينة كذلك ، ومجموعة القرى وضواحيها تعرف باسم « الكافو » Kafo ، فى لغة الماندينجو ، ومعناها الاقليم أو المقاطعة؛ ومجموعة الكافوات تكون ما يعرف عند مالى باسم « الديامانا » Diamana أى الولاية أو المملكة ، بل ان لقب مانسا Mansa أو ماسا Massa كان يطلق أصلاً عند الماندينجو على حكام هذه الولايات (٤) وكذلك نعت بهذا اللقب ، رؤساء القرى المؤسسون لها وهو لقب قديم يرجع الى العهد الوثنى (٥) .

ويطلق على حاكم الولاية ، فى دولة مالى ، أكثر من لقب ، فهناك لقب كى Koi ( بضم الكاف وسكون الياء ) ، ومن معانى هذا اللقب : ملك وطنى خاضع لمانسا مالى ، ومن أجل ذلك يعد أعلى

(١) مسالك الأبحار ح ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٦ ، صبح الأعمى ح ٥ ص ٢٩٨ .

(٢) راجع ما سبق فى الفصل الرابع وانظر : مسالك الأبحار ح ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٤ ، L. Lugard, p. 150

(٣) أنظر معجم الألفاظ الاصطلاحية .

(٤) Monteil, p. 145

(٥) Monteil, pp. 20-22

لقب لحكام الولايات فى مالى ، لأنه كان يطلق أيضا على منسا نفسه ،  
فيقال « كى مل » (١) .

وللكى نسبة معينة من الضرائب التى يجبيها فى عمالته ، وتقدر  
عادة بثلاث الجبائية ، ومهمته الاشراف العام على الادارة وجباية  
الضرائب (٢) ، ويلاحظ أن الطوارق عندما استولوا على مدينة تنبكت  
عام ١٤٣٤ م ، بقيادة آر كل أكملول (٣) Akil-Ag-Malwal  
وانتزعوها من مالى ، أبقوا على الكى فيها بشرط خضوعه لهم وقيامه بأداء  
الجزية المقررة (٤) . وقد وجد فى مالى نحو ٣٦ حاكما بلقب كى ، منهم:  
« ورن كى » و « زن كى » أى حاكم ورن وحاكم زن ، وكذلك « كوكز  
كى » أى حاكم كوكز ، وهكذا (٥) .

ويلى الكى موظف آخر من حكام الولايات ، ولقبه « فربا » ( بفتح  
الفاء وسكون الراء ) ، ومن هؤلاء « فربا مغا » أى فربا محمد ، حاكم  
إحدى القرى على النيجر زمن السلطان موسى وكان محمد حجوا معه  
وزار مصر (٦) ، وفربا ايوالاتن ، واسمه فربا حسين ، زمن مانسا  
سليمان ، ولم يعجب ابن بطوطة بسبب غطرسته ، واحتقار البيض (٧)  
وأصل هذا الفرباء ، « ديون » أى عبد بسيط بلغة الماندينجو ،  
وقد يرتقى الى منصب رئيس العبيد «ديون صندكى» (٨) ، وأحيانا  
يكون صاحب هذا اللقب الأخير من أسرة مانسا نفسها (٩) ، وليس هناك  
ما يمنع من أن يتولى الفربانى حكم الولايات التى يتولاها الكى ،  
مثل فربا موسى ، زمن مانسا سليمان وكان حاكما فى تنبكت عندما  
زارها ابن بطوطة (١٠) .

(١) راجع ما سبق وانظر : السعدى ص ٨ ، تحفة النظار ج٤ ص ٤٠٧ ،  
Bovill, p. 102

(٢) Hogben, p. 33

(٣) آكل ( بفتح الهمزة الممدودة وكسر الكاف وسكون اللام ) ، أكملول ( بفتح الهمزة  
وسكون الكاف وفتح الميم وسكون اللام وفتح الواو وسكون اللام الأخيرة ) الضبط عن  
السعدى ص ٢٢ - ٢٤ )

(٤) السعدى ص ٢٢ - ٢٤ ، Bovill, p. 102

(٥) السعدى ص ١٠

(٦) تحفة النظار ج٤ ص ٤٢٦ .

(٧) راجع ما سبق فى الفصل الخامس وانظر : تحفة النظار ج٤ ص ٣٨٥ .

(٨) انظر معجم الألفاظ الاصطلاحية .

(٩) Monteil, pp. 23-24, 27

(١٠) تحفة النظار ج٤ ص ٤٣٠ .

ويساعد الفربا موظف آخر لقبه « المكريف » Macrif ، وهو مسئول أمام الغرب عن حفظ الأمن ، فضلا على أنه يساعد في جمع الضرائب (١) .

والملاحظ على النظام الإداري في دولة مالي ، أن أغلب الحكام كانوا من طبقة العبيد المحررين ، وأن لقب كى يتضمن معنى «نائب السلطان» ويشبه هذا ما حدث زمن الأيوبيين والمماليك في مصر والشام ، حيث عرف نظام النيابات ، فيقال نائب الشام أو نائب دمشق ، ونائب صغد ، ونائب القدس ، ونائب الاسكندرية ، وهكذا ، أى نائب السلطان في هذه البلاد .



ومن ناحية النظم المالية في دولة مالي ، ليست لدينا معلومات كافية أو احصاءات دقيقة عن الدخل ونظام الجباية ، بالرغم من ازدهارها وتمتعها بثروة طائلة خلال القرن الرابع عشر الميلادي ، ويمكن القول ، ان الضرائب ظلت معتمدة أساسا على السلع التجارية ؛ وهناك الجزية التي تجبي من الولايات أو الممالك الخاضعة لسلطان مالي . . والموظفون المسئولون عن جباية الضرائب هم :

الكى والفربا والمكريف (٢) .

أما نظام القضاء في مالي ، فقد كان دقيقا ، كما كان محل عناية كبرى من السلطان ، ويكاد يكون منقولا عن الشرق الاسلامي ولا سيما مصر ، وجد القضاء السود بجانب القضاء البيض ، واحتل هؤلاء جميعا مركزا ساميا في المجتمع ، ويقوم القاضى الأعلى في مالي ، في العاصمة ، ويعتبر مستشارا للسلطان ، كما كان خطيب المسجد الجامع من مستشارى السلطان (٣) .

وقد أشار العمري والقلقشندي وابن بطوطة الى مجالس السلطان القضائية ومواكبه للنظر في المظالم ، فهناك قضايا تستأنف للنظر أمام السلطان نفسه ، وهذه ينظرها في مجالسه .

(١) Monteil, p. 142 ; Spitz, p. 63

(٢) انظر ما سبق وراجع : L. Lugard, p. 143 ; Monteil, p. 99

(٣) L. Lugard, p. 145 ; Spitz, p. 63 ; Hogben, p. 33

« يجلس السلطان فى قصره - وكان له عدة قصور يدور بها سور واحد (١) - على مصطبة كبيرة على دكة كبيرة من أبنوس كالتخت ، على فدر المجلس العظيم المتسع ، عليها أنياب الفيلة فى جميع جوانبها ، وعنده سلاح من ذهب : سيف ومزراق وقوس وتركاش (٢) ونشاب ، وعليه سراويل كثيرة ، مفصل من نحو عشرين نصفية ، لا يلبس مثله أحد فيهم ، بل هو من خصوصيته . ويقف خلفه نحو ثلاثين مملوكا من الترك ممن تبتاع له من مصر ، بيد واحد منهم جتر - أى مظلة - من حرير ، عليه قبة وطائر من ذهب صفة بازى ، يحمل على يساره ، وأمرأؤه جلوس حوله يمينا وشمالا ، ودونهم أعيان من فرسان عسكره جلوس ، وبين يديه شخص يغنى له ، وهو سيافه ، وآخر سفير بينه وبين الناس يسمى الشاعر ، وتنتهى إليه الشكاوى والمظالم ، فيفصل فيها بنفسه ، ولا يكتب شيئا فى الغالب ، بل يأمر بالقول بلسانه » (٣) .

وذكر ابن بطوطة أن ملوك مالى عادلون « ولا يسامح سلطانهم أحدا فى شيء » (٤) ، وروى بعض القصص الدالة على كراهة سلطان مالى للظلم وعلى عنايته بالعدل والانصاف (٤) ، وأشار كذلك الى أن الأمن منتشر فى بلاد مالى ، حتى فى الأماكن النائية ، فلا يخاف المسافر منها ولا المقيم سارقا ولا غاصبا ، كما ان أموال الأجانب البيض المستقرين فى مالى ، فى مأمن من الاغتصاب أو النهب ، وعبارته :

« ولا يتعرضون لمال من يموت ببلادهم من البيضان ، ولو كان من القناطر المقنطرة ، فيتركونه بيد ثقة من البيض حتى يأتى مستحقه (٦) » .

وأما الجيش ، فهو القوة العاملة الثابتة ، فلقد عرفت مالى نظام الجيش العامل ، ونظمته ودربته أحسن تنظيم وتدريب .

ويتكون من الفرسان والرجالة ، وفريق الفرسان ، هو عماد القوة الفعالة فى مالى ، وهو مقسم الى فرق ، على كل فرقة ضابط ، والأسلحة

(١) مسالك الأبحار ج٢ ق٣ ورقة ٤٩٥ ، صبح الأعمى ج٥ ص ٢٨٢ .

(٢) التركاش هو جعبة السهام وهى كلمة فارسية .

(٣) مسالك الأبحار ج٢ ق٣ ورقة ٤٩٨ .

(٤) تحفة النظار ج٤ ص ٤١٤ - ٤١٦ .

(٥) انظر تحفة النظار ج٤ ص ٤١٤ - ٤١٦ .

(٦) تحفة النظار ج٤ ص ٤٢١ .

الجيش : السيوف والحرايب الطويلة والقصيرة (١) والقسي والنشاب  
والدبابيس ، والأخيرة ، كما يقول الادريسي ، مصنوعة من شجر الأبنوس  
« ولهم فيها حكمة وصناعة متقنة » (٢) . وهناك « الدرق اللطية »  
وتصنع من جلد حيوان عندهم يقال له « النلمط » . يقول أبو حامد  
الفرناطى :

« وعندهم حيوان يقال له اللمط ، مثل الثور الكبير ، له قرنان  
كالرماح تطول بطول بدنه ، ممدودة على ظهره ، اذا طعن بها الحيوان  
أهلكه فى الحال . ويتخذ من جلده تراس يقال لها الدرق اللطية ،  
مضافة الى هذا الحيوان ، يكون ثلاثة أذرع ، وهى خفيفة لينة ، لا ينقدها  
النشاب ولا يؤثر فيها السيف ، تكون بيضاء كالقراطيس ، وهى من  
أحسن التراس مبسوطة كالرغيف تستر الفارس وفرسه (٣) .

وللفارس مزاسيم خاصة لتنصيبه فى دولة مالى ، تشبه ما قام فى  
أوروبا الاقطاعية ، ففى مالى يقوم حاكم المدينة ، وهو نائب السلطان ،  
ويمسك بيد القائد الجديد ويجلسه على درع ، ثم يحمل هذا الدرع على  
رعوس الجنود ، وقد حدث فى فرنسا زمن المروفنجيين والكارولنجيين ،  
أن كان ملوك الفرنجة يرفعون على الدروع خلال حفلات تنويجهم ،  
كذلك استخدم هذا التقليد عند قادة الحملة الصليبية الرابعة التى  
استولت على القسطنطينية عام ١٢٠٤ م ، اذ تم انتخاب باليوبن التاسع  
أمير فلاندرز الاقطاعى ، امبراطورا لأثينا على القسطنطينية ، وفى حفل  
التتويج ، رفع على الدرع أو الترس على يد منافسه بونيفاس أمير  
مونتفات (٤) .

ويعد مانسا مالى القائد الأعلى للجيش ، وكثيرا ما كان ينيب عنه  
قائدا آخر ، وفى مالى جيشان : جيش الشمال وجيش الجنوب (٥) .  
ويلقب قائد جيش الشمال باسم « فاران سورا » \* Faran Soura  
أى قائد المسلمين ، ومركزه فى مدينة ديارا Diara فى اقليم كانياجا .  
أما قائد جيش الجنوب ، فيقيم فى اقليم سانجاران Sangaran  
ويلقب « ديون صندكى » (٦) .

(١) Hogb,en, p. 33

(٢) نزهة المشتاق ص ٤ - ٥

(٣) تحفة الألباب ص ٤٤ ، انظر كذلك البكرى ص ١٧١ ، تقويم البلدان ص ٧٢ - ٧٣

(٤) Rupnciman, III, p. 124 ; L. Lgugard, p. 145

(٥) L. Lgugard, pp. 145-146

Monteil, p. 149

(٦) راجع ما سبق فى تفسير هذا اللقب وانظر :

واشتهرت القوة الحربية فى مالى ، بالمقدرة والكفاءة ، وبرز فيها قادة عظماء أمثال سقمنجة (١) Sagaman زمن مانسامونى (٢) . ويعرف كبار ضباط الجيش أو الأمراء فى مالى باسم « الفرارية » ، مفردها فرارى ، ويقوم كل منهم على طائفة من الجنود المشاة والفرسان ، وجرت العادة أن يحضر هؤلاء الفرارية بجنودهم فى المواكب السلطانية (٣) ، تشبه الأطلاب عند الأيوبيين والمماليك .

ويقال ان عدة جيش مالى بلغت نحو مائة ألف جندى ، منهم عشرة آلاف فارس والباقي رجاله ، وقد عنى ملوك مالى بالقوة الحربية أشد العناية ، عن أبى سعيد الدكالى ، أن أكابر منسا مالى ، من يبلغ جملة ماله على الملك فى كل سنة خمسين ألف مثقال من الذهب ، وأن الملك كان دائما معنيا بهم ، حريصا على اجزال العطاء لهم ، وأن « همته كلها فى تجميل زيهم وتمصير مدنهم (٤) » .

وعن الدكالى كذلك :

أن الأبطال من فرسانهم « تلبس أساور من ذهب ، فمن زادت فروسيته ، لبس معها أطواقا (٥) من ذهب ، فان زادت لبس مع ذلك خلاخل من ذهب ، وكلمات زادت فروسية البطل ألبسه الملك سراويل متسعة ، ويزاد فى كبر سراويله بزيادة فروسيته ، وسراويلهم ضيقة أكمام الساقين ، متسعة الشرج (٦) » .

وفى عادة ركوبهم الحيل ، يبدعون الركوب بأرجلهم اليمنى بخلاف غيرهم من سائر الناس (٧) .

(١) التسمية العربية عن ابن خلدون وهى الأصل .

(٢) L. Lugard, p. 145 ; Monteil, pp. 55, 141

(٣) تحفة النظار ج٤ ص ٤٠٣ - ٤٠٥ .

(٤) صبح الأعشى ج٥ ص ٢٩٩ .

(٥) لهؤلاء نظراء فى الدولة الفاطمية ، وهم الأمراء المطوقون .

(٦) مسالك الأبحار ج٢ ق٣ ورقة ٤٩٩ ، صبح الأعشى ج٥ ص ٢٩٩ .

(٧) المصادر السابقة .

( ب )

### الحياة الاقتصادية

العمران في دولة مالي - ثرواتها الطبيعية - الزراعة -  
الحيوانات والطيور - التجارة والتحكم في طرق القوافل  
- سلع التبادل الافريقية والاجنبية - مناجم النحاس في  
تكده وضخامة القوافل المارة بها - الذهب في ونقاره -  
مناجم الملح في تغازه ووصف ابن بطوطة لها - التعامل  
بالمح - شهرة مدينة جني التجارية - الودع - شركة  
المقرى التجارية .

يمكن القول ان الأرباح والأموال الطائلة التي صارت الى مالي ،  
جاءت عن طريق تحكمها في طرق القوافل الرئيسية ، نتيجة ترامي  
أطرافها ، فضلا على وجود معادن الذهب والنحاس والملح داخل  
حدودها (١) ، وساعد على حسن الاستثمار واستمراره ونموه استتباب  
الأمن ، وهو عامل لانتظام حركة القوافل بين مالي من جهة وبين  
المغرب وبرقة ومصر من جهة أخرى (٢) .

ثم ان أرض مالي ، في أغلب أجزائها ، خصبة زراعية كثيفة  
السكان ، يقول الفلقشندي :

« وهي مملكة مربعة وجميعها مسكونة الاماقل (٣) » .

(١) Davidson, p. 91

(٢) تحفة النظار ج ٤ ص ٣٨٢ ، Page, p. 26

(٣) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٢ .



وعن صاحب الفتاش :

« ان مل مشتمل على نحو ٤٠٠ مدن وأرضها كثيرة الخير (١) » .

تمتج بلاد مالى القطن والقمح والذرة ، وهو أكثر حبوبهم ، ويباع التسعون مدا (٢) من الذرة فى تكدا بمثقال من الذهب (٣) -

ومن الذرة يتخذون أغلب طعامهم وعليق خيولهم ؛ ونظرا لقلّة القمح ، فانه مرتفع الثمن ، اذ يبلغ ثمن العشرين مدا منه مثقالا من الذهب (٤) .

أما الشعير فلا وجود له ، وهم يزرعون الأرز كذلك ؛ وعندهم حبوب صغيرة تشبه الخردل « فى المقدار أو أصغر منه » ، ولونها أبيض ، وتسمى « الفونى » ، تطحن ويعمل منها خبز ، كما تصنع منه العصيدة (٥) .

ومن الفواكه : الجميز وأنواع أخرى غريبة ، ومن الخضراوات : اللوبيا والقرع والبادنجان واللفت ونوع يشبه القلقاس يسمى « القافى » وهو ، كما يقول ابن بطوطة ، مفضل عندهم على سائر الطعام ، علما بأن ابن بطوطة مرض بسبب أكلة منه ؛ وينبت فى أرض كوكو ( جاو ) عود يقال له « عود الحية » ، يقول الادريسي : « ومن خاصيته أنه اذا وضع على جحر الحية خرجت مسرعة ، والصحيح عند أهل المغرب الأقصى وأهل ورقلان ، أن ذلك العود اذا أمسكه ماسك بيده أو علقه فى عنقه ، لم تقربه الحية (٦) » .

(١) الفتاش ص ٢٨ .

(٢) المد أقل من الربع المصرى ، وهو عبارة عن ملء كفى الانسان المعتدل بالحبوب اذا ملهها ، ومن هنا جاءت التسمية . وقد جرب الفيروز أبادى صاحب القاموس المحيط هذه العملية فوجدها صحيحة . والمد يساوى رطلين بالمصرى ورطلا وثلث رطل بالبغدادى ( القاموس المحيط - قوانين الدواوين ص ٢٤١ ) .

(٣) تحفة النظر ج٤ ص ٤٣٨ .

(٤) تحفة النظر ج٤ ص ٤٣٨ .

(٥) مسالك الابصار ج٢ ق ٣ ورقة ٤٩٦ - ٤٩٧ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٨ -

٢٨٩ ، تحفة النظر ج٤ ص ٣٩٣ .

(٦) نزهة المشتاق ص ١١ - ١٢ .

ومن حيوانات مالى : الخيل ، لكنها من نوع الأكاديش (١) التتيرية ، وهناك الخيول العربية التي يستوردها ملوك مالى ويدفعون فيها الأثمان الغالية . عن ابن بطوطة : « بلغ ثمن الفرس من بلاد البربر ، فى مالى نحو مائة مثقال » (٢) ، وعندهم البغال والحمير والبقر والغنم والماعز ، ولكنها تتميز جميعا بصغر الحجم ، وتلد الواحدة من الماعز نحو سبعة أو ثمانية . كذلك عندهم الجمال ، وقد دخل افريقية منذ نحو القرن السادس قبل الميلاد (٣) .

ومن الطيور : الأوز والدجاج والحمام ، أما الوحوش ، فهناك الفيلة والأساد والنمور ، ويقال انها لا تؤذى الا من يعرض لها ، وعندهم وحش يقال له « ترمى » ( بضم التاء والراء وكسر الميم المشددة ) ، فى قدر الذئب ، يعتدى فى الليل على كل ما يقابله ولا سيما من الأطفال والصبية ، لكنه لا يتعرض لأحد أثناء النهار ؛ كذلك توجد التماسيح فى الأنهار الكبيرة التى تملأ بلادهم ، وقد يبلغ طول الواحد منها نحو عشرة أذرع ، ومرارة هذه التماسيح سامة ، وهذه تجمع وتحمل الى خزانة الملك (٤) . يوجد فى مالى كذلك حيوان يعرف باسم « اللمط » تؤخذ من جلده تراس تنسب اليه (٥) .

ومن المحقق أن كثيرا من الحبوب والخضراوات والحيوانات المستأنسة قد جاء الى السودان الغربى والأوسط عامة من مصر ، مثل الثور والغنم والماعز والحمار النوبى المستأنس والدجاج المستأنس . ومن الخضراوات والحبوب القرع والقلقاس والفول والبسلا والذرة والذرة العويجة أو الدخن ، هذا فضلا على العناصر الحضارية (٦) .

على أن أهم موارد دولة مالى ، التجارة ، والاتصال بين الزنوج فى غربى افريقية وبين العالم الخارجى قديم جدا ، ويؤرخ هذا الاتصال

(١) الاكديش والجمع اكاديش لفظ فارسى معناه الانسان أو الحيوان الذى يكون أبوه من جنس وأمه من جنس آخر ، ويطلق على الفرس غير الأصيل ( السلوك ج ١ ص ٧٠٣ حاشية ١ ) .

(٢) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٢٥ ، L. Lugard, p. 150 .

(٣) راجع المدخل وانظر :

Wiedner, pp. 27-28 ; Okafor, p. 26 ; Johnston, pp. 47-48

(٤) مسالك الأبصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٦ - ٤٩٧ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٧ -

٢٨٨ ، نزهة المشتاق ص ٣ - ٤ .

(٥) راجع ما سبق وانظر : تحفة الألباب ص ٤٤ ، البكرى ص ١٧١ .

(٦) انظر العلاقات الخارجية فيما يلى وراجع : Johnston, pp. 19-20

لمطلع فترة طويلة متصلة للتبادل التجاري ، ومعه التأثير الثقافي ، ولقد تاجرت قرطاجة وروما من قبل مع الزنوج للحصول على العاج والذهب والعبيد والصمغ والعسل والقمح والقطن ، في نظير الزجاج والملح وأحيانا النبيذ ، وساعد دخول الجمل افريقية على انعاش التجارة وازدياد هجرة البربر من بلاد المغرب ، وكذلك انتقال جماعات من يهود قرطاجنة وبرقة بصفة خاصة ، منذ القرن الثاني الميلادي واستقرارها على طول نهر النيجر والسنغال واشتغالها بالتجارة (١) .

نمت العلاقات التجارية عبر العصور ويكفي دليلا على أهمية التجارة ان الضرائب التي كانت تحصل في سجلماسة ، أهم مداخل القوافل ، بلغت أوائل القرن العاشر الميلادي نحو ٤٠٠ الف دينار، وأن عبد الرحمن الأموي خليفة قرطبة ، بعث بأسطول الى سوتا عام ٣١٩ هـ - ٩٣١ م لحماية الطرق التجارية المؤدية الى السودان الغربي . حتى اذا تحكمت مالي في طرق القوافل الصحراوية ، عملت على ازدياد حركة التبادل وحمايتها ، فاستوردت السلع والمصنوعات المختلفة من بلاد البحر المتوسط ، مثل السيوف الدمشقية والحريير والخيول من الشرق ، بكميات كبيرة (٢) ؛ كذلك جلبت أنواع الثياب من مصر ، يقول ابن بطوطة عن أهل تكده ، احدي ولايات مالي : « شغلهم التجارة ، يسافرون كل عام الى مصر ويجلبون كل ما بها من حسان الثياب (٣) » .

وكانت تجارة الرق موردا هاما من موارد الممالك السودانية عامة، فقد جلبت الرقيق من البلاد الوثنية في الجنوب (٤) ، ويشبه موقف المسلمين السود من هؤلاء الرقيق ، موقف الاسبان من الوطنيين في العالم الجديد بعد الكشف الجغرافي ، لكن يبدو أن معاملة العبيد في ممالك السودان الغربي والأوسط ، كانت أحسن من معاملة الأوربيين لهم في البلاد المكتشفة. فمن هؤلاء العبيد من اشتغل في جيش مالي، ومنهم من عمل في المزارع ، ومنهم من اشتغل في المنازل ، وهنأ طبقة من العبيد المحررين ، صارت من كبار المسؤولين في دولة مالي (٥) ، ولم يكن العبد يعذب أو يعدم في مالي . ذكر ابن بطوطة عن سكان مدينة تكده ، أن لهم

(١) Johnston, pp. 46-48 ; Bovill, p. 111 ; Wieder, pp. 27-28 ; L. Lugard,

(٢) أرشيبالد ص ٢٦٠ - ٢٦٣ ، p. 99 ; Pedler, p. 60.

Davidson, p. 95 ; Hogben, p. 33

(٣) تحفة المظار ج ٤ ص ٤٣٩ ، انظر كذلك L. Lugard, p. 147

(٤) نزهة المشتاق ص ٤

(٥) راجع ما سبق .

« رفاهة وسعة ، ويتفاخرون بكثرة العبيد والخدمات ، وكذلك أهل مالى - يقصد مدينة مالى العاصمة - وإيوالاتن » (١) ، هذا وقامت اليد العاملة فى مالى على استخدام الرقيق (٢) .

وتوجد مناجم النحاس الأحمر فى حقول تكده ، يقول ابن بطوطة : « النحاس خارج تكده ، يحفرون عليه ويسبكونه فى المدينة فى دورهم ، يفعل ذلك عبيدهم وخدمهم ، يسبكونه نحاسا أحمر ، يصنعون منه قضباناً فى طول شبر ونصف ، بعضها غلاظ وبعضها رقاق ، وسعر الغلاظ : ٤٠٠ قضيب بمثقال ذهب والرقاق : من ٦٠٠ الى ٧٠٠ قضيب بمثقال ذهب ، وهى حرفهم ، يشترون برقاقها اللحم والحطب ، وبغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح ، ويحملون النحاس الى مدينة كوبر من بلاد الكفار ، والى زغارى والى بلاد برنو ، وهى على مسيرة أربعين يوماً من تكدا ، ومن هذه البلاد - أى بلاد برنو - يؤتى بالجوارى الحسان والفتيان وبالثياب المجسده - أى المصبوغة بالجسد وهو الزعفران (٣) .

وذكر العمرى ، أن :

« عند السلطان موسى مدينة أكرا - وهى تكده - ، بها معدن النحاس الأحمر ، تجلب منه القضبان الى مدينة بينى - أى ينانى أو مالى عاصمة مالى - وليس فى مملكة موسى شىء يمكس سوى هذا النحاس المعدنى الذى يجلب ، ونحن نبيعه - كما يقول السلطان موسى - الى بلاد السودان الكفار ، وزن مثقال بثلاثى وزنه ذهب ، فبيع كل مائة بستة وستين مثقالاً من الذهب وثلاثى مثقال » (٤) .

والواقع أن مدينة تكده من أهم مدن مالى ، فهى مركز رئيسى لتجارة القوافل ، وتقع بين جاو وأير air (٥) ، على طريق الحج عبر الصحراء وهى ، كما يقول ابن خلدون ، على بعد نحو ٧٠ يوماً من ورقلان وكانت ذات علاقة تجارية نشطة مع ورقلان ومع مصر . ويقال ان قافلة قامت من مدينة مالى العاصمة وتوجهت نحو مصر عن طريق تكده ، بلغ تعدادها ١٢ ألف رجل ، وبالرغم مما قد يكون فى تقدير هذا العدد من بعض

(١) تحفة النظر ج ٤ ص ٤٣٩ .

(٢) L. Lugard, p. 150 ; Bovill, p. 98 ; Pedler, p. 60 ; Pruen, pp. 45-46 ;  
Dike, Trade & Politics, pp. 81-96; Wiedner, pp. 38-39 ; 45-47 ;  
Reeve, p. 25 ; An Atlas of African History, pp. 36-37.

(٣) تحفة النظر ج ٤ ص ٤٣٩ - ٤٤١ .

(٤) مسالك الأبحار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٧ .

(٥) انظر خريطة طرق القوافل .

المبالغة ، الا أنه يلقي ضوءا على ضخامة التجارة المتبادلة بين مصر وبلاد  
مالي ؛ وقد استوردت مصر النحاس من مالي ، كما استورده المغرب وبلاد  
الهوسا (١) ، وعبر السلطان موسى بأن هذه المناهج هي أهم منابع ثروته ،  
وكشف العالم الأثرى الفرنسى مونى R. Mauny بقايا هذه  
المناجم حديثا فى مدينة أزيليك بالقرب من موضع تكده ، عام  
١٩٥٩ م (٢) .

ويوجد الذهب فى المناطق الجنوبية فى مالي ، وهى مناطق ونقارة  
«أرض الذهب» ، واستغل ملوك مالي هذه المناجم ، مما أفاض على  
دولتهم شهرة عظيمة وصلت الى بلاد أوروبا (٣) .

وهناك مناجم الملح فى تغازة ، التى خضعت لسلطان مالي ، وتقع  
فى أقصى الحدود الشمالية للدولة ، وقد ربحت مالي فى الملح أرباحا  
طائلة ، ومناجم تغازة هى المناجم الوحيدة المعروفة فى الصحراء يومئذ ،  
اذ أن مناجم الملح الأخرى فى تودينى وسبكا لم تكن قد كشفت بعد (٤) ،  
كما انه لم يكن من السهل نقل الملح المستخرج من جزيرة أوليل Aulil  
عند مصب السنغال الى مسافات بعيدة ، ولا يفيد منه الا السكان القريبون  
من الشاطئ ، حقيقة ، سوقت غانة ملح أو ليل فى أرجاء بلاد السودان ،  
الا أن عملية النقل كانت مرهقة (٤) .

وصف ابن بطوطة مدى ما فى مناجم تغازة من كميات الملح فقال ،  
انها - أى تغازة - « قرية لا خير قبيها ، ومن عجائبها أن بناء بيوتها  
ومسجدها من حجارة الملح ، وسقفها من جلود الجمال ، ولا شجر فيها  
انما هى رمل فيه معدن الملح ، يحفر عليه فى الأرض ، فيوجد منه ألواح  
ضخام متراكبة ، كأنها قد نحتت ووضعت تحت الأرض ، يحمل الجمل  
منها لوحين ، ولا يسكنها الا عبيد مسوفة - احدى قبائل البربر -  
ويتعيشون بما تجلب اليهم من تمر درعه وسجلماسة ، ومن لحوم  
الجمال . ويصل السودان من بلادهم الى تغازة . فيحملون منها الملح ،  
ويباع الحمل منه فى ايالاتن بعشرة مثاقيل الى ثمانية مثاقيل ، وبمدينة

(١) دول الهوسا الاسلامية للمؤلف .

L. Lugard, p. 117 ; Bovill, p. 94

(٢) راجع ما سبق وانظر : صبيح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٩ ،  
Okafor, p. 28 Bovill, p. 128

Hogben, p. 149 ; Bovill, p. 140 (٣)

Bovill, p. 84 ; Fage, p. ٥ (٤)

مالي بثلاثين مثقالا الى عشرين ، وربما انتهى الحمل الى أربعين مثقالا (١) ، على أن حمل الملح بلغ في بعض بلاد السودان الأخرى في غربى أفريقية ، ما بين ٢٠٠ الى ٣٠٠ مثقال أو دينار (٢) .

والمسافر الى بلاد مالي ، كما يقول ابن بطوطة ، « لا يحمل زادا ولا اداما ولا دينارا ولا درهما ، انما يحمل قطع الملح وحلى الزجاج وبعض السلع العطرية ، أكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكا ، فاذا وصل قرية ، جاء نساء السودان باللبن والدجاج ودقيق النبق والأرز والفونى ودقيق اللوبيا ، فيشتري منهن ما أحب من ذلك (٣) » .

أى أن الملح كان عملة يتصارف بها أهل السودان ، يقول ابن بطوطة ، انهم يتصارفون بالملح « كما يتصارف بالذهب والفضة ، بقطعونه قطعاً ويتبايعون به . وقرية تغازه ، على حقارتها ، يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر (٤) » .

استثمرت مالي مناجيم تغازه، وسوقت الملح فى جميع بلادالسودان وكان التعامل مع البلاد الجنوبية الوثنية من أهم موارد الثروة ، ويقوم التبادل التجارى فى تلك المناطق عن طريق ما عرف باسم « التجارة الصامتة » *Silent Trade* ، وفحواها :

يأتى التجار بالملح (٥) ويصنعونه فى مكان متفق عليه بين تجار الشمال ومستهلكى الجنوب ، وأكثر ما كان يحدث هذا عند أعالي السنغال ، ثم يختفون ، وحينئذ يخرج الزنوج الوثنيون العراة ويضعون بجوار كل كومة من الملح أو السلع الأخرى ما يروونه نظيرا من الذهب ، ثم يختفون ، فيظهر التجار ، فاذا اقتنعوا بقيمة سلعهم من الذهب ، حملوه وانصرفوا بعد أن يضربوا بطبولهم ايدانا بانتهاء السوق ، واذا لم يقنعوا بالذهب الموضوع ، تركوه واختفوا مرة أخرى ، فيخرج الزنوج ويزيدون من كميات الذهب ، وتكرر عملية الاختفاء والظهور من الجانبين حتى يتم الرضا والاقتناع .

(١) تحفة النظار ج ٤ ص ٣٧٧ - ٣٧٨ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٨ ، الفرناطى : تحفة الألباب ص ٤١ .

(٣) تحفة النظار ج ٤ ص ٣٩٣ - ٣٩٤ ، راجع ما سبق .

(٤) تحفة النظار ج ٤ ص ٣٧٧ - ٣٧٨ ، انظر كذلك :

Bovill, pp. 141-142; Fage, p. 49

(٥) لم يكن الملح هو السلعة الوحيدة التى تسوق فى تلك المناطق عن طريق التجارة

الصامتة بل كانت هذه الطريقة هى المألوفة فى التعامل فى شتى السلع .

وقد حاول التجار مرة أن يعرفوا شيئاً عن منابع الذهب ، فقبضوا على أحد الزوج وعذبوه حتى مات ولكن دون أن يصرح بشيء ، ومن أجل هذا الحادث ظل الزوج الوطنيون يمتنعون عن الظهور والتعامل مع أولئك التجار نحو ثلاث سنوات حتى اضطروا لاستئناف التعامل بسبب شدة حاجتهم الى الملح بصفة خاصة .

ويبدو أن هذه الوسيلة كانت هي السائدة المألوفة في تلك المناطق من غربى افريقية ، كما لم تكن مالى الدولة الوحيدة التى مارستها ، فقد سبقتها غانه وغيرها ؛ وأورد المسعودى وصفاً دقيقاً للتجارة الصامتة بصدد حديثه عن مملكة غانه (١) . ومن قبل ذكر هيردوت أن حوالى ( ت ٤٥٠ ق ٠ م ٠ ) التجارة الصامتة التى مارسها القرطاجانيون قديماً للحصول على الذهب ، وفى المنطقة نفسها من غربى افريقية ، كما أن التجار العرب والبربر ، قد شرحوا للرحالة كاداموستو البرتغالى فى القرن الخامس عشر الميلادى أن هذه التجارة لا زالت سائدة ؛ ووصف التجارة الصامتة رحالة آخرون .

كذلك لم تكن التجارة الصامتة من خصائص غربى افريقية وحده ، وإنما عرفت فى آسيا فى تجارة الحرير فى القرن الأول الميلادى ، وشيهدنا الرحالة الصينى فى القرن الخامس الميلادى فى جزيرة سيلان ؛ ويقال ان هذه التجارة كانت أمراً مألوفاً فى تجارة الذهب فى الحبشة خلال القرن السادس الميلادى ، وفى العصور الحديثة لا زالت صور من هذه التجارة تمارس بين أقزام الكونفو ، وربما الى اليوم (٢) .

ومن المدن التى اشتهرت بالتجارة ، ولا سيما فى تبادل الملح بالذهب ، مدينة جنى ، وصفها السعدى بقوله ، انها :

« مدينة ميمونه مباركة ذات سعة وبركة ، وطبيعة أهلها التراحم

(١) المسعودى : أخبار الزمان ( مخطوط ) ورقة ٣٨ ب ، ١٣٩ ، غانة فى العصور الوسطى للمؤلف ص ٦٤ - ٦٦ .

(٢) من مراجع التجارة الصامتة للمزيد من التفاصيل : غانة فى العصور الوسطى للمؤلف ص ٦٤ - ٦٦ ، المسعودى : أخبار الزمان ( مخطوط ) ورقة ٣٨ ب - ١٣٩ ، Gautier, pp. 48-58 ; De La Roncière, I, pp. 94-99; Bovill, pp. 82-83; Johnston, pp. 296-300; Kup, p. 28; Wiedner, pp. 29-30; Ward, p. 30; Reindore, p. 2; Gsell, I, pp. 468-469; Fage, pp. 20-21; Hobbey, Early Explorers, p. 7; Opening Africa, p. 4; Ivir Wilks (Univ. Coll. of Ghana), A Medieval Trade Route from the Niger to the Gulf of Guinea (Conf. of Land, on Afr. Hist. & Arch., 1961).

والتعاطف والمواساة ، ولكن المنافسة على الدنيا ، كانت من أخلاقهم جدا بحيث إذا زادت لأحد جاء بينهم ، أجمعوا على بفضه ، وهى سوق عظيمة من أسواق المسلمين ، وفيها يلتقى أرباب الملح من معدن تغازه وأرباب الذهب من معدن بيط (1) ، وكلا المعدنين المباركين ، ما كانت مثلهما فى الدنيا كلها ، فوجد الناس بركتها فى التجارة اليها كثيرا ، وجمعوا فيها من الأموال ما لا يحصيه الا الله سبحانه وتعالى ، ومن أجل هذه المدينة المباركة ، تأتى الرفاق من جميع الآفاق « (٢) . ويذكر السعدى بصدد اسلام جنكى وحرصه على تنشيط الحركة التجارية بها وتحسين أحوالها الاقتصادية وتعميرها ، أنه بعد اسلامه على أيدي العلماء ، طلب منهم أن يدعوا الله تعالى ، بثلاث دعوات :

« كل من هرب اليها من وطنه ضيقا عسرا ، أن يبدلها الله له سعة ويسرا حتى ينسى وطنه ، وأن يعمرها الله بغير أهلها ، أكثر من أهلها ، وأن يسلب الصبر من وارديها من التجار حتى يملوا ، فيبيعون ما معهم بناقص الثمن ، فيربحوا فيها » فقرءوا الفاتحة على هذه الدعوات ، تقول الرواية ، « فكانت مقبولة » (٣) .

وجد التعامل بالودع فى دولة مالى ، وعن العمري وابن بطوطة والقلقشندي أن « أكثر ما تجلب التجار اليها الودع ، فتربح فيه الربح الكثير » (٤) ، وكان المثقال من الذهب ، وقدره ثمن أوقية ذهب ، يساوى ثلاثة آلاف ودعة فى تنبكت (٥) ، وعموما التجارة فى أكثر بلاد مالى ، والسودان الأوسط والغربى عامة « بالمقارضة » كما يقول الادريسي (٦) ، أى بالمقايضة .

(١) راجع الفصل الثانى وانظر Bovill, p. 12.

(٢) تاريخ السودان ص ١١ - ١٢ ، انظر كذلك : البكرى ص ١٧٣ ، ١٨٣ ، نزهة المشتاق ص ٣ .

(٣) السعدى ص ١٣ .

(٤) مسالك الأبحار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٤ ، تحفة النظار ج ٤ ص ٤٣٥ ، صبح الأعيان ج ٥ ص ٢٩٢ .

(٥) ظل التعامل بالودع فى تنبكت حتى مطلع القرن العشرين ، ولكن قيمته قلت ، إذ بلغ ما يشتري بمشقال الذهب فى ١٩١٢ : ١٢ ألف ودعة ( راجع Bovill p. 147.

(٦) نزهة المشتاق ص ١٠ .



وممن اشتهر من التجار المسلمين في دولة مالي ، أسرة المقرى ،  
أسلاف أحمد بن محمد المقرى المغربى التلمسانى ( ت ١٠٤١ هـ -  
= ١٦٣٣ م ) ، صاحب كتاب نفع الطيب . وجد هذه الأسرة هو  
عبد الرحمن المقرى ، يحتمل أنه كان يعيش خلال القرن الثانى عشر  
الميلادى ، أى أوائل حكم أسرة كيتا ، وعمل فى التجارة هو وبنوه من  
بعده ، وجمعت هذه الأسرة أرباحا طائلة من هذا العمل ، لأنها عملت فى  
التجارة بين بلاد السودان وبين بلاد البحر المتوسط وأوربا .

كان لهذا الجد البعيد خمسة أولاد ، نظموا شئون عملهم التجارى  
أحسن تنظيم ، فيما يشبه الشركة أو البيت التجارى . اتفقوا على تقسيم  
العمل بينهم ، ويقضى هذا التقسيم بأن يقيم اثنان منهم فى مدينة  
تلمسان ، وكانت ميناء تجاريا مزدهرا ، ويقيم الاثنان الآخران فى مدينة  
ايوالاتن ، أما الخامس فاتفق على أن يكون مقره فى مدينة سلمجاسة  
وهو كبيرهم ، وسجلماسة أهم نقطة فى نهاية طرق القوافل من ناحية  
الشمال .

فأما مهمة المقيمين فى تلمسان ، فهى استقبال السلع الأوروبية  
المطلوبة فى بلاد السودان وتصديرها الى المقيمين فى ايوالاتن لتسويقها  
فى بلاد السودان ؛ ومن ناحية أخرى يصدران السلع السودانية من العاج  
والذهب والكولا ، ومداومة ارتياد أسواق الجنوب الهامة . وأما مهمة  
الخامس كبيرهم ، وهو المقيم فى سجلماسة ، فتخلص فى دراسة الأسواق  
العالمية والأسعار السائدة ، ومعرفة السلع المطلوبة أو الزائدة عن الحاجة  
وجمع كل ما يتعلق من معلومات عن حركة التجارة وحاجة الأسواق ،  
فضلا على الأحداث السياسية التى تؤثر على التجارة ، وامداد اخوته بهذه  
المعلومات .

بهذه الطريقة نجحت تجارتهم ونمت ثروتهم ، وأضحت لهم امكانية  
هامة ومن الأحداث التى شهدها أولئك الاخوة ، فى ايوالاتن ، هجرة  
العلماء والتجار المسلمين من المغاربة من قبيلة جدالة ، من مدينة كومى  
صالح عاصمة غانه ، على أثر استيلاء الصوصو عليها عام ١٢٠٣ م ،  
ثم ما تبع ذلك من انتصارات سندياته أو مارى جاطه المتلاحقة ضد  
الصوصو ؛ وقد جمعت أسرة المقرى فى مدينة ايوالاتن مع اتباعها من  
التجار والعبيد ، وقررت توزيع السلاح فيما بينهم والاعتصام بدورهم ،  
استعدادا للدفاع عن أموالهم ، وكانت دورهم مسورة حصينة ، وذلك

إذا قرر ماري جاطة متابعة زحفه الى ابوالاثن ، لكنه عدل عن الزحف  
رعاية لحق من لجأ اليها من المسلمين (١) .

وحدث أن أراد ماري جاطة الافادة من نشاط أسرة المقرى التجارى ،  
فاستدعى عميدها ، واتفق معه على توفير ما يحتاج اليه ماري جاطة من  
السلع الأجنبية ، نظير حماية ماري جاطة لهم (٢) .

---

(١) راجع الفصل الأول .  
(٢) هذه المعلومات عن أسرة المقرى ونشاطها التجارى وتاريخها ، منقولة عن قاضى  
مدينة فاس فى سنة ١٣٥٦م ، وهو كما يقول ، السادس من سلالة الجد الأكبر  
عبد الرحمن . ( انظر L. Lugard, pp. 101-103 ; Bovill, pp. 98-99 )



( ج )

### الحياة الروحية والعلمية والفنية

سيادة المذهب السنن المالكن - مذهب الخوارج الاباضية  
( صغنفو ) - المساجد وانتشارها - المسجد الجامع في  
تنبكت - مسجد سنكرى - بعض الأئمة من السوء  
والبيض - المحافظة على صلاة الجماعة - صلاة العيد  
حرمة المساجد ودار الخطيب - العلماء والفقهاء - جامعة  
سنكرى - المدارس - جنى وكثرة العلماء بها - الحرص  
على حفظ القرآن - اللغة العربية ومكانتها - والأطباء  
الكصريون في مالى - تطور فن العمارة في مالى .

المذهب السنن المالكن هو السائد في دولة مالى ، وفي بلاد غربى  
أفريقية عامة ، وقد أشار مانسا موسى وهو فى مصر الى أنه مالكن المذهب،  
كما اشترى من مصر بعض الكتب فى فقه المالكنة (١) .

غير أن بعض القرى ، كانت تضم قريفا من الخوارج ، وهؤلاء غالبا  
من البيض المغاربة المقيمين فى تلك البلاد، كما هو الشأن فى قرية زاغرى  
ففيها يقيم فئة من الخوارج الاباضية ، نسبة الى صاحب هذا المذهب ، وهو  
عبد الله بن اباض التميمى (٢) ، وهؤلاء يعرفون عند السودان بأسم

(١) الذهب المسبوك ص ١١٣ .

(٢) الخوارج هم الذين خرجوا على النحكيم فى الصراع الذى دب بين على ومعاوية  
منذ وقعة صفين عام ٣٦ هـ = ٦٥٧ م ، وبدءوا بأمور تتعلق بالخلافة ، بأنها يجب أن  
تكون باختيار حر من المسلمين ، وليس من الضرورى أن يكون قرشيا ، حتى ولو كان  
عبدا حبشيا ، ثم مزجوا آراءهم السياسية بصبغة لاهوتية . فقالوا ان العمل جزء من =

« صغنفو » ، كما أن السودان يطلقون على المالكية من البيض اسم « توري » (١) .

والمساجد منتشرة في جميع أرجاء مالي ، ولكل مدينة مسجدها أو مساجدها ، ولها أئمتها ووعاظها ، ولهؤلاء رواتب شهرية ثابتة ، وفي المدن الرئيسية مثل مالي العاصمة وجاو وتنبكت يوجد مسجد كبير جامع ، هو المسجد الرئيسي في المدينة .

واشتهر السلطان موسى بكثرة بناء المساجد ، فمن عاداته ، كما يقول السعدى ، انه كان يبني مسجدا في كل مدينة تدرکه صلاة الجمعة فيها(١) ، ومن المساجد التي أقامها مسجد مدينة جاو على اثر عودته من الحج عام ١٣٢٥ م ، وقد أشرف على بنائه أبو اسحاق إبراهيم الساحلي الشاعر القرطبي والمهندس ، وكان السلطان موسى قد تعرف على أبي اسحاق بمكة خلال حجه ١٣٢٤ م ودعاه الى بلاده وصحبه معه فحج عودته ، ويعرف هذا الشاعر المهندس في بلاده باسم « الطويجن » (٣) .

بنى الساحلي جامع جاو من الطوب المحروق ، ولم يكن هذا معروفا من قبل في السودان (٤) ، وجعل مئذنته هرمية الشكل ، وهذا أول بناء من هذا الطراز يدخل بلاد السودان ، وسرعان ما انتشر في جميع بلاد غربي افريقية (٥) . عمر مسجد جاو ونحو ثلاثة قرون بعد ذلك ، ولا تزال أطلاله باقية الى اليوم .

= الايمان، وتفرقوا الى نحو عشرين فرقة، أشهرها الإباضية ، نسبة الى عبد الله بن اباض التميمي ، مؤسس هذه الفرقة ، وقد خرج زمن خلافة مروان بن محمد ( ت ١٣٢ هـ = ٧٤٩م ) آخر خلفاء بني أمية . ومن أقوال ابن اباض : ان مخالفتنا من أهل القبلة كفار غير مشركين ، ومناكرتهم جائزة وموارثتهم حلال ، وغنيمة أموالهم من السلاح والكرام عند الحرب وما سواه حرام ، وحرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة الا بعد نصب القتال واقامة الحجة . . . ولذلك فنزعتهم أميل الى المسالمة من غيرهم ، ولا يزال أتباع هذا المذهب في المغرب وغيره الى اليوم . ( الشهر ستاتي : الملل والنحل - نشر بدران - القسم الأول ص ١٠٥ - ١٠٦ ، ١٢١ ، أحمد أمين : فجر الاسلام ص ٢٥٦ وما بعدها ) .

(١) تحفة النظر ج ٤ ص ٣٩٤ - ٣٩٥ .

(٢) تاريخ السودان ص ٧ .

(٣) ذكره ابن خلدون باسم « السطو نجق » ، والمثبت عن السعدى وابن بطوطة

( راجع العبر ج ٦ ص ٢٠٠ ، السعدى ص ٨ ، تحفة النظر ج ٤ ص ٤٢١ ) .

(٤) Davidson, p. 91; Bovill, p. 89

Labouret, p. 203

(٥)

كذلك أشرف الساحلي على بناء مسجد جديد في تنبكت ، وهي المسجد الجامع ، ويعرف كذلك باسم الجامع الكبير (١) . ويوجد بمدينة تنبكت جامع قديم بالحى الشمالى فيها ، يعرف باسم « جامع سنكرى » Sankore ، يقول السعدى أن هذا المسجد بنته سيدة تعرف باسم سنكرى ، وهى سيدة ثرية ؛ لكن ليس من المعروف تاريخ هذا البناء الأول (٢) ، أما عمل السلطان موسى فى مسجد سنكرى ، فاقتصر على بناء منئذته ، وجعل القبور ملاصقة له من جهتى اليمن والمغرب . يقول السعدى :

« وتلك عادة السودان أهل المغرب ، لا يدفنون موتاهم الا فى رحاب مساجدهم وجوانبها (٣) » ، وقد جدد هذا المسجد فيما بعد وأضيفت ساحة القبور اليه (٤) ، وكان جامع سنكرى من أشهر المراكز الثقافية فى تنبكت (٥) .

وأول من تولى الامامة فى المسجد الجامع ، الفقهاء السودانيون زمن سيادة مالى ، وبعض العهد من دولة الطوارق ، وآخر الأئمة من السودان القاضى كاتب موسى ، الذى مكث فى الامامة أربعين سنة ، وكان قد رحل الى فاس للتفقه فى العلم بأمر السلطان موسى (٦) .

عن السعدى :

« وخلفه فى الامامة جد جد تى - الضمير عائد على السعدى - عبد الله البلبالى ، وهو أول البيضان ، صلى بالناس فى هذا المسجد أواخر دولة الطوارق ، وفى أوائل دولة سن على » (٧) . ومن أئمة مسجد سنكرى ، أبو البركات محمود بن عمر (٨) .

(١) Le Chatelier, p. 133

(٢) السعدى ص ٦٢ - ٦٣ ، تاريخ الفتاش ص ١٢١ .

(٣) السعدى ص ٥٦٢٨ - ٥٧ .

(٤) السعدى ص ٥٧ .

(٥) كان جامع سنكرى المكان الذى اختاره الباشا محمود بن على بن زرقون ، من قادة الذهبى سلطان المغرب ، عند فتح صنغى أواخر القرن السادس عشر الميلادى ، اختاره لكى يجمع فيه أهل تنبكت ، فلما جمهم أقام فيهم مذبحه ( امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف : الفتاش ص ١٤٣ - ١٧٤ ، السعدى ص ١٣٥ وما بعدها ) .

(٦) السعدى ص ٥٦ .

(٧) السعدى ص ٥٧ .

(٨) السعدى ص ٦٢ - ٦٣ ، امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف .

L. Lugard, p. 144; Hogben, p. 33

وقد اشتهر المسلمون في مالي بالمحافظة على أداء صلاة الجماعة في مواعيدها ، وكانت المساجد مليئة دائما بالمصلين (١) . يقول ابن بطوطة في وصف محافظة أهل مالي على صلاة الجماعة :

« وإذا كان يوم الجمعة ، ولم يبكر الانسان الى المسجد ، لم يجد أن يصلى لكثرة الزحام ، وعادتهم أن يبحث كل انسان غلامه بسجادة ، فيسقطها له بموضع يستحقه به ، ثم يذهب الى المسجد ، وسجادتهم من سعف شجر يشبه النخيل ولا ثمرة له ، ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ، ولو لم يكن لأحدهم الا قميص ، غسله ونظفه وشهد به الجمعة (٢) » .

وقد شهد ابن بطوطة موكب السلطان لصلاة العيد ، في مدينة مالي ، وقال يصفه :

« وحضرت بمالي عيدي الأضحى والقطر ، فخرج الناس الى المصلى ، وهو قريب من قصر السلطان ، وعليهم الثياب البيض الحسان ، وركب السلطان وعلى رأسه الطيلسان ، والسودان لا يلبسون الطيلسان (٣) الا في العيد ، ما عدا القاضي والخطيب والفقهاء ، فانهم يلبسون في سائر الأيام ، وكانوا يوم العيد بين يدي السلطان ، وهم يهللون ويكبرون ، وبين يديه العلامات الحمر من الحرير ، ونصب عند المصلى خباء (٤) ، فدخله السلطان وأصلح من شأنه ، ثم خرج الى المصلى ، فقضيت الصلاة والخطبة ، ثم نزل الخطيب وقعد بين يدي السلطان ، وتكلم بكلام كثير ؛ وهناك رجل بيده رمح يبين للناس بلسانهم كلام الخطيب ، وذلك وعظ وتذكير. وثناء على السلطان وتحريض على لزوم طاعته وأداء حقه » (٥) .

ووجود هذا الوسيط لترجمة الخطبة من اللغة العربية الى لغة الماندينجو ، لأن الصلاة وجميع طقوس الاسلام كانت تؤدي باللغة العربية (٦) . وعموما ، كانت الحياة الدينية في مالي كما وصفها الكتاب الأجانب . سليمة (٧) .

(١) L. Lugard, p. 144 ; Hogben, p. 33

(٢) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٢٢ ، انظر كذلك : Le Chatelier, p. 134

(٣) الطيلسان رداء اسود والجمع طيلاسة ، وهو لفظ فارسي معرب ( القاموس

المحيط ) .

(٤) الخباء والجمع أخبية ، خيمة من وبر أو صوف ولا تكون من الشعر .

(٥) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

(٦) الاسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي للمؤلف ص ٣١ وما بعدها .

(٧) Le Chatelier, p. 134 ; Hogben, p. 33

وللمساجد عند أهل مالى حرمة كبيرة ، كما هو مقرر فى مبادئ الإسلام عامة ، وقد أشار ابن بطوطة الى أن أهل مالى كانوا يستجرون بالمساجد ، واذا لم يوجد مسجد قريب ، استجاروا بدار الخطيب (١) ، وحدث أن استجارت زوجة مانسا سليمان بدار الخطيب ، عندما كتشف اشتراكها فى مؤامرة (٢) .

وازدهرت الحركة العلمية فى مالى ، وعرف عن السلطان كنكن موسى أنه استقدم عددا كبيرا من العلماء ولا سيما من مصر والمغرب والأندلس (٣) ، فامتألت بلاده بالعلماء من السود والبيض على السواء ، وكان ازدهار حركة التبادل التجارى بين مالى والحوارج ، من العوامل التى ساعدت على ازدهار الحركة العلمية فى مالى (٤) .

ومن المدن التى اشتهرت بكثرة علمائها : تنبكت ومالى وجنى وجاو (٥) ، حتى انه عندما تدهورت دولة مالى سياسيا بقيت هذه المدن محتفظة بمكانتها العلمية كمراكز كبرى للثقافة الاسلامية فى قلب افريقية .

اشتهرت تنبكت وجاو بصفة خاصة، بأنهما مركزا الدين والتجارة ، وفضلا على الشهرة العلمية حيث عاش العلماء آمنين رافهين ، وبينما كانت فى تنبكت نقص بالعلماء والدراسات الاسلامية ، كانت حروب المائة عام تخرب وتدمر فى أوروبا (٦) . وليس من المستطاع اعطاء صورة كاملة عن ازدهار الحياة العلمية والثقافية فى تنبكت خلال تلك الفترة ، سواء أكان ذلك فى العلوم التى كانت تدرس أم فى الانتاج العلمى لفقهاءها وعلمائها ، فان هذه الكتب قد فقدت أو لم يعثر عليها بعد، ولكن

(١) تحفة النظار ج ٤ ص ٤١٧ - ٤١٩ .

(٢) راجع ما سبق

(٣) Baulin, p. 26

(٤) Le Chatelier, p. 134; Gouilly, p. 55

(٥) Dubois, pp. 205, 221; Le Chatelier, p. 134

(٦) بدأت حرب المائة عام بين فرنسا وانجلترا عام ١٣٣٧م ، حول أملاك انجلترا فى فرنسا ، وتخلل هذه الحرب فترات هدوء ومعاهدات ، ولم تنته الا بطرد الانجليز نهائيا من أملاكهم عام ١٤٥٣ وظهرت خلالها جان دارك ببطولتها . ( راجع :

Orton, Hist. of Europe, pp. 273-277; Luce, France Pendant la Guerre de Cent Ans (Paris, 1892-31); Perroy, La Guerre de Cent Ans Paris, 1946); Pirenne, A Hist. of Europe, pp. 429-46; Oman, Hist. of the Art of War in the Middle Ages, Lond., 1924 etc.



ليو الأفريقي ، عندما زار تنبكت في القرن السادس عشر ، أي بعد تدهور مالي وزوالها كدولة كبيرة وخلال العهد الأخير من امبراطورية صسنتغى الاسلامية ، يقول ان تنبكت ، في وقت زيارته لها ، مليئة بالعلماء والفقهاء والأئمة ، وأن هؤلاء يتمتعون برواتب سخية ، ويعاملون باحترام وتعظيم ، وأشار كذلك الى شدة الطلب على الكتب ، وهي مخطوطة ، اذ كانت تجارة الكتب تدر أرباحا طائلة ، بحيث فاقت الأرباح الناتجة عن العمل في أى تجارة أخرى (١) ، وهذا دليل على عظم الاقبال والتلهف على اقتناء الكتب وعلى كثرة العلماء والمتعلمين . يقول ابن بطوطة : انه رأى كتاب « المدهش لابن الجوزى » عند فربا سليمان ، حاكم احدى المدن فى مالي (١) .

وأهم مركز ثقافى فى تنبكت مسجد سنكرى أو جامعة سنكرى ، ففيها كان العلماء من كل فنون العلوم الاسلامية ، وأكثر العلماء من البيص من قبيلة جدالة بصفة خاصة ، ومن أعظم علمائها المؤرخ الفقيه أحمد بابا الذى نقل عنه السعدى الكثير مما أورده فى تاريخ السودان (٢) . ومن علماء جامعة سنكرى الفقيه الحاج جند القاضى عبد الرحمن بن أبى بكر ، وتولى القضاء « وأخر دولة مالي » ، وهذا الفقيه كما يقول السعدى ، « أول من أمر الناس بقراءة نصف حزب القرآن فى جامع سنكرى ، بعد صلاة العصر وبعد صلاة العشاء ، جاء هو وأخوه السيد الفقيه من بين - وهى ولاته - .. » (٢) .

أما مدينة مالي ، العاصمة ، فكانت كذلك ، تضم طائفة كبيرة من العلماء ، وكان فيها حى خاص بالبيص ، وكبيرا فقهاء مالي عند زيارة ابن بطوطة لها ، هما : محمد بن الفقيه الجزولى وشمس الدين النقويشى المصرى . ومن الفقهاء الذين التقى بهم ابن بطوطة فى مالي : الفقيه المقرئ عبد الواحد صهر الجزولى (٤) .

ومن المدن أو الممالك التى خضعت لمالي ، وضرب بها المثل فى كثرة علمائها ، مدينة جنى أو مملكة جنى فيقال ان ملكها حين أسلم فى القرن

(١) ليو الافريقي : الكتاب السابق ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢) الذهب المسبوك ص ١١٣ ، تحفة النظار ج ٤ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ،

L. Lugard, p. 147; Davidson, pp. 91-92

Hogben, p. 46; Bovill, p. 90; De Vaux, p. 776

(٣) تاريخ السودان ص ٢٧ .

(٤) تحفة النظار ج ٤ ص ٣٩٧ - ٣٩٨ ، راجع الفصل الخامس .

الثاني عشر الميلادي أمر بحشر العلماء في بلاده ، فاجتمع له فيما يقوله السعدي نحو ٤٢٠٠ عالم وأسلم على أيديهم (١) .

وقد وجدت المدارس الكثيرة في جميع المدن المشهورة بجوار المساجد مثل مدارس زاغة ، ويقول ابن بطوطة عن أهل هذه المدينة انهم « قدماء في في الاسلام ولهم ديانة وطلب علم » (٢) .

وانصب الاهتمام في مناهج التعليم في مالي ، وكذلك في غيرها من بلاد السودان ، على حفظ القرآن أولا ، حتى كان أهل مالي يجعلون القيود لأولادهم ولا يطلقونهم الا بعد أن يحفظوا القرآن (٣) .

وبجانب الاهتمام بالقرآن ، هناك الاهتمام بلغة القرآن ، وهي اللغة العربية ، التي اكتسبت مسحة من التقديس عند مسلمي غربي افريقية عامة ، وكانت جميع الوثائق الهامة تكتب باللغة العربية ، كما كانت العربية لغة الحكومة والمراسلات الدولية ولغة التجارة ، أي أنها كانت اللغة السائدة *Lingua Franca* . ويقول تاماس أرنولد :

« غدت اللغة العربية لغة تخاطب بين قبائل نصف القارة الافريقية » (٤) ويقول ديشان :

« ولم تكتف قبائل الممالك الافريقية بدخول الاسلام ، بل طبعت بطابع عربي بسبب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد » (٥) .

وهناك خصائص معينة في نطق الحروف العربية بين مسلمي غربي افريقية (٦) ، وأما طريقة الكتابة ، فهي طريقة المغاربة ، يقول القلقشندي : « وكتابتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة ، وقد ورد الى السلطان الناصر كتاب من موسى بالخط المغربي (٧) » .

(١) راجع الفصل الثاني وانظر السعدي ص ١٢ - ١٣ .

(٢) راجع الفصل الخامس وانظر تحفة النظار ج ٤ ص ٣٩٥ ، انظر كذلك :

Cooley, p. 103 ; L. Lugard, p. 144

(٣) راجع الفصل الثاني وانظر : تحفة النظار ج ٤ ص ٤٢٢ - ٤٢٣ ، الاسلام

واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي للمؤلف ص ٢٨ وما بعدها .

(٤) الدعوة الى الاسلام ( الترجمة العربية ) ص ٣٤٩ وما بعدها .

(٥) الديانات في أفريقيا السوداء ص ١٣٢ .

(٦) انظر الاسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي للمؤلف ص ٣٤

وما بعدها .

(٧) صيغ الأعتى ج ٥ ص ٢٩٨ ، انظر كذلك : مسالك الأبصار ج ٢ ق ٣ ورقة

هذا قد تركت اللغة العربية أثرها في اللغات المحلية ، ولا سيما لغات الهوسا وصنغى والفولانيين ، فاستخدمت اللغة العربية في كتابة لغة الهوسا منذ زمن مبكر ، كما استخدمت في كتابة اللغة الفولانية ولا تزال الى اليوم (١) . ولا يزال الى اليوم آلاف الكلمات العربية المستخدمة في بلاد غربى افريقية ، في شتى مظاهر الحياة : الدينية والثقافية والاقتصادية ، وفي الحرب والسياسة ونظم الحكم والحياة الاجتماعية، وحتى في أسماء الاعلام والمدن والحيوانات والنباتات (٢) .

أى أن اللغة العربية ، وهى لغة عقيدة وحضارة قامت بالدور الذى قامت به اللغة اللاتينية فى أوروبا الوسيطة ، لكنها تفوقت على اللاتينية، من حيث سعة الانتشار والبقاء بسبب مكانتها المقدسة، لأنها لغة القرآن والعقيدة الاسلامية ، فلم تزل أمام اللغات المحلية كما حدث للغة اللاتينية، وبقيت كذلك حتى فى عصر الاستعمار الأوروبى ، بالرغم من زوال السلطة للدول الاسلامية فى غربى افريقية . يقول الرحالة الانجليزى فرانسس مور Fr. Moore عام ١٧٣١ م بأنه وجد معظم أهل غمبيا البريطانية يتكلم اللغة العربية ، وأن المامهم بها يفوق المام أهل أوروبا الوسيطة باللغة اللاتينية (٣) .

ولم تخل دولة مالى من المصريين العاملين فى التجارة أو فى ميادين العلم المختلفة ، وحدث أن مرض ابن بطوطة وهو فى مالى على أثر تناوله طعام وطنى ، فطلب دواء من بعض المصريين ، فجىء له بدواء يسمى « بيدزا » وهو عروق نبات مخلوطة بالأينسون والسكر ، فشربه وشفى ، وعلق على ذلك بقوله : وعافانى الله من الهلاك، وفى هذه العبارة إشارة الى أن بعض صحبه قد مات من تناوله نفس الطعام (٤) .

وفى مجال الفنون والعمارة ، كان أشهر شخصية لها أثرها فى تطور فن العمارة فى مالى ، شخصية المهندس الشاعر القرطبى أبى اسحاق ابراهيم الساحلى ، فهو الذى أشرف على عمارة مساجد جاو وتنبكت ، وأدخل ائبناء بالطوب المحروق ، وبنى قاعة الاجتماعات بقصر مانسا موسى

(١) الاسلام واللغة العربية للمؤلف ص ٣٦ وما بعدها .

(٢) انظر معجم الألفاظ والمصطلحات بالملاحق .

(٣) الاسلام واللغة العربية للمؤلف ص ٣٣ .

(٤) تحفة النظر ج ٤ ص ٤٢٣ ، راجع ما سبق

في مالى من الحجر والجبس وزخرفها بالخشب المطعم بالذهب والفضة (١) . كذلك أدخل الساحلى نظام السقوف المسطحة للمنازل والمآذن الهرمية الشكل (٢) .

وكانت المباني في مالى قبل هذا التطور الذى أدخله الساحلى ، كما يصفها العمرى والقلقشندى :

« مبانيها - أى مالى - متفرقة ، وتبنى بالبالستا ، وهى أن يبنى بالطين بقدر ثلثى ذراع ثم يترك حتى يجف ، ثم يبنى عليه مثله ، وكذلك حتى ينتهى (٣) ، وسقوفها بالخشب والقصب ، وغالبها قباب أو جملونات كالآقباء ، وأرضها تراب مرمل ، وليس لها سور » (٤) .

ومن الفنون التى رآها ابن بطوطة فى رحلته ، زخرفة القرع المستخدمة عند أهل مالى فى صنع الجفان ، فهم ينقشونها « نقشا حسنا » كما يقول ابن بطوطة (٥) .

(١) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٢١ ، السعيدى ص ٨ ،  
Hogben, p. 31; L. Lugard, p. 127; Spitz, p. 62; Davidson, p. 91;  
Le Chatelier, p. 133.

(٢) راجع ما سبق وانظر :  
Davidson, p. 91; L. Lugard, p. 126; Labouret, p. 203; Spitz, p. 62  
(٣) يشبه ما هو معروف فى بعض ريف مصر باسم الطوف .  
Blyden, p. 206  
(٤) مسالك الابصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٥ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٣  
(٥) تحفة النظار ج ٤ ص ٣٩٣ .

## الحياة الاجتماعية

طابع الحكم واثره - مكانة السلطان في أعين الرعايا -  
كيفية دخول القصر السلطاني - نظام التحية - كيفية  
مخاطبة السلطان - ظاهرة التتريب في مجلس السلطان -  
الأثر الشرقي والإسلامي : الشعار والرنك وهيئة ركوب  
السلطان - هيئة جلوسه في المشور - جلوسه في القبة -  
مواكب الأعياد وألعاب التسلية - تقاليد الأكل - سطحية  
الفهم للدين الإسلامي - جوارى السلطان - الاختلاط  
بين الجنسين - بعض العادات السيئة - خروج الخدم  
والجوارى عاريات - الأزياء وتنوعها •

لما كان طابع الحكم في دولة مالي استبداديا مطلقا ، فقد تمتع  
ملوكها بمنزلة رفيعة في أعين الرعايا ، تكاد تقرب من درجة التقديس  
والعبودية • يقول ابن بطوطة :

« والسودان أعظم الناس تواضعا للوكهم وأشدهم تذلا له ،  
ويحلفون باسمه ، فيقولون - بصدد منسا سليمان - « منسا سليمان  
كى » (١) •

وإذا خطر لأحد من الرعايا ، كائنا من كان ، أن يدخل قصر  
السلطان ، لأى أمر ، فلا بد من خلع نعليه والا « قتل بلا عفو ، عامدا  
أو ساهيا » كما يقول القلقشندي (٢) •

(١) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٠٧ •

(٢) صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٠٠ •

والتحية التي يؤديها للسلطان معقدة ، فعلى الداخل أن يقف فترة أمام السلطان ، ثم يرفع يده اليمنى حتى تصل الى قريب أذنه ، بعد أن يكشف رأسه ، ثم يركع ، وتكون يده اليسرى مبسوطة فوق فخذه وتحت مرفق يده اليمنى ، وتشبه هذه التحية ما عرف عند المغول باسم « ضرب الجوك » (١) .

يقول أمير حاجب :

« وقد رأيت هذا عند خدمتهم للسلطان موسى ، لما قدم الديار المصرية » وإذا دعا السلطان أحدا من رعاياه ، عند جلوسه بالقبة ، جرت العادة أن ينزع المدعو ثيابه ، ويستبدل ثيابا خلقه ، ثم ينزع عمامته ويلوثها بالأوساخ وحينئذ يكون قد تهيأ تماما للاقتراب من السلطان ، فإذا ما أقبل عليه ، رفع ثيابه وسراويله الى نصف ساقه ، ثم يتقدم وهو في غاية الذلة والمسكنة ، ويضرب الأرض بمرفقيه ضربا شديدا ، ثم يقف كالراكع ، يستمع الى ما يلقى عليه السلطان عليه من أوامر (٢) .

وإذا حدث وتكلم السلطان ، تحتم على جميع الحاضرين في مجلسه أن يخلعوا عمامتهم ويكشفوا رءوسهم ، وبعد ذلك ينصتون الى قوله (٣) وقد يحدث أن يعطس أحد في مجلسه ، وجزاؤه الضرب المؤلم ولا يسامح أحد في ذلك .

يقول العمري :

« فان بغت أحد منهم العطاس ، انبطح على الأرض وعطس حتى لا يعلم به ، أما الملك ، فانه اذا عطس ، ضرب الحاضرون بأيديهم على صدورهم (٤) » .

وربما يتكلم بعض الحاضرين بين يدي السلطان ، ذاكرا أفعاله وخدماته لسيده ، فإذا كان صادقا فيما يقول ، وخطر لأخذ من الجلوس أن يؤمن على كلامه ، نزع قوسه ثم أرسلها (٥) ، كما يفعل في حالة

(١) صبح الأعشى ج٥ ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، ج ٢ ص ٦٠٥ حاشية ٣ .

(٢) صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٠١ .

(٣) تحفة النظر ج ٤ ص ٤٠٨ .

(٤) الدر الكامنة ج ٤ ص ٣٨٣ ، الذهب المسبوك ص ١١٣ ، تحفة النظر ج ٤

ص ٤٠٨ .

(٥) مسالك الإصدار ج ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٨ .

نزع قوسه مدحا استعدادا للرمي .

الرمي (١) . حدث مثل هذا التقليد عند الجرمان الأولين ، مما يدل على شرف العمل العسكري (٢) .

فاذا حاز حديث المتكلم قبولا لدى السلطان واستحق الشكر السلطاني ، أو انعاما ساميا أو مجرد وعد بالجزاء كشف المتكلم ثيابه عن ظهره ورمى بالتراب على رأسه وظهره ، يقول ابن بطوطة في وصف هذا المظهر : « كما يفعل المغتسل بالماء ، وكنت أعجب منهم كيف لاتعمى أعينهم » (٣) . وربما قام بعملية التتريب غلمان الشخص المنعم عليه أو أحد من أصحابه .

وهناك « رماد » موضوع في آخر مجلس الملك ، معد لهذا الغرض ، وبعد ذلك ، يعود الشخص ويتمرغ على الأرض حتى يصل الى بين يدي الملك «ويضرب جوكا» آخر بيده ، ثم يقوم وهذا عندهم ، كما يقول ابن بطوطة ، من الأدب (٤) .

ولقد حافظ أهل مالي على أداء مثل هذه التحية ، حتى للملوك الأجانب ، اذا مابعثوا في مهمات أو سفارات من قبل سلطان مالي . ذكر ابن بطوطة ، أنه « لما قدم الحاج موسى الونجراني (٥) ، رسولا من عند مانسا سليمان ، الى مولانا أبي الحسن رضى الله عنه (٦) . كان اذا دخل المجلس الكريم ، حمل بعض ناسه معه قفة تراب ، فيترب اذا قال له مولانا كلاما حسنا ، كما يفعل ببلاده (٧) » .

هذه التقاليد تكاد تقتصر على مالي وغيرها من الممالك التي قامت بالسودان الأوسط والغربي ، نتيجة السلطة التي تمتع بها ملوكها وحكامها ، لكن هناك تقليد أخرى شوقية وإسلامية بصفة خاصة ، نقلت الى مالي مع الإسلام ونتيجة للاتصال التجاري والثقافي بالعالم الإسلامي (٨)

(١) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٠٨ .

(٢) تآكيتوس والشعوب الجرمانية للمؤلف ص ٥٧ - ٥٨ .

(٣) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٠٨ .

(٤) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٠٩ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٠١ .

(٥) الونجراني أى من ونقاره Wangara

(٦) هو السلطان أبو الحسن على بن عثمان ، سلطان بنى مرين فى فاس ( ٧٣٢ -

٧٤٩ هـ = ١٣٣١ - ١٣٤٨ م ) .

(٧) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٠٩ .

(٨) راجع الفصل الثانى وانظر : Johnston, pp. 19-26.

من هذه التقاليد ، ما يتعلق بأمور السلطنة من شعار ومواكب وجلوس ووسائل تسلية . فشعار سلطان مالى ، كما يقول أمير حاجب : «أعلام وهى ألوية كبار جدا تنشر عليه حيث يركب، ورنكة (١) أصفر فى أرض حمراء» (٢) .

وفى هيئة ركوب سلطان مالى ، جرت العادة أن « يحمل على رأسه الجتر - أى المظلة - راكب ، وينشر على رأسه علم ، وتضرب أمامه الطنابير والطبول والبوقات ، بقرون لهم فيها صناعة محكمة (٣) » .

وعن هيئة جلوس السلطان فى المشور ، يخرج مانسا فى موكب رائع ، يقول ابن بطوطة :

« ويجلس أيضا فى بعض الأيام بالمشور ، وهناك مصطبة تحت شجرة لها ثلاث درجات يسمونها البنبي ، تفرش بالحرير وتجعل المخاد عليها ، ويرفع الشطر ، وهو شبه قبة من الحرير ، وعليه طائر من ذهب على قدر البازى .

« ويخرج السلطان من باب فى ركن القصر وقوسه بيده وكنانته بين كتفيه، وعلى رأسه شاشية ذهب مشدودة بعصابة ذهب، لها أطراف مثل السكاكين ، رفاق طولها أزيد من شبر . وأكثر لباسه جبة حمراء موبرة من الثياب الرومية التى تسمى المطنفس .

ويخرج بين يديه المغنون بأيديهم قنابر - لعل المراد صور على شكل طائر القبرة من ذهب (٤) - الذهب والفضة ، وخلفه نحو ثلثمائة من العبيد أصحاب السلاح . ويمشى مشيا ريذا ، ويكثر التأتى، وربما وقف ينظر الى الناس ، ثم يصعد برفق كما يصعد الحطيب المنبر .

« وعند جلوسه ، تضرب الطبول والأبواق والأنفار ، ويخرج ثلاثة من العبيد مسرعين ، فيدعون النائب والفراوية ، فيدخلون ويجلسون ، ويؤتى بالفرسين والكبش معا .

(١) الرنك لفظ فارسي معناه اللون ، واستخدم بمعنى الشعار أو الرمز الذى يتخذه الأمير أو السلطان ، وعرفت الرنوك فى مصر الايوبية والملوكية ، ودلت عند الأيوبيين والمماليك على الوظيفة التى يشغلها الأمير أو التى كان يشغلها ، ( راجع دولة المماليك والجراسة للمؤلف ص ٣٢٤ - ٣٣٩ ) .

(٢) مسالك الابصار ج ٤ ق ٢ ورقة ٥٠٢ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٠١ .

(٣) صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٠١ .

(٤) عن المهندس .



« ويقف دونما - المترجم - على الباب ، وسائر الناس فى الشارع  
تحت الأشجار » (١) .

\*\*\*

وفى أكثر الأوقات ، يجلس السلطان فى القبة ، ولها من جهة  
المشور ، كما يقول ابن بطوطة ، طيقان ثلاثة من الخشب ، مغطاة بصفائح  
الفضة ، وتحتها ثلاثة مغطاة بصفائح الذهب ، وهى فضة مذهبة .

« وعليها ستور ملف ، فاذا كان يوم جلوسه بالقبة ، رفعت  
الستور ، فعلم أنه يجلس . فاذا جلس ، أخرج من شباك أحد الطيقان  
( شراية ) حرير ، قد ربط فيها منديل مصرى مرقوم ، فاذا رأى الناس  
المنديل ، خرجت الأبطال والأبواق .

« ثم يخرج من باب القصر نحو ثلاثمائة من العبيد فى أيديهم بعض  
القسي ، وفى أيدي بعضهم الرماح الصفار والدرق ، فيقف أصحاب  
الرماح منهم ، ميمنة وميسرة ، ويجلس أصحاب القسي كذلك ، ثم يؤتى  
بفرسين ملجمين ومعهما كشبان ، يذكرون أنهما يتفغان من العين .

« وعند جلوسه ، يخرج ثلاثة من عبيده مسرعين ، فيدعون نائبه  
فتيجا موسى - وهو نائب منسا سليمان - وتأتى الفراربه ، وهم الأمراء ،  
ويأتى الخطيب والفقهاء فيقعدون أمام السلحدارية ، يمينة ويسرة فى  
المشور ، ويقف دونما المترجمان على باب المشورة ، وعليه الثياب  
انفاخرة ، وعلى رأسه عمامة ذات حواشى ، لهم فى تعميمها صنعة بديعة ،  
وهو متقلد سيفا ، غمده من الذهب ، وفى رجليه الخف والمهاميز ،  
ولا يلبس أحد ذلك اليوم خفا غيره ، ويكون فى يده رمحان صغيران ،  
أحدهما من ذهب والآخر من فضة ، وسنانهما من الحديد .

« ويجلس الأجناد والولاة والفتيان وغيرهم خارج المشور ، فى  
شارع متسع فيه أشجار ، وكل فرارى ، بين يديه أصحابه بالرمح  
والقسي والأبطال والأبواق ، وأبواقهم من أنياب الفيلة ، وآلات الضرب  
المصنوعة من القصب والقرع ، ولها صوت عجيب ، وكل فرارى له كنانة  
قد علقها بين كتفيه ، وقوسه بيده ، وهو راكب فرسه ، وأصحابه بين  
مشاة وركبان .

« ويكون بداخل المشور ، تحت الطيقان ، رجل واقف ، فمن أراد أن يكلم السلطان ، كلم دونما ، ويكلم دونما ذلك الواقف ، ويكلم الواقف السلطان (1) » .

\*\*\*

وفج الأعياد الكبرى مثل عيدي الفطر والأضحى ، هناك مواكب لاتقل روعة وبهاء عن موكبيه عند جلوسه بالمشور وجلوسه بالقبة ، يقول ابن بطوطة :

« يجلس السلطان في أيام العيدين ، بعد العصر على البني وتأتي السلاحدارية بالسلاح العجيب من تراكش الذهب والفضة والسيوف المحلاة بالذهب وأعمادها منه ، ورماح الذهب والفضة ودبابيس البلور .

« ويقف على رأسه أربعة من الامراء يشردون الذباب ، وفي أيديهم حلية من الفضة تشبه ركاب السرج ، ويجلس الفرارية والقاضي والخطيب على العادة ، ويأتي دونما الترجمان بنسائه الأربع وجواريه ، رهن نحو مائة ، عليهن الملابس الحسان ، وعلى رعوسهن عصائب الذهب والفضة ، فيها تفافخ ذهب وفضة ، وينصب لدونما كرسى يجلس عليه ، ويضرب الآلة التي هي القضيبي ، وتحتها قريعات ، ويفغى بشعر يمدح فيه السلطان ، ويذكر غزواته وأفعاله ، ويفغى النساء والجوارى معه ، ويلعبن بالقسي ، ويكون معهن نحو ثلاثين من غلمانهن ، عليهن جباب - جمع جبة - الملف الحمر ، وفي رعوسهم الشواشي البيض - جمع شاش - وكل واحد فيهم متقلد طبله يضربه ، ثم يأتي أصحابه من الصبيان فيلعبون ويتقلبون في الهواء ، ولهم في ذلك رشاقة وخفة بديعة ، ويكون بالسيوف أجمل لعب ، ويلعب دونما بالسيوف لعبا بديعا .

« وعند ذلك ، يأمر السلطان له بالاحسان ، فيؤتى بصرة فيها مائتا مثقال من التبر ، ويذكر له ما فيها على رعوس الناس ، وتقوم الفرارية فينزعون في قسيهم شكرا للسلطان . وبالغد يعطى كل واحد منهم دونما عطاء على قدره .

« وفي كل يوم جمعة بعد العصر ، يفعل دونما مثل هذا الترتيب الذي ذكرناه » (2) .

(1) تحفة النظار ج 4 ص 403 - 405 .

(2) تحفة النظار ج 4 ص 411 - 413 .

وإذا كان يوم العيد ، وقد أتم دوئها لعيه ، جاء الشعراء وقد دخل كل واحد منهم في جوف صورة مصثوعة من الريش تشبه الشقشاق (١) وجعل بها رأس من الخشب ، له منقار أحمر ، كأنه رأس الشقشاق .

« يقفون بين يدي السلطان بتلك الهيئة المضحكة ، فينشدون أشعارهم ، وذكر لي ، أن شعرهم نوع من الوعظ ، يقولون فيه للسلطان: ان هذا النبي الذي تجلس عليه ، جلس فوقه من الملوك فلان ، وكان من أحسن أفعاله كذا ، وفلان وكان من أفعاله كذا ، فافعل أنت من الخير ما يذكر بعدك .

« ثم يصعد كبير الشعراء على درج النبي ، فيضع رأسه في حجر السلطان ، ثم يصعد إلى أعلى النبي ، فيضع رأسه على كتف السلطان الأيمن ، ثم كتفه الأيسر ، يتكلم بلسانهم ثم ينزل .

« وأخبرت أن هذا الفعل لم يزل قديما عندهم ، قبل الإسلام فاستمروا عليه (٢) » .

ولم تعجب هذه التقاليد ابن بطوطة ، واعتبرها من العادات السميئة التي توجد بمآلى (٣) .

وقد لاحظ والى مصر ، على السلطان موسى وهو بالقاهرة ، أنه لا يأكل الا منفردا (٤) . وحدث العادة خلال شهر رمضان في مآلى أن يحضر أمراء السلطان إلى قصره ليفطروا به ، ولكن على كل أمير أن يحضر طعامه معه من منزله (٥) .

على أن الغريب حقا ، هو سطحية القهيم للدين الإسلامى وأحكامه ، بدليل مارواه العمرى والقلقشندى عن تقليد أشتهر في مآلى .

« من عادة أهل مملكته ، أنه إذا نشأ لأحد منهم بنت حسناء ، قدمها له أمة موطوعة ، فيملكها بغير تزويج ، مثل ملك اليمن » . وقد سأل ابن أمير حاجب ، السلطان موسى في ذلك ، وقال له : ان هذا لا يدخل لمسلم شرعا . فقال موسى : ولا للملوك ؟

(١) لعله الشقراق ، وهو طائر مرقط بحجرة وخضرة وبياض (عن المهذب) .

(٢) تحفة النظار ج ٤ ص ٤١٣ - ٤١٤ .

(٣) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٢٤ .

(٤) صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٠١ .

(٥) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٢٤ .

أجابه : ولا للملوك وإرسال العلماء . فقال الملك : والله ما كنت أعلم ذلك (١) .

وعن أبي عبد الله بن خديجة الكومى (٢) بصدد حديثه عن مانسا موسى : « والذى يحمل آلتة وحربته من الوصائف اثنتا عشر ألف لابسات أقبية الدباج والحريير اليماني » (٣) .

\* \* \*

وقد لاحظ ابن بطوطة خلال رحلته في مالي ، أن الاختلاط بين الخنسين أمر مألوف ، وأنه في بعض البلاد تسمو مكانة المرأة عن مكانة الرجل ، ومن أقواله بصدد أهل ابوالاتن ، وأغلب سكانها من قبيلة مسوفة البربرية ، وكان قد مكث بها خمسين يوماً عام ٧٥٣ هـ - ١٣٥٢ م :

« ونسائهم الجمال الفائق ، وهى أعظم شأنًا من الرجال » (٤) ،

ثم قال :

« وشأن هؤلاء القوم عجيب ، وأمرهم غريب ، فأما رجالهم فلا غيرة لديهم ، ولا ينسب أحدهم إلى أبيه ، بل ينسب لحاله ، ولا يرث الرجل إلا أبناء أخته دون نبيه ، وذلك شيء ما رأيته في الدنيا إلا عند كفسار بلاد المبار من الهنود ، وأما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن ، وأما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال ولا يحتجبن ، مع مواظبتهم على الصلوات ، ومن أراد التزوج منهن تزوج ، لكنهن لا يسافرن مع الزوج ، ولو أرادت إحداهن ذلك لمنعها أهلها ، والنساء هناك يكون لهن الأصدقاء والأصحاب من الرجال الأجانب ، وكذلك للرجال صواحب من النساء الأجنبية ، ويدخل أحدهم داره ، فيجد امرأته ومعها صاحبها ، فلا ينكر ذلك (٥) » .

وروى ابن بطوطة بعض الحوادث ، مثل دخوله على قاضي ابوالاتن ، فوجد معه امرأة أجنبية ، ودخل مرة على أبي محمد سنداكان المسوفى ،

(١) مسالك الأبحار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٢ ، صبح الأعمى ج ٥ ص ٢٩٦ .

(٢) الكومى هذا من ولد عبد المؤمن ، كان يدعو في المغرب للمهدي المنتظر من آل علي بن ابي طالب ، وقد لقي مانسا موسى في طريق عودته من الحج وطلب منه المساعدة ضد أعدائه (العبر ج ٦ ص ٢٠٠) .

(٣) العبر ج ٦ ص ٢٠١ .

(٤) تحفة النظار ج ٤ ص ٣٨٧ .

(٥) تحفة النظار ج ٤ ص ٣٨٧ - ٣٨٩ .

وكان قد قدم صحبته ، فوجد مع امرأته صاحبها ، فلامه ولم يزره بعد ذلك (١) .

وفى العاصمة مالى ، شهد ابن بطوطة الخدم والجواري يظهرن عرايا ، قال :

« ولقد كنت أرى فى رمضان كثيرا منهن على تلك الصورة ، فان عادة الفرارية ، أن يفتروا بدار السلطان ، ويأتى كل واحد منهم بطعامه ، تحمله العشرون فمن فوقهن من جواريه وهن عرايا (٢) » .

ومما أوجب تقززه ، أن كثيرا من أهل مالى يأكلون الجيف والكلاب والحميم (٣) . وفى هذا دليل على مدى البون الشاسع بين الطبقة الحاكمة وأعوانها ، وما فيه من نعمة وترف ، وبين ما عليه الطبقات الدنيا من عوز وحاجة .

وأما الأزياء فى مالى ، فالغالب فى أكثر بلادها الملابس المصرية ، وهذه لا تتوفر الا لدوى اليسار ، كما فى ايواتن ومالى ، وفى بعض البلاد يلبس عامة الناس الجلود ، ويلبس الخاصة الاكسية والأزر كما فى جاو ، وفى تكرور تلبس العمامة الصوف ، وعن الدكالى أن أهل مالى عامة : لباسهم عمائم بحنك مثل العرب ، وقماشهم بياض من ثياب قطن يتسج عندهم فى غاية الرقة والल्प ، وتسمى « الكميصا » ، ولبسهم شبيه بلبس المغاربة : جباب ودرايع بلا تفريج « (٤) ، ويلبس الفقهاء منهم عمامة على نسق العمامة الشرقية ، مع ترك عذبة تتدلى على ظهره (٥) .

وفيما يتعلق بزى وحلية رجال الجيش ، يقول الدكالى : ان الأبطال من فرسانهم « تلبس أساور من ذهب ، فمن زادت فروسيته لبس معها أطواقا من ذهب ، فان زادت لبس مع ذلك خلاخل من ذهب ، وكلمسا زادت فروسية البطل ، ألبسه الملك سراويل متسعة ، ويزاد فى كبر سراويله بزيادة فروسيته ، وسراويلهم ضيقة أكمام الساقين ، متسعة الشرج (٦) .

(١) تحفة النظار ج ٤ ص ٣٨٩ - ٣٩٠ .

(٢) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٢٤ .

(٣) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٢٤ .

(٤) نزهة المشتاق ص ١١ - ١٢ ، تحفة النظار ج ٤ ص ٣٨٧ ، صبح الأعشى ج ٥

ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ، مسالك الأبرار ج ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٩ .

(٥) Blyden, pp. 2-6.

(٦) مسالك الأبرار ج ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٩ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٩ .

- ه -

### العلاقات الخارجية

شهرة مالى فى الخارج - اهتمام أوروبا وظهور مالى زمن  
كنكن موسى فى خرائط العالم - الصلات مع الجيران  
الافريقيين : الصومو - جنى - صنغى - الطوارق -  
موش - الفولانيون - العلاقات مع دول المغرب - العلاقات  
مع مصر : الصلات القديمة - أهمية موقع مصر ومركزها  
الدينى والسياسى والثقافى - شواهد حية على قعم  
العلاقة - العلاقات التجارية والثقافية - الصيغ الخاصة  
فى الدواوين المملوكية لمخاطبة ملوك مالى - العلاقة مع  
الدول الأوروبية .

ان التوسع العظيم فى تجارة مالى ونشاطها زمن كنكن موسى ، بصفة  
خاصة ، يعزى الى نشاط هذا السلطان وسعيه الدائب فى دعم العلاقات  
الخارجية وتميبتها ، ويعتبر مانسا موسى أول من حطم الستار الحديدى ،  
وهو حاجز اللون والتفرقة العنصرية ، فيما نسميه حديثا ، حتى وصف  
السلطان موسى بأنه « صديق البيض » (١) .

ثم ان شهرة كنكن موسى ، وموكب حجة الاسطورى الذى بهتر  
أوروبا ، وكانت حافزا قويا لدفع أوروبا على التفكير الجدى فى معرفة قلب  
أفريقية والوصول اليه ، حيث الذهب والثروات الاسطورية ، ووضح  
هذا فى خرائط العالم Mappae Mundi التى صدرت فى أوروبا منذ القرن

(١) تحفة النظر ج ٤ ص ٤٠٩ .

Davidson, p. 90 ; Okafor, p. 28 ; Hogben, p. 32 ; Bovill, p. 91

الرابع عشر الميلادي (١) ، وكان هذا التفكير وهذه المحاولة ، بجوانب عوامل أوربية محلية أخرى ، هي التي انتهت بحركة الكشف الجغرافي وما أعقبها من حركة استعمارية كبرى في أفريقية .

حقيقة حال المسلمون من تجار العرب والبربر دون اتصال أوروبا المسيحية بقلب افريقية اتصالا مباشرا ، لأسباب دينية وتجارية ، ولكن هذه الحيلولة لا تعنى انزال قلب افريقية تجاريا عن العالم الأوربي المسيحي ، هذا مع بقاء ونمو الاتصال المباشر بين هذا الجزء من القارة وبين العالم الاسلامي ، بما فيه اسبانيا الاسلامية في أوروبا .



كانت علاقة مالي بالدول الافريقية المجاورة تجارية في أساسها ، عمادها تبادل المنفعة ، ولكن وجدت العلاقات السياسية والحربية ، وأسأسها مطامع مالي في التوسع الحربي على حساب جيرانها ، ونشر الدين الاسلامي بين الوثنيين .

بدأت مالي في فجر تاريخها ، بالاصطدام مع امبراطورية الصوصو الوثنية ، وهذه حطمتها زمن ماري جاطه وضمت أملاكها ، كما ضمت ما تبقى من أملاك امبراطورية غانة الاسلامية (٢) .

ومن الممالك الهامة ذات العلاقات التجارية والثقافية مع مالي ، مملكة جنى ، وهذه وان فشلت مالي في اخضاعها وضمتها الى أملاكها (٣) ، الا أنها لم تكن منعزلة عن مالي ، ولا سيما أن ملوك جنى كانوا من أبناء عمومة الماندنغو ملوك مالي ، وكانت جنى من الممالك المزدهرة تجاريا وثقافيا (٤) .

أما صنغي ، فكانت زمن ازدهار مالي دويلة خاضعة لها ، حتى اذا قويت تدريجيا ، جاء أول صدام لها مع مالي ، بل كان خطر صنغي أبرز الأخطار التي أحديقت بمالي من بعد عصر السلطان كبتكن موسى ، وبسبب

(١) البرتغاليون في غرب افريقية للمؤلف ص ١٦ وما بعدها Bovill p. 91 .

راجع الفصل الرابع .

(٢) راجع الفصل الأول .

(٣) راجع الفصل الرابع .

(٤) السعدي ص ١٢ - ١٥ .

خطر صنغى على مالى خلال النصف الثانى من القرن الخامس عشر  
الميلادى ، كانت استغاثات مالى بالعثمانيين والبرتغاليين (١) .

وهناك الطوارق ومؤش والفولانيون ، فأما الطوارق ، فقد أكثروا  
من غزو مالى ، وانتزعوا منها مدينة تنبكت وتحكموا فيها نحو أربعين  
سنة ( ١٤٣٣ - ١٤٦٨ م ) ، ولم تنجح مالى فى استردادها منهم ، حتى  
تمكنت صنغى من إبادتهم (٢) .

وأما قبائل موش ، فلم يقلوا عن الطوارق خطرا على مالى ، ولما كانوا  
على الوثنية ، فانهم قاوموا جميع الدول الاسلامية الافريقية المجاورة ، ولم  
يخضد شوكتهم سوى صنغى .

وفى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر ، بدأ  
خطر الفولانيين على مالى ، وبسبب الضغط الفولانى وأحلافهم من  
التكاررة ، استغاثت مالى مرة أخرى بالبرتغاليين عام ١٥٣٤ م (٣) .

على أن هذا الصراع المستمر والمتقطع ، لم يحل دون التبادل  
التجارى حتى مع البلاد الوثنية جنوب مالى ، أو بلاد الكفار ، على قول  
ابن بطوطة ، وقد وصلت متاجر مالى الى امبراطورية البرنو الإسلامية (٤) .

ولعل أهم العلاقات التجارية والثقافية والسياسية ، ما قام بين مالى  
ودول المغرب ومصر ، فقد وفد المغاربة على مالى وجميع بلاد السودان  
الاورسط والغربى بأعداد ضخمة للتجارة ولتنشر الثقافة العربية الإسلامية ،  
وكثيرا ما أوفد ملوك السفارات لتدعيم هذه العلاقات ، منها سفارة  
بعث بها كنكن موسى عام ١٣٣٧ لتهنئة السلطان أبى الحسن ملك مراكش  
من بنى مرين بمناسبة فتحه تلمسان ، وسفارة جاءت الى مالى زمن منسا مغا  
ابن منسا موسى ، ردا على السفارة السابقة ، ثم كانت رحلة ابن بطوطة

(١) راجع الفصل السادس وانظر :

Spitz, p. 64 ; Fage, p. 27 ; Labouret, p. 241 ; Johnston, p. 118 ;  
Bovill, p. 105

(٢) امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف ، راجع الفصل السادس وانظر : السعدى

ص ١٤ - ١٥ ،

Le Chatelier, p. 88 ; Reeve, p. 33 ; Gouilly, p. 57 ; L. Lugard, p.  
175.

(٣) امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف ، راجع الفصل السادس .

(٤) امبراطورية البرنو الاسلامية للمؤلف ، انظر : تحفة النظار ج ٤ ص ٤٤١ -

Yver, Bornu (Encyc. of Islam, Vol. I), pp. 751-752 ، ٤٤٢



زمن مانسا سليمان ، وكان فى الواقع سفيرا من قبل السلطان أبى عنان فارس سلطان مراکش (١) .

وبالنسبة الى مصر ، هناك العلاقات التجارية والثقافية والصداقة التقليدية بين مصر ومالى ، وقد توطدت هذه الصداقة ودعمت بصفة خاصة ، منذ حج السلطان كنگن موسى عام ١٣٢٤ م زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

ولكن علاقة مصر ببلاد غربى افريقية قديمة ، ترجع الى ما قبل الميلاد ببضعة قرون ، حتى ان الكثير من النباتات والحيوانات والصناعات ، وصل من مصر الى جميع بلاد غربى افريقية ، بما فيه مالى .

يقول جونستون Johnston

« ان أول تيارات الحضارة وصل من مصر الى جميع بلاد افريقية السوداء جنوبى الصحراء الكبرى ، من ذلك : بناء القوارب واستعمال اللبى فى البناء ، وهو مرحلة متقدمة ، والأسلحة الحديدية من دروع ورماح وبلط وقسى » ويضيف جونستون : « ان قبائل التيبو أو التدا Tibu or Ted هى التى أدخلت الصناعات الحديدية والاسلحة الى افريقية الزنجية ، نقلا عن مصر » (٢) .

فاذا كانت هذه الصلة مع مصر ، ترجع الى أقدم العصور ، فليس من شك ، فى أنها ازدادت منذ العصر الاسلامى ، ولا سيما أن مصر كانت من بين المنابع التى جاء منها الاسلام الى غوبى افريقية (٣) ، فضلا على أنها فى طريق الحج ، وكانت الأراضى المقدسة الاسلامية تحت نفوذ سلاطين مصر ، فضلا على أن مصر كانت مركز الخلافة الاسلامية ،

كان حجاج مالى وغيرها من الملوك والرعايا المسلمين يملون بمصر فى طريق سفرهم وعودتهم من الحج ، وكانوا يلقون التكريم والترحيب والعون من أولى الأمر فيها ، ومن ملوك مالى المعروفين ، والذين مروا بمصر خلال حجهم : برمنندانة ومنسا ولى بن مارى جاطه الاول وساكوره ثم كنگن موسى ومن بعده سليمان وغيره .

(١) راجع ما سبق وانظر :

Spitz, p. 62 ; Hogben, p. 32 ; Bovill, p. 93 ; Gouilly, p. 55 ; L. Lugard, p. 127 ; Le Chatelier, p. 81.

(٢) Johnston, pp. 15-20 ، انظر كذلك : Davidson, pp. 70-73

(٣) الاسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى للمؤلف ص ٩ وما يليها

ولعل أبرز الدلائل الحية الباقية الى اليوم ، تلك المعالم التي مازالت بالقاهرة ، وتنبىء عن الصلات القوية المستمرة عبر العصور بين مصر وبلاد عربى افريقية ، مثل « حى بولاق الدكرور » المحرفة عن التكرور ، وينسب الى أحد صلحاء التكرارة (١) الذين دفنوا فى مصر وهو : الشيخ الصالح أبو محمد يوسف بن عبد الله التكرورى ، المعاصر للخليفة العزيز الفاطمى ( سنة ٣٨٦ هـ - ٩٩٦ م ) ، كما أن تخصص رواق للتكرارة ، من أروقة الأزهر ، لهو شاهد حى على مدى ما لقيه مسلمو غربى افريقية وطلاق العلم من ترحيب ، وهذا بجانب انشاء « مدرسة ابن رشيق » (٢) فى فسطاط مصر ( بخط حمام الريش ) وهى المدرسة التى أنشأها حجاج التكرارة على نفقتهم الخاصة ، لتدريس الفقه المالكى وللإقامة فيها عند مرورهم بمصر (٣) . كل هذه شواهد تدل على مدى قوة الرابطة الصلات بين مصر وغربى افريقية المسلم .

ازدادت الصلات بمرور الزمن ، وتضخم حجم التجارة ، حتى قيل ان قافلة خرجت من مالى الى مصر ، كان قوامها اثنى عشر ألف جمل (٤) ، وبجانب الصلات الثقافية والدينية ، كان من بين السلع الهامة التى تستوردها مالى من مصر : الثياب الحسان ، فى نظير الذهب والنحاس المستورد من مالى (٥) .

وأقام فى مالى عدد كبير من التجار والفقهاء والعلماء ، حتى الطبيب الذى عالج ابن بطوطة ، وهو فى مالى ، كان مصرى (٦) .

ونظرا لكثرة العلاقات وتوثقها بين مصر ومالى ، أضحى فى الدواوين

(١) ليس من الضرورى أن يكون هذا الشيخ الصالح من مدينة تكرر أو اقليم تكرر الواقع فى حوض السنغال الأدنى ، والذي خضع لسلطان مالى ، ولكن جرى العرف فى مصر وفى البلاد الشرقية الاسلامية أن تطلق كلمة تكرر ويقصد بها كل من جاء من غربى افريقية ، مع شهرة اقليم تكرر نفسه بالاسلام منذ زمن مبكر . ( راجع الفصل الأول ) .

(٢) نسبت المدرسة لابن رشيق وهو القاضى علم الدين بن رشيد الذى عهد اليه ببناء المدرسة والتدريس فيها ، وكان بناء المدرسة فى سنة بضع وأربعين وستمائة من الهجرة ، أى فى أواخر عهد الدولة الأيوبية ، وأوائل عهد أسرة كيتا الحاكمة فى مالى ( خطط ج ٢ ص ١٧١ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨١ ، المسالك ج ٢ ق ٣ ورقة ٩٢ : ) .

(٣) خطط ج ٢ ص ١٧١ .

(٤) راجع ما سبق .

(٥) راجع ما سبق .

(٦) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٢٣ ، راجع الفصل الخامس .

المصرية زمن سلاطين المماليك ، صيغ خاصة لمخاطبة ملوك مالى ، وهذه  
معدة في ديوان الانشاء ، تصدير بها المكاتبات الرسمية ، منها :  
« أدام الله نصر المقر العالى السلطان الجليل الكثير العالم العادل ،  
المجاهد المؤيد الأوحد ، عز الاسلام ، شرف ملوك الأنام ، ناصر الغزاة  
والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، جمال الملوك والسلاطين ، مستضيف  
الخلافة ، ظهير الامامة ، غضد أمير المؤمنين ، الملك فلان .. »  
ويدعى له بما يناسب المقام ، وبعد هذا سلام وتشويق (١) .  
وهناك صيغة معينة للدعاء ، لا بد من استيفائها في المكاتبات الى ملوك  
مالى ، منها :

« ويسر له القيام بقرضه ، وأحسن له المعاملة فى قرضه ، وكثر  
سواده الأعظم ، وجعلهم بيض الوجوه يوم عرضه ، وامتعه بملك يجد  
الجديد سحيف سمانه والذهب نبات أرضه ، صدرت هذه المفاوضة ،  
وصدرها به مملو ، وشكرها عليه مجلو ، ومزايا حبه فى القلوب سر كل  
فؤاد ، وسبب ما حلى به الطرف والقلب من السواد ، تنزل به سسفتها  
المسيرة فى البر وترسى ، وتحل عند ملك ينقص به رائدة ، وينسى موسى  
منسى وتقيم عليه ، والدهر لا يطرقه فيما ينوب ، والفكر لا يشوقه الا اذا  
هبت صبا من أرضه أو جنوب » (٢) .

\* \* \*

وفيما يتعلق بالدول الاوربية ، لم تكن هناك علاقة مباشرة معها ،  
حقيقة وجد التبادل التجارى بين مالى وأوربا ، ولكن عن طريق التجار  
المسلمين من العرب والبربر ، ولم يحدث الاتصال المباشر الا عندما بدأ  
البرتغاليون الكشف الجغرافى فى افريقية ، وتبذلت السفارات بين بلاط  
مالى وبين البرتغاليين .

(١) العمرى : التعريف ص ٢٨ .

(٢) التعريف ص ٢٨ .

# خاتمة

( أ ) ظهور البامباره  
على أنقاض مالى وصنغى

اسطورة الأخوين كولوبالى - دولة سيجوز من بيتون  
كولوبالى - اصطدامها ببقايا مالى زمن ماما غان كيتا - نهاية  
دولة سيجو على أيدي التكاره عام ١٨٦١م - دولة كا أرتا  
المنافسة - شهرتها وتوسعها زمن الماسا أبى بكر - نهايتها  
على أيدي التكاره - ظهور سامورى التورى من البامباره  
وتوحيد صفوف الماندينجو - كفاحه ضد الاستعمار الفرنسى  
ووفاته عام ١٩٠٠م .

على أثر تدهور دولة مالى ، نهض فرع من فروع الماندينجو فى القرن  
السابع عشر الميلادى ، وهو فرع البامباره ، ونجح هذا الفرع فى تأسيس  
مملكتين متنافستين ، وذلك على أنقاض مالى وصنغى الدائلتين .

وقبائل البامباره أهم مجموعة من مجموعة الشعوب المتكلمة بلغة  
الماند ، انتشرت فى وديان النيجر وفرعه الأعلى بانى منذ القرن الثالث  
عشر الميلادى ، وكانت تكون جزءا من دولة مالى . وبعد الهزائم المتلاحقة  
التي لقيتها مالى على أيدي امبراطورية صنغى ، نجح البامباره فى تكوين  
دويلة حول مدينة سيجو على النيجر الأعلى ، وصارت هذه الدويلة  
امبراطورية قوية فى القرن السابع عشر (١) .

وفي مطلع القرن التاسع عشر الميلادي ، كانت السيادة في السودان  
الغربي موزعة بين أربع دول قوية : دولة التكرارة في فوتا في الغرب ،  
ويليها من ناحية الشرق دولتا البامباره في سيجو وكأزتا ، ثم دولة  
الفولانيين في ماسنة في حوض النيجر (١) وفي بلاد الهوسا ، على أن  
تعظم هذه الدول وأقواها هما دولتا البامباره (٢) .

وتبعا للأساطير المحلية ، كان البامباره بزعامة أخوين هما :  
برامانجولو Bramangolo ونيانجولو Niangolo ، هرب هذان الأخوان  
أمام خصومهما ، وقفذا في النهر حيث أنقذتهما سكة وحملتهما إلى  
الشاطئ الآخر ، وتخليدا لهذه النجاة ألحق كل من الأخوين لقباً باسمه  
هو : كولوبالي Kulu Bali ، ومعناه : الناجون دون استخدام  
زوارق (٣) .

ومثل هذه الأساطير ، كثيرا ما تقترن بمؤسسى الدول ، اذا اشتهر  
أمرهم فيما بعد ، والثابت تاريخيا أن سلالة الأخ الأول وهو برامانجولو  
نجحوا في تأسيس دولة في سيجو ، وخضعت هذه الدولة فترة من الزمن  
لسيادة باشوات تنبكت ودفعت لهم الجزية (٤) ، وفي زمن بيتون  
كولوبالي ( ١٦٦٠ - ١٧١٠ م ) اتسعت دولة سيجو وتخلصت من سيادة  
تنبكت ، بل نجحت سيجو في فرض جزية على باشوات تنبكت ، الذين  
اشتهروا باسم الأرمأ Arma ، وهم المولدون من اب من البربر  
وأم زنجية (٥) ، كان خضوع الأرمأ لحكام سيجو في عام ١٦٧٠ م (٦) .  
امتدت دولة سيجو في تلك الفترة في وديان النيجر من كانجابا  
من الماندينجوا ، جنوبا إلى تنبكت وإلى الصحراء شمالا ، بل صارت سيجو  
ملجأ للفارسيين من مراكز ، فقد حدث أن لجأ إليها على بن حيدر خوفا  
من بطش شريف مراكش (٧) .

(١) امبراطورية الفولانيين الاسلامية للمؤلف ، Page, p. 144

(٢) Page, p. 144

(٣) Labouret, p. 241

(٤) Le Chatelier, p. 88 ; Rouch, Les Songhay, p. 10 ; Page, p. 32

(٥) كلمة الأرمأ تحريف محلي للكلمة العربية «رامي أورما» ( انظر معجم الألفاظ  
الاصطلاحية بالملاحق وراجع :

(٦) Marty, Etudes sur l'Islam et les Tribus du Soudan, T. II, pp. 6-7 ;

Rouch, op. cit., p. 4 ; Gouilly, pp. 63-64 ; Johnston, p. 68 ).

(٧) Page, p. 147 ; Bovill, p. 175 ; Gouilly, p. 64

Labouret, p. 141 ; Bovill, p. 176

ونجح بيتون كولوبالي في طرد مانسا مالى المعاصر عن عاصمته فى العام نفسه الذى خضعت له فيه تنيكت (١٦٧٠م) ، واسم مانسا ما الى هذا : ماما مغان كيتا (١) . جاء فى حكم سييجو بعد وفاة بيتون كولوبالى ، ابنة دنكورو Denkoro ( ١٧١١ - ١٧٣٦ م ) ، وفى عهده وقعت فتن واضطرابات فى سييجو ، أدت الى انتقال العرش الى أسرة جديدة من البامبارة هى أسرة ديارا Diara ، وذلك عام ١٧٥٠ م .

جاءت نهاية دولة سييجو فى عام ١٨٦١ م على أيدي الحاج عمر سلطان التكارره فى فوتا ، حين قاوم الفرنسيون توسعته فى الغرب ، فاتجه شرقا وقضى على دولة سييجو (٢) .

أما سلالة الأخ الثانى وهو ينانجو لوكوبالى ، فأسسوا لهم دولة فى منطقة كآرتا Kaarta ، شمالى نهر باخوى أحد فروع السنغال ، وذلك عندما رفضوا سيادة دولة سييجو ، ودب صراع بين الدولتين خلال القرن الثامن عشر ، كانت الغلبة فيه لدولة سييجو (٣) .

اشتهر حكام كآرتا بلقب « مساسى » Massassi ويقابل لقب « مانسا » فى مالى ، ومعنى لقب حكام كآرتا الحرفى « الفرع الملكى أو السلالة الملكية » (٤) .

ومن ملوك كآرتا المشهورين الماسا أبو بكر ، الذى نجح فى توسيع مملكة باضافة أقاليم : كنجوى Kingui وباكونو Bekunu وجوديوم Guidiome وديافونو Diafunu ، ومن خلفاء أبى بكر : الماسا بسكورو Bessekovo وهو الذى استقبل المكتشف منجو بارك عام ١٧٩٦ م فى مدينة جويمو Guemu (٥) .

وآخر سلطان للبامباره من سلالة هؤلاء الملوك ، السلطان كانديان Kandian ، ومركز حكمه فى مدينة نيورو ، غربى كومبى صالح عاصمة غانه القديمة ، وقد تعرض بدوره لغزو الحاج عمر الذى نجح فى القضاء على جميع أفراد الأسرة المالكة عام ١٨٦٠ م ، أى قبل

(١) Spitz, p. 63 ; Labouret, p. 203

(٢) Fage, p. 148 ; Gouilly, pp. 64,74 ; Labouret, p. 241

(٣) Fage, p. 146 ; Gouilly, p. 64

(٤) Labouret, p. 242

(٥) Hobbey, pp. 22-23 ; Vandeleur, p. 149 ; Rouch, p. 11 ; Johnston, pp. 304-305 ; Labouret, p. 242 ; Bovill, p. 132.

نهاية سيجو نسبة واحدة . وحاول الحاج عمر أن يتعقب الفارين من كازرتا ، وقد استعد هؤلاء لمقاومته الا أن الفرنسيين حالوا دون تقدمه (١) .

وبعد هذه الأحداث وزوال دولتي البامباره في سيجو وكازرتا ، ظل الماندنغو منقسمين مفرقين ، حتى ظهر بينهم زعيم قوى في عام ١٨٦٠ م ، هو سامورى التورى Samari Turé في اقليم وسولو Wassulu ، وسرعان ما أصبح سلطانا في منطقة بيساندوجو Bissandugu ، ورغم انه أمى ، الا أنه أثبت مقنطرة وكفاءة (٢) ، اذ استطاع خلال عشرين سنة (١٨٧٠ - ١٨٩٠ م) أن يسيطر نفذه على جميع فروع الماندنغو وأن يوحد صفوفهم ، وكانوا مبعثرين جنوبى دولة التكاره .

اتخذ سامورى التورى لقب « امام » Alimami (٣) ، وتصدى لكفاح الاستعمار الفرنسى ستة عشر عاما (١٨٨٢ - ١٨٩٨ م) ولم يتقيد بشروط المعاهدة غير المتكافئه ، التى عقدها معه الفرنسيون ، وظل يكافح الفرنسيين ، فداهم الفرنسيون عاصمته بيساندوجو واحتلوها عام ١٨٩١ م ، كما احتلوا وسالو عام ١٨٩٣ م ومن بعدها سيجو ثم تنبكت فى العالم التالى (٤) .

هرب سامورى التورى الى أعلى نهر فولتا ، حيث دمر بعض المدن خلال الفترة من ١٨٩٤ الى ١٨٩٨ م ، مثل كونج وبنك Bonduku وبونا ، وأمام هذه المدينة الأخيرة أباد جيشا فرنسيا بقيادة الكابتن برولو Braulot ، وكان يقود جيش سامورى ابنه سارانتي Sarantie ويؤرخ لهذا النصر بعام ١٨٩٧ م .

(١) كان الفرنسيون تيو غلون من جزيرة جورى Gorée التى احتلوها عام ١٦٥٩ م ، وهى أقدم مستعمرة فرنسية فى غربى افريقية ، وكذلك جزيرة سانت لويس عند مصب السنغال ، ومن هاتين الجزيرتين ، أخذوا يتوغلون تدريجيا فى حوض السنغال والتيجر (Johnston, p. 179; Fage, p. 148)

(٢) سامورى التورى هو جد أحمد سيكوتورى رئيس جمهورية غينية الاسلامية الحديثة

(٣) Gouilly, pp. 47, 77; Labouret, p. 242; Fage, p. 149

(٤) كانت سيجو وتنبكت ونيورو وماسنه تابعه للحاج عمر الفزانى سلطان التكاره (ت ١٨٦٤ م) ، وكان أحمدو بن الحاج يحكم فى سيجو ، وانتقل الى نيورو ثم هرب الى ماسنه أمام الزحف الفرنسى عام ١٨٩١ م ، فتعقبه الفرنسيون الى أن هرب إلى بلاد الهوس حيث مات عام ١٨٩٨ م (Rouch, p. 11; Fage, p. 148; Church, p. 238)

وأخيرا تمكن الفرنسيون من القبض عليه في ٢٩ سبتمبر ١٨٩٨م في مدينة جويلو مو Guelemu في أعلى ساحل العاج ونفوه الى جابون حيث مات عام ١٩٠٠ م. بعد أن بلغ الخامسة والستين من عمره ، وجرّد الفرنسيون قواته من السلاح (١) .

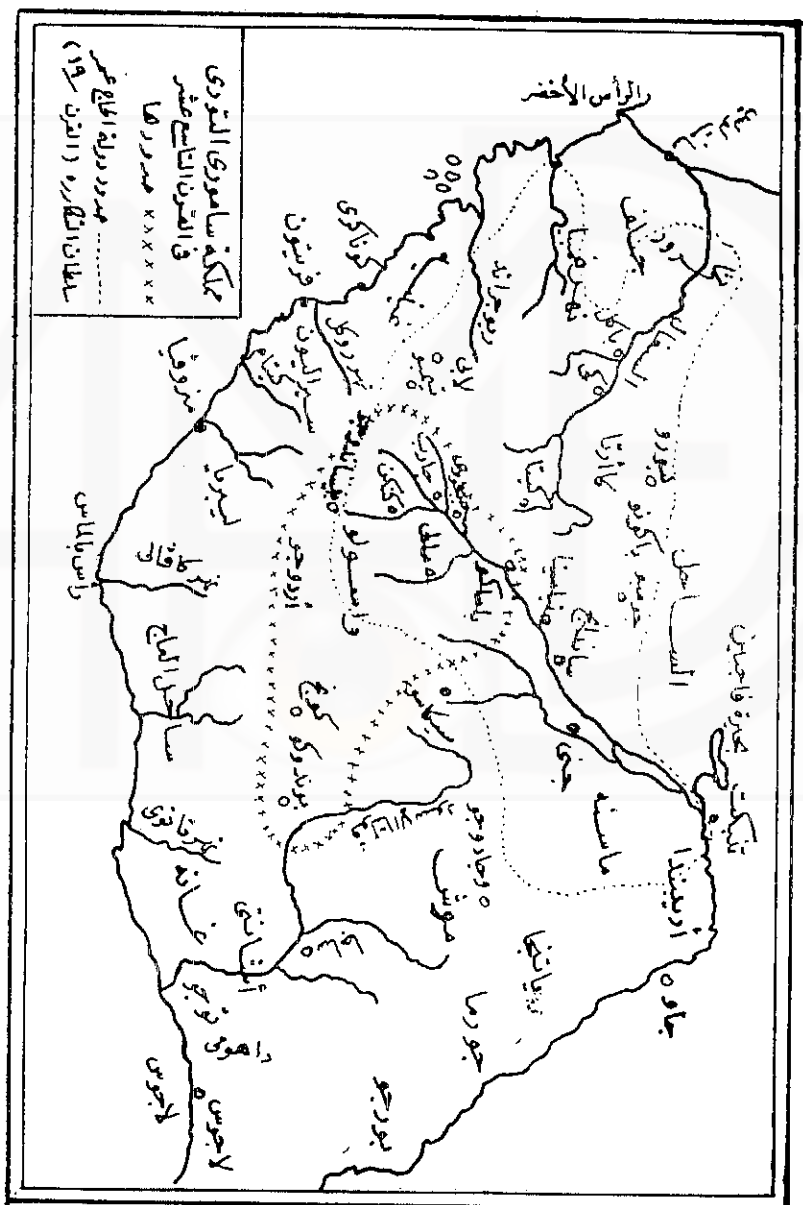
وبعد هذا التاريخ ، لم نعد نسمع عن حوادث كبرى من جانب الماندنغو (٢) .

---

(١) ساموري التوري هذا هو جد أحمد سيكوتوري Sékou Touré رئيس جمهورية غينية الحديثة ، وغينية أول مستعمرة فرنسية تختار الاستقلال ، وعين أحمد سيكوتوري رئيسا لغينية المستقلة عام ١٩٥٨ م ثم انتخب رئيسا لجمهورية غينية عام ١٩٦١ م ، والعاصمة كوناكري ولا يزال الى اليوم (٢٩٧٠) .

(٢) Hogben, p. 64 ; Labouret, p. 242 ; Page, p. 156 ; Gouilly, pp. 80-82





بقايا مالى المملكة سامورية السورى

- ب -

### جمهورية مالي الحديثة

أما جمهورية مالي الحديثة ، فهي بعض دولة مالي الاسلامية وسميتها ووارثتها ، بالرغم من قلة مساحتها . استقلت هذه الجمهورية عام ١٩٦٠م ، وكانت تعرف قبل استقلالها باسم : « السودان الفرنسي » وأخذت اسم مالي بعد الاستقلال أحياء للمجد القديم .

ومجمل التطور التاريخي لجمهورية مالي الحديثة ، أن المنطقة التي قامت فيها لا شك منطقة تاريخية ، عريقة في التاريخ القومي الافريقي ، زارها الرحالة العرب مثل ابن حوقل في القرن العاشر الميلادي وابن بطوطة في القرن الرابع عشر وليسو الافريقي في القرن السادس عشر . وفي العصور الحديثة زارها رحالة غربيون منهم : منجو بارك (١٧٩٥ - ١٧٩٧ . ١٨٠٥ م ) وريني كايي René Caille ( ١٨٢٧ ) وبارث ( ١٨٥٠ - ١٨٥٥ ) .

وقد امتد الاستعمار الفرنسي لهذه المنطقة من جزيرتي جوري وسانت لويس منذ عام ١٦٥٩ م ، فأخذوا يرسلون البعثات الي بامبوك في الداخل بحثا عن الذهب والصبغ ، خلال السنوات : ١٧٣٠ ، ١٧٣١ ، ١٧٥٦ ، ١٨٢٤ ؛ وتكررت البعثات والحملات الحربية حتى وصلوا الي سيجو على النيجر عام ١٨٦٦ م ، وأكثروا من بناء الحصون على السنغال والنيجر في الفترة ما بين ١٨٧٩ ، ١٨٨١ م ، ثم مدوا خطا حديديا ، افتتحوه عام ١٩٠٤ م ، وفي ذلك العام كانت هذه المنطقة قد أصبحت مستعمرة فرنسية .

اشتملت الحركات الوطنية ، وتزعمها بعض أفراد أسرة كيتا ، فقد كان يمثل هذه الأسرة ، قبل عهد الاستقلال بعض الشخصيات

البارزه ، التي تولت الحكم فى بعض الولايات خلال عهد الاستعمار ، واستمر الكفاح حتى ظفرت البلاد باستقلالها .

وأول رئيس لجمهورية مالى الحديثة هو موديبو كيتا Modibo Keita سليل أسرة كيتا التاريخية ، انتخب رئيسا لاتحاد مالى المكون من مالى والسنغال منذ تكوينه فى يناير ١٩٥٩ ، ثم رئيسا لحكومة الاتحاد فى ابريل ١٩٥٩ م ، ولم يدم الاتحاد طويلا لخلافات جوهرية بين عضوتى الاتحاد . وانتخب مديبو كيتا رئيسا لجمهورية مالى بالاجماع فى يناير ١٩٦١ .

وفى ١٩ نوفمبر من عام ١٩٦٨ م ، انتهت مدة رئاسة مديبو كيتا ، بعد تنحيته ، وتولى الملازم موسى تراورى أو تراورر رئاسة الجمهورية ، ولقبه الرسمى « الملازم موسى تراورى رئيس اللجنة العسكرية للتحرر الوطنى ورئيس دولة مالى » .

ويبدو من لقبه ، أنه قد يكون سليلا للأسرة المالكة التى حكمت مالى قبل أسرة الكونانيين السابقة على حكم أسرة كيتا .

وعاصمة جمهورية مالى باماكو على النيجر ، وليس لها منفذ على البحر ، فاستخدمت دكاكر عاصمة السنغال زمن الاتحاد ، ثم أصبحت حاليا تستخدم ابيدجان Abidjan عاصمة جمهورية ساحل العاج (١) .

(١) د\* محمد حسنين : الاستعمار الفرنسى ( مصر ١٩٦٢ ) ص ٨٢ - ٨٧ ، ١٠٠ ،

مقررات مؤتمر القمة للول عدم الانحياز المنعقدة فى القاهرة ١٩٦٤ ،

Vandeleur, p. 149 ; Johnston, pp. 178-179, 204-205, 209, 238 ; Gouilly, p. 56 ; Stamp, p. 273 ; Rouch, p. 11 ; Trimmingham, pp. 14-15 ; Church, pp. 177-179, 237-254 ; Kitchen, pp. 493-501.



جمهوری اسلامی ایران  
 و شرکت‌های ملی ایرانی



# الملاحق

معجم بالألفاظ والمصطلحات

( أ ) ألفاظ ومصطلحات

( ب ) الأثر اللغوي العربي والإسلامي عند الماندينجو

وجيرانهم في غربي إفريقيا

## معجم بالألفاظ والمصطلحات

### ( أ ) ألفاظ ومصطلحات

**أسكيا وأسكى :** لقب الأسرة الثانية في حكم امبراطورية صنغى الاسلامية ، وأول من لقب به محمد أبو بكر الطورى وزير سن على وقائد جيشه . وقد انتزع الطورى العرش من سلالة سن على عام ١٤٩٣ م ، وعندما بلغ هذا الخبر بنات سن على، صحن : أسكيا، يقول السعدى : ومعناه فى كلامهم : لا يكون اياه . أى المغتصب ، ولكن السطورى احتفظ بهذا اللقب هو وخلفاؤه من بعده ، فصارت أسرته تعرف باسم أسرة الأساكى (١) .

**الأرما :** هم سلالة الفاتحين المراكشيين من المغاربة ونساء الارستقراطية المحلية فى السودان الغربى ، وقد صارت لهم مميزات خاصة بمرور الزمن ، وصاروا أصحاب السلطة الفعلية فى البلاد وانفصلوا عن مراكش . وهذه الكلمة محرفة عن الكلمة العربية « الرامى » من جنود المشاة المسلحين بالبنادق ، أو « الرماة » وهم حملة الرماح . ويشبه هذا الفريق « المولدين » فى أسبانيا الاسلامية من أب عربى أو بربرى مسلم وأم مسيحية ، كما يشبهون فريق « التركبول » Turcopuli الذين ظهروا خلال الحروب الصليبية فى الشرق الأوسط وهم المولدون من أب سورى وأم يونانية (٢) .

**الأكوى :** لقب موسى ديجيو جد سندياتا كيتا ، من أسرة كيتا الحاكمة فى

(١) السعدى ص ٧١ - ٧٢ ، الفتاش ص ١١ ، ١٥ ، ١٦٠ ، ١٦١ .  
L. Lugard, p. 171

(٢) Manty, pp. 6-7 ; Rouch, p. 4 ; Gouilly, pp. 63-64

مالي تولى عرش مالي حوالي عام ١٢٠٠ م ، وقيل يصدر تفسير  
هذا اللقب بأن معناه : « الله خالق الكون » (١) .

**ألفا أو الفع :** اختصار للكلمة العربية « الفاهم » أو الفقيه وهو ما عرف  
به رجال العلم والأدب والمتعلمون عامة في السودان الغربي ولا سيما  
في مدينة تنيكت وجزائر ، وتمتعت هذه الطبقة بميزة سامية ونفوذ  
كبير ، مثل القاضي الفع محمود كعت (٢) .

**أولى أو (ولى) :** تحريف للكلمة العربية (على) ، يقول القلقشندي :  
ومعنى ولى ، على ، وعرف بهذا الاسم ولنا ما رأى جاية (٣) .

**بنبي :** مصطبة ذات ثلاث درجات ، تقام تحت شجرة وعليها يجلس  
السلطان في مالي للنظر في شئون الرعية ، وتفرض بالحريز  
وتوضع عليها المخاد (٤) .

**بو :** ضمير يدل على الملكية أو التبعية أو النسبية ، في صيغة  
الجمع ، بلغة الكانم والبرنو ، والفورد « ما » ، فيقال مثلاً  
الكانمو أى سكان كانم (٥) .

**بور :** بمعنى ملك بلغة الولوف أو الجلف ، ومنها : بور مالي أى ملك  
مالي (٦) .

**بولا :** هم طبقة العبيد المحررين في مالي ، بلغة الماندينجو ، ولعب أفراد  
هذه الطبقة دوراً كبيراً في تاريخ دولة مالي ، ويقابلها طبقة الكوسا  
في امبراطورية غانه ، ولهذه الطبقات قرائن في تاريخ الامبراطورية  
الرومانية وفي تاريخ الدولة الاسلامية (٧) .

**تكرور وتكارورة :** والعامة تقول تكارنه وديكارنه ، والتكاررة جماعة مختلطة  
من الزوج تأثرت كثيراً بسبب الموجات المتتابعة من المهاجرين

(١) Monteil, pp. 58-59; Delafosse, pp. 19-20

(٢) القاضي الفع محمود كعت صاحب الفتاش ، انظر كذلك ص ٤٨ من كتاب  
الفتاش : Marty, p. 14

(٣) صبيح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٣ ، Monteil, p. 75

(٤) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٠٦ ،

(٥) انظر « ما » فيما يلي وراجع : Carbou, pp. 3-4

(٦) Monteil, p. 145; Bovill, p. 120; Le Chatelier, p. 82

(٧) راجع الفصل الأول والفصل السابع وانظر : Monteil, pp. 22, 26, 56



والفاتحين ، وموطنهم حوض السنغال ، وليس لهذه الجماعة تسمية خاصة بها من قبل نفسها ، غير أن قبائل الجلف (الولوف) هي التي أطلقت عليها هذه التسمية : التيكولور أو التاكورور ، وليس للتكررة لغة خاصة بهم ، لكنهم اتخذوا لغة الفولانيين أو الفلاتا ، حتى أطلقوا على أنفسهم « هال بولارن » Hal-Pularen أى الشعوب المتكلمة بلغة البول والبول تسمية أخرى للفولانيين . كذلك أطلقوا على أنفسهم . « فوتا نكوبى » Futankôbé أى « مواطنى فوتا » ، اشتقاقا من محل اقامتهم فى فوتا السنغالية ؛ ويطلق العرب والمشاركة عامة كلمة تكرور ويريدون بها كل من جاء من السودان الأوسط والغربى ، وعن ابن خلكان : أن أهل كانم بنو عم تكرور ، وأن تكرور اسم لأرضهم فسموا بها .

ويفسر بعض الكتاب أن كلمة تكرور معناها الحرفى اسود ، ويقول ياقوت الحموى عن التكارره انهم « اشبه الناس بالزنج » وليس من شك فى أن ياقوت يعنى كلمة التكارره كل ما جاء من بلاد السودان الغربى والأوسط ، ومن التفسيرات الطريقة التى أوردتها بعض الكتاب الانجليز أن كلمة تكرور تدل على اختلاط لونين . Two-colours (١) .

**تلز :** بمعنى الحافد عند الماندينجو ، والحافد لغويا هو ولد الولد أو الصهر ، والحفدة كذلك الأعوان والخدم وقيل الأختان (٢) .

**دك :** (نظر دوجو التالية) .

**دوجو :** بمعنى قرية عند الماندينجو ، وأشار السعدى اليها باسم « دك » وأراد بها « دار » أو محل اقامة السلطان ؛ وتقابل هذه الكلمة ما عرف عند الفولانيين باسم « رى » Ri ؛ وعند الكانورى ، تعنى كلمة دوجو ، حفيد الملك (٣) .

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ١٢٨ الفتاش ص ٢٤ - ٢٥ ، تعريف العشائر والختلان بشعوب وقبائل الفلان ص ٤ ، انظر تاج العروس ،

Bovill, p. 84 ; Fage, p. 146 ; Trimmingham, p. 13 ; L. Lugard, p. 115 ; Urvoy, p. 31 ; Delafosse, Takrur (Ency. of Islam), Vol. IV, p. 633, Gouilly, p. 209, Le Chatelier, p. 79, Monteil, p. 57

(٢) العبر ج ٦ ص ٢٠٠ ، مختار الصحاح .

(٣) السعدى ص ٨ ، Palmer, The Bornu, p. 9 ; Monteil, p. 20, 151

امبراطورية البرنو الاسلامية للمؤلف .

**دوجو تيجوى :** معناها عند الماندينج رئيس القرية أو مؤسسها، وهو سيد الأرض ، واختصاصه عندهم تقسيم أراضي القرية على سكانها ، ويعاون هذا الرئيس مجلس استشارى مكون من زعماء الأسر ، يطلق عليه بلغتهم « تون تيجوى » ، ومن مهام الدجوتيجوى كذلك ، فى العهد الوثنى ، تسلم الضرائب التى يدفعها أهل القرية للاله المحلى ولذلك يعتبر الكاهن الأعظم لهذا الاله وعليه أن يقوم بمساعدة المحتاجين من أهل القرية وتقديم الضيافة للقادمين ، ودفع الجزية المقررة على القرية للسلطان الأعلى الحاكم .

وجرت العادة عند الماندينج أن ينتخب رئيس القرية بواسطة مجلس القرية ، ومن رؤساء القرى من يلقب كذلك ب : مانسا الماندينجو ، وهو اللقب الذى ساد عند ملوك مالى ، ويعنى السلطان (١) .

**دياناما :** بمعنى ولاية أو منطقة أو مملكة عند الماندينجو ، ويلقب حاكمها باسم « المانسا » أو « الماسا » ، واشتهر هذا اللقب الأخير عند البامباره ، احدى فروع الماندينجو (٢) .

**ديون :** عبد بلغة الماندينجو (٣) .

**ديون صندكى :** رئيس العبيد عند الماندينجو وكذلك الوزير ، ومن هؤلاء من اشتهر فقط بلقب « صندكى » ، ومنهم من وثب على عرش مالى مثل « صندكى » الذى تزوج من أم السلطان موسى الثانى من أسرة كيتا وتولى العرش فى مالى عام ٧٩١ هـ = ١٣٨٨ م (٤) .

**ساركن :** بمعنى ملك بلغة الهوسا ، ويقال ساركن السودان ، أى ملك السود ، ولا يزال هذا اللقب معروفا عند امراء كونتا جورا فى نيجيريا الى اليوم ، ولقب عثمان دان فودى به كذلك فقتل ، « ساركن المسلمين » أى أمير المؤمنين (٥) .

(١) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٢ ، pp. 20-22 Monteil,

(٢) راجع « كافو » فيما يلى وانظر : p. 145 Monteil,

(٣) Monteil, p. 27

(٤) البر ج ٦ ص ٢٠٢ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ، راجع الفصل

السادس pp. 22, 25, 141, 149 Monteil,

(٥) دول الهوسا الاسلامية للمؤلف ، امبراطورية الفولانيين الاسلامية للمؤلف ، امبراطورية البرنو الاسلامية للمؤلف ،

Page, p. 35 ; Bovill, p. 99 ; Palmer, Memoirs, III, pp. 95-96, 135 ; L. Lugard, p. 245.

**سنن** : بمعنى خليفة السلطان أو بدله أو عوضه عند الصنغى ، وقد الحق هذا اللقب بالملك على كولين مؤسس الأسرة الثانية في حكم صنغى ، وعرف باسم «سنن الأول على كولين» واتخذ هذا اللقب من بعده ، وعرف هذا اللقب كذلك باسم «شى» ( بالشين ) ، فقال « شى غال » أى سنن على (١) .

**شماشيه** : لباس للرأس عند سلطان مالى ، ويصفه ابن بطوطة بأنه من ذهب ويشد بعصابة ذهب لها أطراف مثل السكاكين ، رفاق ، طولها أزيد من شبر (٢) .

**شى** : (راجع سنن) .

**صنغى** : اسم اقليم يقع فى أواسط النيجر ، نسبة الى قبائل الصنغى ، ويعرفون بصور مختلفة منها : « سنجى أو سنغى » ، وكذلك « سونوزى » ، وتطلق التامبازره عليهم اسم « كويروبورو » وتعنى بهذه التسمية « سكان القرى أو أهل الريف » .

وهناك من يقول ان الصنغى جاءوا أصلا من مصر ، وهم ميالون للسلم ، وأنهم سكنوا أولا فى أغادين ، حيث وصلتهم هجرات جديدة من مصر زمن البطالمة والرومان ، ومع هذه الهجرات وصلب حيوانات مستأنسة وفنون معمارية مصرية مثل البناء باللين (٣) .

**طيلسان** : لباس للرأس عند أهل مالى ، لا يلبسونه الا فى أيام العيدين باستثناء القاضي والخطيب والفقهاء ، فانهم يلبسونه فى سائر الأيام . والتفسير اللغوى : الطيلسان مفرد والجمع طيالس ، وهو الأسود ، وهى لفظة فارسية معربة ، والأطلس الثوب الخلق ، والذئب الأمعط ، فى لونه غيرة الى السواد ، وكل ما كان على لونه ، فهو أطلس (٤) .

**فا** : لقب مؤسس الأسرة وزعيمها عند الماندنجو ، وهو لقب قديم يرجع

(١) السعدى ص ٢ - ٣ ، ٥ - ٦ ، الفتاش ص ٤٢ - ٤٤ ، ٦٢ ، راجع الفصل

السادس .

(٢) تحفة الطار ج ٤ ص ٤٠٦ : راجع الفصل السابع .

(٣) امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف ، الفتاش ص ١١ ، ٤٤ ، السعدى

ص ٢ ، Trimingham, pp. 15-16; Hogben, p. 41; Johnston, pp. 13-14; Le Chatelier, pp. 35-39; Rouch, Les Songhay, pp. 1-3.

(٤) تحفة النظار ج ٤ ص ٤١٠ ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح .

الى العهد الوثني ، ويقال له كذلك « فايا » ، وله سلطة مطلقة على أسرته ، لكنه يستعين بمجلس مخصوص من أصفياائه من بين أعضاء الأسرة ، ويعد رئيس الخديم وهو من العبيد أصلا عضوا في هذا المجلس .

وبعد وفاة الفا ، تقدم الأسرة له العباد ، وجميع ما يخلف من املاك ، لانقسم ، وتعتبر ملكا عاما للأسرة ، وأكبر أبناء الفا ، هو الذي يرثه في اللقب ، ولكن بعد ترشيح مجلس الأسرة ، فاذا كان غير صالح لحمل هذا اللقب ، قرر مجلس الأسرة طرده وتقيه مع أبنائه ان كان له أبناء ، وينتخب غيره .

وهناك مجلس أقل عددا من المجلس المخصوص ، ويتكون عادة من أقرب المقربين للفا . وكثيرا ما وقع الصراع والتنافس بين المجلسين . ونظام الأسرة عند الماندنجو نموذج مصغر لنظام القرية ، فكل أسرة لها استقلال ذاتي ، لكن هذا الاستقلال لا يتعارض مع تقاليد القرية (١) .

**فامغان :** اللقب فا هو الموروث عن العهد الوثني ، ومعان أو معنا بمعنى محمد ، عند الماندنجو (٢) .

**فايا :** ( راجع فا ) .

**فرازي :** والجمع فرازية ، وهو أمير الجيش أو القائد في مالي ، وجرت العادة ، أن يحيط الفرازية بالسلطان في المواكب العامة (٣) .

**فران كلا :** حاكم اقليم كلا في مالي ، ويعبر السعدي عن حكام كلا ، كذلك باسم سلاطين ، فيقول « سلاطين كل » ، واقليم كلا عند أهل صنغاي يسمى كالاسان (٤) .

**قربا :** بمعنى نائب السلطان أو ممثله أو نائبه في حكم ولاية أو مدينة ، وأصله « ديون » أي عبد ، ويرتقى أحيانا الى « ديون صندكي » أي رئيس العبيد ، وقد يحمل لقب القربا أحد أعضاء أسرة المانسا

(١) Monteil, pp. 19-21

(٢) العبر ج ٦ ص ٢٠١ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٧ ، Monteil, p. 124 راجع الفصل الأول .

(٣) تحفة النظر ج ٤ ص ٤٠٤ ، ٤١٧ ، راجع الفصل السابع .

(٤) السعدي ص ١٠ ، Monteil, p. 150

وجرت العادة أن يترك سلطان مالي البلاد المفتوحه ، تتمتع باستقلالها الذاتى ، حسب تقاليدھا القديمة الموروثة ، اذا ثبت ولاؤها، أما اذا خيف خروجها وتمردھا، طرد حاكمها الوطنى وعين بدلا منه « ألفريا » ليكون مشرفا على « تون تيجوى » أى مجلس القرية ، لكى يضمن بقاء القرية على الولاء ، وأحيانا يحل المناسا مجلس القرية ويعهد باختصاصاته الى ألفريا .

ومن أمثلة أصحاب هذا اللقب فى دولة مالي : فريا حسين حاكم يولاتن ، زمن زيارة ابن بطوطه ، و « فريا مغا » أى فريا محمد وكان ممن صحبوا السلطان موسى فى حجه (١) .

**قاسا :** لقب الملكة الأم أو الزوجة الكبرى عند الماندينجو (٢) .

**قنجا :** لقب نائب السلطان عند الماندينجو (٣) .

**كافو :** مقاطعة أو اقليم أو ولاية عند الماندينجو (٤) .

**كالاسان :** ( راجع فران كلا ) .

**كوكو :** عاصمة امبراطورية صنغى الاسلامية ، ووردت بصورة مختلفة : كوغا أو كاغ - كركر - جاجو - جاو (٥) .

**كولوبالى :** معناها عند اليامباره ، من فروع الماندينجو ، الناجون من الغرق أو الهلاك دون استخدام زوارق (٦) .

**كى :** بمعنى حاكم عند الماندينجو ، وقد يلقب به سلطان مالي نفسه ، مثل السلطان موسى الذى لقب باسم « كى مل » والسلطان سليمان ، « منسا سليمان كى » . ومن معانى هذا المصطلح ملك أو حاكم وطنى خاضع لسلطان مالي (٧) .

(١) الفتاش ص ٣٤ - ٣٥ ، تحفة النظر ج ٤ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ .

Monteil, pp. 23-24, 27 راجع الفصل السابع .

(٢) تحفة النظر ج ٤ ص ٤١٧ ٤١٧ Monteil, p. 137 راجع الفصل الخامس والفصل

السابع .

(٣) تحفة النظر ج ٤ ص ٤٠٣ .

(٤) راجع دوجو ودياناما وانظر Monteil, p. 241

(٥) السعدى ص ٧ ، الفتاش ص ٤٥ ، معجم البلدان ج ٤ ص ٤٩٥ ، صبح الأعشى

ج ٥ ص ٢٨٥ ، العبر ج ٥ ص ٤٣٤ ، ج ٦ ص ٢٠٠ ، ليو الأفريقى : الكتاب السابع

ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ، تحفة النظر ج ٤ ص ٣٩٥ ،

Bovill, p. 101, Cooley, pp. 103-104 ; L. Lugard, pp. 120, 144, 157.

(٦) راجع الخاتمة وانظر : Labouret, p. 241

(٧) السعدى ص ٨ ، تحفة النظر ج ٤ ص ٤٠٧ ، الفتاش ص ٣٧ ، راجع الفصل

الأول والفصل الرابع والفصل الخامس Hogben, p. 33

**ما :** أو « مع » بمعنى « سيد » أو « أم » ، وفي لغة الكانم والبرنو تدل كلمة « ما » وجمعها « بو » على معنى الملكية أو التبعية ، فيقال عن الكانميين : « كانميو » وعن البرنويين : « برنوبو » (١) .

**مانسا :** صيغة أخرى للمانسا بمعنى الملك أو الحاكم ، واشتهرت أكثر عند البامبارة (٢) .

**مالنك :** هم أنفسهم المانديجو ، ومالنك التسمية التي أطلقتها عليهم قبائل الفولانيين ، وتعني بها : رعايا مالي أو سكان مالي (٣) .

**مالي :** تحريف لكلمة « ماندي » عند قبائل السوننك إحدى فروع المانديجو ومعناها مقر الملك أو العاصمة . وكلمة مالي أطلقتها قبائل الفولانيين للدلالة على بلاد المانديجو أو المالنك (٤) .

**مامودو :** تحريف لكلمة محمود العربية (٥) .

**المانديج :** هي مجموعة القبائل التي كونت دولة مالي ، وتنطق بأشكال مختلفة عند مختلف القبائل الأفريقية المجاورة (٦) .

**مانسا :** بمعنى السلطان عند المانديجو ، وهو لقب رئيس القرية المنتخب (٧)

**مع ذلك :** من معانيها عند المانديجو « دار السلطان » (٨) .

---

(١) راجع يو. فيما سبق ، انظر المانديجو فيما يلي وراجع :  
Monteil, p. 7 ; Carbou, pp. 3-4 ; Labouret, p. 240  
Labouret, p. 242 . امبراطورية البرنو الاسلامية للمؤلف .

(٢) راجع « دياناتنا » فيما سبق ومانسا فيما يلي وانظر الخاتمة ،  
Labouret, p. 242 ; Monteil, p. 145

(٣) راجع الفصل الأول وانظر :

Labouret, p. 240 ; Le Chatelier, p. 75 ; Church, p. 238

(٤) راجع الفصل الأول وانظر : الفتاش ص ٢٧ ، ٧ ، Monteil, p. 24 ; Fage, p. 24 ;  
Fyfe, p. I ; Delafosse, p. 19 ; Labouret, p. 239

(٥) Monteil, p. 25

(٦) راجع الفصل الأول وانظر :

Church, p. 238 ; Monteil, pp. 7, 22-30 ; Trimmingham, p. 14 ; Binger,  
II, p. 373 ; Quintin, p. 304 ; Labouret, pp. 239-40.

(٧) صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٩٣ ، الفتاش ص ٨١ .  
Monteil, pp. 22-24 ; Le Chatelier, pp. 75, 91-95

(٨) راجع « دوجو » وانظر Hogben, p. 31

مفا أو مغان : بمعنى محمد ، عند الماندينجو (١) .

مامادو : تحريف لكلمة محمد العربية .

موش (٢) : قبائل مختلطة تقيم جنوبي منحني النيجر في منطقة فولتا العليا وهم أهم عناصر المنطقة ، ولهم تاريخ معروف ، يرجع الى القرون الأولى ، وظهرت لهم مملكة كبرى في القرن الرابع عشر الميلادي ، وظل الموش على الوثنية وقاوموا الاسلام لمدة طويلة ، ثم أسلموا ، واشتهروا بكثرة الغزو والنهب ، ولهم علاقات أغلبها عدائية ، مع جميع الدول الاسلامية التي قامت في السودان الغربي مثل دولتي مالي وصنغى ، ويكون الموش حاليا أغلب سكان جمهورية فولتا العليا .

ويلقب حكام موش أو ملوكها باسم « موغونابا » ولا يزال في جمهورية فولتا العليا الحديثة عدد كبير من أصحاب النفوذ والثروة ، يرجعون الى سلالة أولئك الحكام القدماء (٣) .

ب -

### الأثر اللغوي العربي والاسلامي

عند الماندينجو وجيرانهم في غربي افريقية

#### ١ - بعض الألفاظ العربية الدينية

الله : ياللا أو يالف عند الولوف

: ياللا عند الصنغى والفولانيين والنامبارة والدولا والصوصو والخاسونك .

الله أو نجالا عند المانك

(١) العبري ج ٦ ص ٢٥٦ ، أصبح الأسمى ج ٢٩٧ ، p. 124 ، Monteil ، راجع

« فامغان » فيملا سيق . (٢) التسمية العربية عن السنغالي والفتاش ، ويكتب هذا الاسم في المراجع الأجنبية : Mossi ، Mosi .

(٣) للمزيد من التفاصيل عن الموش وتاريخهم راجع : السنغدي ص ٧٤ ، الفتاش

ص ٧٧ ، Trimingham ، p. 15 ; Johnston ، pp. 178-9, 209, 255-57 ; Le Chatelier ، pp. 120-122 ; Hogben ، pp. 29, 53 ; Gouilly ، pp. 51-53 ; Delafosse ، pp. 6-18 ; Monteil ، p. 143 ; Urvoy ، p. 28 ; Mélanges Ethnologiques ، pp. 21-32 ; Dugue ، pp. 486-487 ; Spitz ، pp. 65-66 .

استغفر الله : سافور الهى عند أهل مالي

الحمد لله : هاند الايا في السنغال

امام : اليمام أو اليمامى عند معظم قبائل السودان الأوسط والغربى

انجيل : لنديل عند الولوف

بيت الله : بيت الله في السنغال

توراة : تافرى عند الولوف

جامع : ماندياما عند الولوف

جن : جن عند الولوف

: دين أو جنن عند البامبارة

: الجن عند الديولا

: جنارو أو جنادى عند الفولانيين

: جندى أو دى عند الصنغى

جنات : ( جنات النعيم أو الفردوس )

: أديانا أو ديانا الديانا عند الولوف

فردوس : فردوس عند المالك

جهنم : دياناما عند الديولا

: دياناما عند البامبارة

: دياخاناما عند المالك

: ياهانيبا عند الماندينجو

: أهاناما عند الصوصو

حلال : ألال عند الولوف

سبحان الله : سوباهانا – سوبونا عند الولوف

شريعة : ساريا عند الماندينجو

شهادة : سادى عند الولوف

: أسادا عند الديولا



ابليس : بلس - باليس عند الولوف

شيطان : ستان عند البامبارة

: سنتاني عند الصوصو

: سيتان عند الولوف

: سيتاني عند الفولانيين

العلم : سليمان عند الديولا

القاضي : الكالى - الكانى عند الديولا

( ويتضمن معنى رئيس القرية أو رجل الشرطة ) عند الولوف

قرآن : الكران عند الولوف

: الكرانا عند الديولا

: الكرانو عند المالك

كتاب الله : الكتابو عند الديولا

( القرآن )

بعض الألفاظ العربية الدينية الأخرى  
عند قبائل غربي افريقية عامة

الإخرة : الأكيرا

بالله : بالاهي

تسبيح : تسبيها

الحرام : الهرام

الدنيا : الدنيا

الدين : الدين

السجادة : أساديادا

القبور : الجبور

الملائكة : الملائهيك

## ٢ - في مجال التعليم

الاصل العربي : قرأ يقرأ وما يشتق منهما

أ - بمعنى يقرأ أو يتعلم أو يستذكر أو تعليم

خاران : عند الصوصو

كارا وكران وكران وكارها وكرانجو : عند المانديجو والمالنك

كارانج : عند الديولا

كالانج : عند البامبارة

ب - بمعنى تلميذ أو طالب علم

خاراندي : عند الصوصو

كارادان وكارامو خادين وكاراندين : عند المالنك والمانديجو

كالانجديج : عند البامبارة

ج - بمعنى عالم أو أستاذ أو كاتب أو ناظر مدرسة

كاراموهو : عند الديولا

كاراموكو : عند المالنك

كالاجكيلا وكالانجديج : عند البامبارة

د - بمعنى مدرسة أو مكان القراءة أو التعليم

خارابانداخي : عند الصوصو

كارانديولا وكارايورو : عند المانديج والمالنك

كالانجيورو : عند البامبارة

هـ - بمعنى محاضرة أو درس

خارانيس : عند الصوصو

كاراتي : عند الديولا

كالانج : عند البامبارة

الاصـل العـربى : طـالـع يـطـالـع وـما يـشـتـق مـنـهـما

**تالى :**

**تال :** عـنـد البـامـبـارة و المـالـنـك

**تاليبو :** ( بـمعـنى خـبر أو قـصـة أو حـكـاية أو يـحـكى أو يـروى )

**تاليبا :** عـنـد البـامـبـارة ( بـمعـنى رآو أو مـحـدث أو قـاص )

### ٣ - بـعض الأـدوات الكـتـابـية

**القرطاس :** كـرتـاس عـنـد المـالـنـك

**كرداسى :** عـنـد الـديـولا

**قلم :** خـلم و كـلم عـنـد المـالـنـك

**كلما :** عـنـد البـامـبـارة و الـديـولا

**كاغد :** كـايت عـنـد الـولـوف

**( لـفـظـة مـعـرـبة بـمعـنى وـرـقـة )**

**اللوـح :** ألـوا عـنـد الـولـوف ( و يـتـضـمـن مـعـنى المـنـضـدة الصـغـيرة )

### ٤ - بـعض المـواقـيت

**الساعة ( أى الآن ) :-** سـنا عـنـد الـولـوف

**سءاء :** عـنـد الصـنـغى

**الفجر :** فـاديا عـنـد الـولـوف

**الصـبـح أو الصـبـاح :** سـبا عـنـد الـولـوف

**الظـهـر :** نـديـولـور عـنـد الـولـوف

**الخـمـيس :** الأـمـيسـا - الخـمـسو عـنـد المـالـنـك

**الخـمـيس عـنـد الـواوـف و الصـوـصـو**

**لاميسا و الخـميسا عـنـد الـديـولا**

**الخـميسى عـنـد الصـنـغى**

**السبت** : أست عند الولوف  
: اسيبيتى عند الصنغى  
: سيبيتى وسيبيرى وسيبيلى عند المالك والماندنج والديولا  
**المحرم** : مهرامو ومهرم عند الديولا  
**رجب** : رجب ورزب عند الديولا

#### ٥ - بعض أدوات الحرب

**البند ( العلم )** : باندارى عند المالك  
**الراية ( العلم )** : رايا عند الولوف  
: ريت عند البامبارة والمالك  
**السرچ** : كرج عند الديولا  
: كرك عند الماندنجو  
**الطبل** : تابلا عند الماندنجو والبامبارة  
**القرن** : زارنا عند البامبارة

#### ٦ - بعض الحيوانات

**البغل** : بركيل - فاريل عند الولوف  
**الجهل** : جالم عند الولوف  
: نجوما عند المالك

#### ٧ - بعض النباتات

**التمر** : تامار وتومارو بمعنى البلح أو النخيل عند الماندنجو والمالك  
والخاسونك والسونتك والبامبارة  
**القرنفل** : كورانبولى عند المالك  
: خورا مبول عند الولوف  
**القطن** : وتن عند الولوف  
**القمح** : الكما عند الصنغى  
**ليمون** : لورو عند المالك والديولا والماندنجو

## ٨ - موازين ومكاييل

الدرهم : درم عند الولوف

المد : مد عند الولوف

: مدى - مورى - مورو عند المالك

## ٩ - ملابس

الجبة : جبا - ديفا عند المالك

الحرير : هريرا عند المالك

## ١٠ - بعض أسماء الاعلام العربية والاسلامية

ابن أو ولد : ولد

ابراهيم : براهيمما - براهيمما - بوهاريمما

أبو بكر : بوكار - بو بكر - باكارى

الأمين : لامين

الحسين : أوسينو

أمير : أمارا

بشير : بسيرو

حسن : أسن - ألسان

حماد : أمات

خليل : كاليلو

شيخ : سك - سيكو - شيهو

طاهر : تاهيرو

عبد الرحمن : أبدو - أبودى

عبد الله : عبداللاهى - أبدو اللاى

عثمان : أنتومان - أوسمان - أسوما - أتومانج

على : الى - ألو - اليون - ولى

عمر : أومارو

عيسى : إيسا

فاضل : فاديلو — فاليانو  
محمد : مامادو أو « ما » فقط  
محمود : مامودو  
أم كلثوم : أومو  
أمينة : أميناتا  
بنت : منت  
بنت النبي : بنتا  
حفصة : أفسا  
حواء : هوا  
خديجة : أدجياتا  
زينب : سينابو — تينابا  
عائشة : أيساتو  
فاطمة : فاتيماتو — فاتيماتا — فاتو  
مريم : لالا — مرياما

#### ١١ — بعض أسماء المدن العربية والإسلامية (١)

الطائف : تايفا في غينية  
تايف في السنغال  
طيبة : تاباتو عند الولوف والفولانيين والماندنجر  
القيروان : كيروان في السنغال وغينية  
مصر : ماسيرا في غينية

---

(١) هذه أسماء مدن قائمة فعلا في البلاد المذكورة بجانبها .



## مصادر البحث

### القسم الاول : المراجع العربية

- ١ - **ابن أبي ذرع** : ( على بن عبد الله بن أبي ذرع الفاسي ت ١٣٢٦ م )  
الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ( نشره  
وترجمه تونمبرج Tonemberg )
- ٢ - **ابن الأثير** : ( على بن أحمد بن أبي الكرم ت ٦٣٠ هـ = ١٣٢٨ م )  
الكامل في التاريخ - بولاق ١٢٧٤ هـ .
- ٣ - **ابن الخطيب** : ( أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن  
سعيد الخطيب الملقب بلسان الدين الخطيب ت ٧٦٦ هـ ) الحلل  
الموشية في ذكر الأخبار المراكشية - تونس ١٣٢٧ هـ .
- ٤ - **ابن الفقيه** : ( أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه )  
كتاب البلدان
- ( نشرة دوغويه De Joczje - لندن ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م )
- ٥ - **ابن الوردي** : ( زين الدين أبو حفص عمر ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م )  
تاريخه : تتمة المختصر في أخبار البشر  
( ترجمة ونشره هيلاندر S. Hylander - لندن ١٨٢٣ م )
- ٦ - **ابن اياس** : ( أبو البركات محمد بن أحمد ت ٩٣٠ هـ = ١٥٢٤ م )  
١ - نشق الأزهار في عجائب الأقطار  
( نشره وترجمه الى الفرنسية لانجلي  
L. Langles باريس ١٨٠٧ م )  
٢ - بدائع الزهور في وقائع الدهور - بولاق ١٣١١ هـ



- ٧ - **ابن بطوطة** : (أبو عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي ت ١٣٦٩ م)  
تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاقطار  
( نشره وترجمه الى الفرنسية دفريميري وسانجوينتي  
Defrémery et Sanguinetti - باريس ١٨٥٣ م )
- ٨ - **ابن حوقل** : ( أبو القاسم النصيبي ت ٩٦٨ م )  
كتاب صورة الارض - القسم الاول - ليدين ١٩٣٨ م
- ٩ - **ابن خرداذبه** : ( أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله )  
المسالك والممالك - ليدين ١٣٠٩ هـ
- ١٠ - **ابن خلدون** : ( عبد الرحمن ت ٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ م )  
تاريخه - مصر ١٢٨٤ هـ
- ١١ - **ابن دينار** : ( أبو عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم )  
كتاب المونس في اخبار أفريقيا وتونس - تونس ١٢٨٦ هـ
- ١٢ - **ابن ممتي** : ( القاضي الوزير شرف الدين أبو المكارم ت ٦٠٦ هـ =  
١٢٠٩ م )  
كتاب قوانين الدواوين ( نشر سوريا عطية - مصر ١٢٩٩ هـ )
- ١٣ - **ابن صود (١)** :  
تذكرة النسيان في اخبار ملوك السودان  
( نشره هوداس Houdas - باريس ١٩٠١ م )
- ١٤ - **أبو العباس الناصري** :  
الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى - الدار البيضاء ١٩٥٤ م
- ١٥ - **أبو الفداء** : ( اسماعيل صاحب حمات ت ٧٣٢ هـ = ١٣٣٢ م )  
كتاب تقويم البلدان  
( نشره وترجمه سولفي Solvet - الجزائر ١٨٢٩ م )
- ١٦ - **أحمد بابا التنبكتي** : ( ١٥٥٣ - ١٦٢٧ م )  
نيل الانتهاج بتطريز الديباج .  
( طبع على هامش كتاب الديباج المذهب لابن فرحون - القاهرة  
١٣٥١ هـ )

(١) اسم المؤلف غير معروف والمعروف اسم جده فقط وهو : محمد بن الامين بن محمد  
ابن صود . ولذلك أسندته الى لقب الأسرة .

- ١٧ - **أرشيبالد** : ( اويس A. Lewis )  
القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط  
( ترجمة أحمد عيسى وراجعته شفيق غربال - مصر ١٩٦٠ )
- ١٨ - **أرنولد** : ( توماس )  
الدعوة الى الاسلام  
( ترجمة د . حسن ابراهيم واد . عبد المجيد عابدين و الدكتور  
النحراوى - مصر ١٩٥٧ )
- ١٩ - **الادريسي** : ( أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف الادريسي - ولد  
في سوتا ١١٠٠ م )  
كتاب نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر  
والمدائن والآفاق ( طبع حجر )  
قطعة منه : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس -  
ليدن - ١٨٦٦ م .
- ٢٠ - **الاصطخرى** : ( أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى  
المعروف بالكرخى - توفى في النصف الاول من القرن الرابع  
الهجرى )  
المسالك والممالك  
( تحقيق د . الحينى ومراجعة شفيق غربال - مصر ١٣٨١ هـ -  
١٩٦١ م )
- ٢١ - **الانورى** : ( آدم عبد الله )  
موجز تاريخ نيجريا - بيروت ١٩٦٥ م
- ٢٢ - **البشارى** : ( شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البناء  
الشامى المقدسى )  
كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم  
( نشره دى غويه - ليدين ١٨٧٧ م )
- ٢٣ - **البكرى** : ( أبو عبد الله بن عبد العزيز البكرى ت ١٠٩٤ م )  
المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب  
( وهو جزء من كتاب المسالك والممالك - نشره راندو Random  
- انجرائر ١٨٥٧ م )

- ٢٤ - **التونسي** : ( الصديق محمد بن السيد بن عمر التونسي )  
تشحيد الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان (طبع حجر ١٨٥٠م)
- ٢٥ - **الحميري** : ( أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم )  
صفة جزيرة الاندلس ( منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر  
الامصار - جمعه مؤلفه سنة ٨٦٦ هـ / ١٤٦٢ م )  
تحقيق ونشر ليفى بروفنسال - مصر ١٩٣٧
- ٢٦ - **السعدي** : ( عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي .  
ت بعد عام ١٦٥٥ م )  
تاريخ السودان ( حققه ونشره هوداس ونبوا )
- ٢٧ - **الشنقيطي** :  
الوسيط في تراجم ادياء شنقط  
Houdas and E. Benoist  
باريس ١٨٩٨ .
- ٢٨ - **العمرى** : ( شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٨٤٩ هـ /  
١٣٤٨ م )  
١ - التعريف بالمصطلح الشريف - مصر ١٣١٢ هـ  
٢ - مسالك الابصار في ممالك الامصار  
( الجزء الاول تحقيق أحمد زكي باشا - مصر ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م -  
الاجزاء الاخرى لا تزال مخطوطة )
- ٢٩ - **الفرناطي** : ( أبو حامد محمد بن عبد الرحيم الاندلسي ت ١١٧٠ )  
كتاب تحفة الالباب
- ٣٠ - **الفونى** : ( ألفا هاشم محمد أحمد بن أحمد ت ١٣٤٩ هـ نشرة قرار  
G. Ferrard  
باريس ١٩٢٥ ) تعريف العشائر والحلاف  
بشعوب وقبائل الفلان (مصر )
- ٣١ - **الفروز آبادى** : ( مجد الدين )  
القاموس المحيط
- ٣٢ - **القلقشندي** : ( أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م )
- ٣٣ - **المسعودى** : ( أبو الحسن علي ت ١٩٥٦ م )  
أخبار الزمان ومن أباده الجدثان وعجائب البلدان ( مخطوط في  
مجلد رقم ٨٧٩ - دار الكتب المصرية )

٣٤ - المقرئ : ( أحمد بن محمد ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣٣ م )  
نفخ الطيب في غصن الاندليس الرطيب - مصر ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م

٣٥ - المقرئ : ( تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م )

١ - السلوك لمعرفة دول الملوك  
( نشر وتحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة - مصر ابتداء من  
١٩٣٦ الى ١٩٦٨ )

٢ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - بولاق ١٢٧٠ هـ

٣ - الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك  
( نشر الدكتور جمال الدين الشيال - مصر ١٩٥٥ م )

٤ - الامام بأخبار من بأرض الحبشة ملوك الاسلام

٣٦ - اليعقوبي : ( أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف  
بابن واضح الانصارى ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م تاريخه - النجف  
١٣٥٨ هـ )

٣٧ - باركو E. Barker :

الحروب الصليبية

( ترجمة الدكتور السيد الباز العرينى - مصر ١٩٦٠ )

٣٨ - بروفنسال : L. Provencal ( ناشر )

كتاب مفاخر البربر ( مؤلفه مجهول وتاريخ تأليفه ٧١٢ هـ حققه  
ونشره ليفى بروفنسال - الرباط ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م )

٣٩ - جنيد : ( المعلم جنيد وزير حتكت )

مزار أمير المؤمنين محمد بلو ( ألفه ١٣٧٨ هـ وطبع في نيجريا -  
وترجمه من اللغة العربية الى لغة حوسى : المعلم خضر بنجى نائب  
قاضى قضاة كادونا بنيجريا )

٤٠ - حسنين : ( دكتور محمد حسنين ) :

الاستعمار الفرنسى - مصر ١٩٦٢

٤١ - ديشان (H. Deschamps) :

الديانات فى افريقية السوداء

( ترجمة أحمد صادق - مصر ١٩٥٦ م )

- ٤٢ - زامباور (Zambour) :  
معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامى
- ٤٣ - زكى محمد حسن ( دكتور ) :  
الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى - مصر ١٩٤٥
- ٤٤ - شبل : ( فؤاد محمد )  
دراسات فى اقتصاديات القارة الافريقية - مصر ١٩٦٣
- ٤٥ - طرخان ( دكتور ابراهيم على ) :
- ١ - الاسلام والممالك الاسلامية بالحيشة فى العصور الوسطى -  
مصر ١٩٥٩
  - ٢ - تاكيتوس والشعوب الجرمانية - مصر ١٩٥٩
  - ٣ - مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة - مصر ١٩٦٠
  - ٤ - غانة فى العصور الوسطى - مصر ١٩٦٧
  - ٥ - البرتغاليون فى غرب افريقيا - مصر ١٩٦٧
  - ٦ - الاسلام واللغة العربية فى السودان الاوسط والغربى - مصر  
١٩٦٩
  - ٧ - امبراطورية غانة الاسلامية ( المكتبة العربية - مصر ١٩٧٠ )
  - ٨ - قيام امبراطورية مالى الاسلامية - مصر ١٩٧٠
  - ٩ - امبراطورية البرنو الاسلامية ( فى المطبعة )
  - ١٠ - امبراطورية صنفى الاسلامية ( تحت الطبع )
  - ١١ - امبراطورية الفولانيين الاسلامية ( تحت الطبع )
  - ١٢ - دول الهوسا الاسلامية ( تحت الطبع )
  - ١٣ - امبراطورية التكاره الاسلامية ( تحت الطبع )
- ٤٦ - كعت ( القاضى الفع محمود كعت ) :

تاريخ الفتاش فى اخبار البلدان والجيوش واکابر الناس وذكر  
وقائع التكرور وعظام الامور وتفريق انساب العبيد من الاحرار

( بدأ تأليفه ٩٢٥ هـ / ١٥١٩ م ) نشره هوداس ودولافوس -  
باريس ١٩١٣

٤٧ - **ليو الافريقى** : (حسن بن محمد الوزان ولد حوالى ١٤٩٣م وتوفى  
حوالى ١٥٤٠ م )

(تاريخ ووصف افريقية وأشهر ما فيها من عجائب) - انظر المراجع  
الاجنبية رقم ٥٤

٤٨ - **محمد عبد الفتاح ابراهيم** : ( عميد آ . ح . )  
افريقية من السنغال الى نهر جوبا - مصر ١٩٦١

٤٩ - **نعيم قنّاح** :

افريقية الغربية فى ظل الاسلام - كوناكرى ١٩٦٠

٥٠ - **ياقوت** : ( أبو عبد الله ياقوت الحموى ت ١٢٢٩ م )  
معجم البلدان - مصر ١٩٠٦

AME

## القسم الثاني :

### المراجع الاجنبية

1. Albert de Cicourt : Histoire des Mores Mudejares et des Moriques ou des Arabes D'Espagne. Paris, 1864
2. Arnet, The Rise of Sokoto Fulani (1929).
3. Barker, E., The Crusades, Lond., 1925  
( انظر رقم ٣٧ في المراجع العربية )
4. Barth, H. : Travels and Discoveries in North and Central Africa (1849-1855) London, 1875
5. Baulin : J., The Arab Role in Africa. London, 1962
6. Baumann, H. et Westermann, D. : Les Peuples et les Civilisations de l'Afrique. Paris, 1948
7. Bernard, A. : Afrique Septentrionale et Occidentale (Géogr. Univ.) T. XI. Paris, 1939
8. Blyden, E.W. : Christianity, Islam & The Negro Race. London, 1881
9. Bourret, F.M. : Ghana. The Road to Independence. London, 1960
10. Bovill, E.W. : The Golden Trade of the Moors. London, 1961
11. Boyd, A. & Rensburg, p. : An Atlas of African Affairs. London, 1962



12. Bradury, R.E. : The Benin Kingdom and the Edo-speaking Peoples of South Western Nigeria, London, 1957.
13. Brevié, J. : Islamisme Contre Naturisme au Soudan Français. Paris, 1913
14. Brooke, Z.N. : A History of Europe (911-1198).  
London, 1938
15. Brown, L.A. : The Story of Maps. London, 1951
16. Burns, A.S. : History of Nigeria London, 1955
17. Carbou, H. : La Région du Tchad et du Quadai.  
Paris, 1912
18. Cara de Vaux, B. : Timbuktu (Ency. of Islam, Vol. IV).
19. Church, R.J.H. : West Africa, A Study of the Environment and Man's use of it. London, 1931
20. Clark, F. and others : The New West Africa, Problems of Independencies. London, 1953
21. Cooley, W.D. : The Negroland of the Arabs (An Enquiry into the Early History and Geography of Central Africa).  
London, 1841
22. Cosneau, F. : Les Grands traités de la Guerre de Cent Ans (Collections des textes pour servir à l'étude et à l'enseignement de l'Histoire). Paris, 1889
23. Davidson, B. : Old Africa Rediscovered. London, 1959
24. Delafosse, M. : 1. — Traditions Historiques et Légendaires du Soudan Occidental. (Traduites d'un Manuscrit Arab), Paris, 1913.  
2 — Sonhay (Ency. of Islam) Vol. IV.  
3 — Soso (Ency. of Islam) Vol. IV.  
4 — Takrûr (Ency. of Islam) Vol. IV.
25. De La Roncière, Ch. : La Découverte de l'Afrique au Moyen Age. Le Caire, 1925
26. Delmond, p. : Dans La Bouche du Niger (Mélanges Ethnologiques, Dakar, 1953).

27. De Pedrals, D.P. : Manuel Scientifique de l'Afrique Noire.  
Paris, 1949
28. Dike, R. : Trade and Politics in the Niger Delta (1820-1885).  
Oxf., 1956
29. Dozy, R., Les Musulmans de l'Espagne, Leiden, 1861.
30. Dublié, P. : La Vie Materielle des Mauves (Mélanges Ethnologiques, Pakar, 1953).
31. Dubois, F. : Notre Beau Niger. Paris, 1911
32. Fage, J. : 1 — An Atlas of African History, Cambr., 1958.  
2 — An Introduction to the History of West Africa.  
Cambr. 1959
33. Fyfe, C. : A History of Siera Leone. Oxf., 1962
34. Gautier, E.F., Le Passé de l'Afrique du Nord, Les siècles Obscures.  
Paris, 1937
35. Gorer, G. : Africa Dances (A Book About West African Negroes).  
London, 1949
36. Gouilly, A. : L'Islam dans l'Afrique Occidentale Française.  
Paris. 1952
37. Gravier, G. : Recherches sur les Navigations Européennes au Moyen Age aux Côtes Occidentales d'Afrique, en dehors des Navigations Portugeses du XVIe siècle.  
Paris, 1878
38. Green, V.H.M. : Renaissance and Reformation.  
London, 1952
39. Gunther, J. : Inside Africa. N. York, 1955
40. Hobbey, L.F. : 1 — Early Explorers to A.D. 1500.  
London, 1961  
2 — Opening Africa. London, 1962
41. Hodgkin, T. : Islam and National Movement in West Africa  
( من بحوث مؤتمر الدراسات الأفريقية - لندن ١٩٦١ )
42. Hogben, S.J. : The Muhammadan Emirates of Nigeria.  
London, 1930

43. Hollis, A.C. : The Mandi, Their Language and Folklore.  
Oxf., 1909
44. Johnston, H.H. : A History of the Colonization of Africa  
by Allien Races. Cambr., 1913
45. Kitchen, H. (Edit.) : The Educated African.  
London, 1962
46. Kup, P. : A History of Siera Leone (1400-1781).  
Cambr., 1961
47. Labouret, H. : 1 — Mali (Ency. of Islam), Vol. III.  
2 — Mandingo (Ency. of Islam), Vol. III.
48. Lady Lugard, F.L.S. : A Tropical Dependency. (An out-  
line of the Ancient History of the Western Soudan with  
an account of Modern Settlement). London, 1905
49. Laird, M. & Oldfield, R.A.K. : Narartive of an Expedi-  
tion into the Interior of Africa, by River Niger in 1832,  
1833 and 1834. London, 1873
50. La Monte, J.L. : Feudal Monarchy in the Latin Kingdom  
of Jerusalem. Cambr., 1932
51. Lane-Poole, St., The Moors in Spain. London, 1887
52. Lapie, P.O. : My Travels Through Tchad.  
London, 1943
53. Largeau, V. : Le Sahara Algérienne. Paris, 1881
54. Le Chatelier, A. : L'Islam dans l'Afrique Occidentale.  
Paris, 1899
55. Leo Africanus (J. Leo A More) : A Geographical History  
of Africa (Translated and Collected by : John Pery).  
Londini, 1600
- ( راجع المصادر العربية رقم ٤٧ )
56. Lodge, R. : The close of the Middle Ages.  
London, 1924
57. Luce, S. : La France Pendant la Guerre d eCent Ans.  
Paris, 1892-1893

58. Marty, P. : 1 — Etudes sur l'Islam et les Tribus de Sou-  
dan. Paris, 1920  
2 — Etudes sur l'Islam et les Tribus Maures.  
Paris, 1921
59. Meek C.K. : The Northern Tribes of Nigeria,  
London, 1925.
60. Mélanges ethnologiques (Mémoires de l'Institut Français  
d'Afrique Noire). Dakar, 1953
61. Memorandum on the Emigration and Distribution of West  
Africans in the Sudan. Khartoum, 1913
62. Millet, R. : Les Almohades. (Histoire d'une Dynastie Ber-  
bère). Paris, 1923
63. Monteil, Ch. : Les Empires du Mali. Paris, 1930
64. Morel, E.D. : Affairs of West Africa. London, 1902
65. Murdock, G.P. : Africa, Its Peoples and Cultural History.  
N. York, 1959
66. Niven, C.R. : The Land and Peoples of West Africa.  
London,, 1958
67. Oman, C. : History of the Arts of War in the Middle Ages.  
London, 1924
68. Okafor, A. : History of West Africa (The New West  
Africa). London, 1953
69. Orton, P. : A History of Europe (1198-1378)  
London, 1951
70. Palmer, H.R. : 1 — Sudanese Memoirs, Lagos, 1928.  
2. — The Bornu Sahara and Sudan. London, 1936
71. Pedler, F.J. : West Africa. Straid. Eng., 1959
72. Perroy, E. : La Guerre de Cent Ans. Paris, 1946
73. Pirenne, H. : 1 — A History of Europe.  
London, 1936  
2 — Histoire de Belgique,  
Brussels, 1922

74. Reeve, H.F. : The Gambia, Its History, Ancient, Medieval and Modern. London, 1912
75. Reindore, Rev. C.C. : History of the Gold Coast and Asante. Basel, 1892
76. Richard, J. : Le Royaume Latin de Jerusalem. Paris 1953
77. Robertson, G.A. : Notes on Africa. Particularly, those parts between Cape Verde and the River Congo). London, 1819
78. Roland, O, and Fage, J.D. : A Short History of Africa. London, 1962
- صدرت ترجمة عربية لهذا الكتاب تحت عنوان موجز تاريخ أفريقيا للدكتورة دولت صادق ومراجعة الدكتور محمد سيد غلاب
79. Roland, O. : 1 — The Dawn of African History. London, 1960  
(Edit.) 2 — The Middle Ages of African History London, 1967
80. Rouch, J. : 1 — Les Songhay. Paris, 1954  
2 — La Religion et la Magie Songhay. Paris, 1956
81. Runciman, S. : A History of the Crusades. Cambr., 1954
- ترجمة المرحوم الدكتور السيد الباز العريني
82. Sharaf, T. : A Short History of Geographical Discovery. Alex., 1963
83. Shinnie, M. : Ancient African Kingdoms. Lond., 1965
84. Spitz, G. : L'Ouest African Français. Paris, 1947
85. Stamp, D.L. : Africa, A Study in Tropical Development. London, 1952
86. Talbot, P.A. : Peoples of Southern Nigeria. London, 1936
87. Temple, O. : Notes on the Tribes, Provinces, Emirates and States of the Northern Province of Nigeria. Lagos, 1922

88. The Nigeria Handbook. London, 1956
89. Thompson, V. and Aldoff, R. : French West Africa.  
London, 1958
90. Tooley, R.V. : Maps and Map-Makers. London, 1949
91. Trimingham, J.S. : Islam in West Africa. Oxf., 1959
92. Urvoy, Y. : Petit Atlas Ethno-Demographique du Soudan  
(Entre Sénégal et Tchad). Paris, 1942
93. Vandeleur, S. : Campaigning on the Upper Nile and Niger.  
London. 1899
94. Ward, W.E.F. : A History of he Gold Coast.  
London, 1948
95. Wiedner, D.L. : A History of Africa, South of the Sa-  
hara. N. York, 1962
96. Yver, G. : 1 — Ghana (Ency. of Islam) Vol. II.  
2. — Hausas (Ency. of Islam) Vol. II.

|



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب  
رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٣/٣٨٢٦